T.C

Bingöl Üniversitesi
Sosyal Bilimler Enstitüsü
Temel İslam Bilimleri Bölümü
(Arap Dili ve Belagati)

es-Sekîne ve't-Tuma'nîne fi'l-Kur'âni'l-Kerîm

Dirâse Luğaviyye Dilâliyye

(Yüksek Lisans Tezi**)**

HAZIRLAYAN

Hassan Mahmud Qadir

Danışman

Yrd. Doç. Dr. İBRAHİM USTA

Bingöl 2016

الجمهورية التركية

جامعة بينغول

معهد العلوم الاجتماعية

قسم اللغة العربية

السّكينةُ والطُمأنينةُ في القران الكريم

دراسة لغوية دلالية

رسالةُ ماجستر

إعداد

الطالب/حسن محمود قادر

باشراف

الدكتور ابراهيم أوسطه

هذه الرسالة نالت درجة (ماجستير)من قبل جامعة بنكول، معهد العلوم الاجتماعية، قسم اللغة العربية، برقم: ( )

بينغول ٢٠١٦م

المحتويات

ت.	المواضيع	الصفحة
١	المحتويات	I-V
٢	التعهد باللغة التركية	VI
٣	التعهد باللغة العربية	VII
٤	قرار لجنة المناقشة	VIII
٥	المقدمة	IX-XII
٦	الملخص باللغة التركية	XIII
٧	الملخص باللغة الانكليزية	XIV
٨	الملخص باللغة العربية	XV
٩	المدخل	XVI-XXI
١٠	**الفصل الأوّل** **السكينة والطُّمأنينة في القرآن الكريم، دراسة لغوية**	١-٤٣
١١	**المبحث الأوّل: الدراسة الصوتية للسكينة والطمأنينة**	١-١٠
١٢	المدخل : الصوت، ودراسة الاصوات	١
١٣	مخارج أصوات السكينة والطُمأنينة، وصفاتهما	
١٤	أوّلاً: سكن : أ- مخارج أصواتها	
١٥	ب- صفات أصواتها	
١٦	ثانياً: طمأن : أ- مخارج أصواتها	
١٧	ب- صفات أصواتها	
	المبحث الثاني: الدراسة الصرفية للسكينة والطمأنينة	١١-١٩
١٨	المدخل:	
١٩	أوّلاً : السّكينة	

٢٠	ثانياً : الطَأنينة	
٢١	**المبحث الثالث: الدراسة النحوية للسكينة والطمأنينة**	٢٠-٤٣
٢٢	المدخل : الحالات الاعرابية	
٢٣	**أوّلاَ : الآيات التي وردت فيها السكينة والطمأنينة في حالة الرفع**	
٢٤	أ ـ معنى الرّفع	
٢٥	**ب ـ الآيات التي وردت فيها السكينة في حالة الرفع:**	
٢٦	أولاً: جاءت مبتدأ مؤخراً لخبر مقدم	
٢٧	ثانياً: جاءت خبراً لِلحرف الناسخ (إنّ)	
٢٨	ثالثاً: جاءت بصيغة فعل مضارع مرفوع	
٢٩	**ج ـ الآيات التي وردت فيها الطمأنينة في حالة الرفع:**	
٣٠	أوّلاً: جاءت بصيغة فعل مضارع مرفوع	
٣١	ثانياً: جاءت بصيغة خبر للمبتدأ	
٣٢	ثالثاً: جاءت بصيغة نعت لمنعوت مرفوع	
٣٣	**ثانياً : الآيات التي وردت فيها السكينة والطمأنينة في حالة النصب**	
٣٤	أ ـ معنى النصب	
٣٥	**ب ـ الآيات التي وردت فيها السكينة في حالة النصب:**	
٣٦	أوّلاً: جاءت بصيغة المفعول الثاني للفعل(جعل)	
٣٧	ثانياً: جاءت بصيغة فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل	
٣٨	ثالثاً: جاءت بصيغة المفعول به للفعل(أنزل)	
٣٩	رابعاً: جاءت بصيغة المفعول به للفعل(أنزل)	
٤٠	خامساً: جاءت بصيغة فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل	
٤١	سادساً: جاءت بصيغة المفعول به للفعل (جعل)	
٤٢	سابعاً : جاءت بصيغة فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل	
٤٣	ثامناً: جاءت بصيغة فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل	
٤٤	تاسعاً : جاءت بصيغة فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل	
٤٥	عاشراً: جاءت بصيغة فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل	

٤٦	الحادية عشر: جاءت بصيغة المفعول به منصوب للفعل(أنزل)	
٤٧	الثانية عشر: جاءت بصيغة المفعول به منصوب للفعل(أنزل)	
٤٨	ثالث عشر : جاءت بصيغة المفعول به منصوب للفعل(أنزل)	
٤٩	**ج ـ الآيات التي وردت فيها الطمأنينة في حالة النصب:**	
٥٠	أوّلاً: جاءت بصيغة فعل مضارع منصوب بعد لام التعليل	
٥١	ثانياً : جاءت بصيغة فعل مضارع منصوب بعد لام التعليل	
٥٢	ثالثاً: جاءت بصيغة فعل مضارع منصوب بعد لام التعليل	
٥٣	رابعاً : جاءت بصيغة فعل مضارع منصوب بعد لام التعليل	
٥٤	خامساً: جاءت بصيغة خبر ثاني لِـ(كان)	
٥٥	سادساً: جاءت بصيغة نعت منصوب، أو حال منصوب	
٥٦	**ثالثاً : الآيات التي وردت فيها (الطمأنينة) في حالة البناء:**	
٥٧	أوّلاً: جاءت بصيغة فعل ماض مبني على السكون	
٥٨	ثانياً: جاءت بصيغة فعل ماض مبني على الضم	
٥٩	ثالثاً: جاءت بصيغة فعل ماض مبني على الفتح	
٦٠	**الفصل الثاني** **السكينة في القرآن الكريم دراسة دلالية**	٤٤-١٠٢
٦١	المدخل : السكينة لغةً	٤٤-٥٠
٦٢	السكينة اصطلاحاً	
٦٣	استعمالات السكينة	
٦٤	درجات السّكينة	
٦٥	مواطن السكينة	
٦٦	فوائد السّكينة	
٦٧	اسباب السكينة	
٦٨	**المبحث الأوّل: السكينة في حالة الحرب**	٥١-٧٣
٦٩	أوّلاً: سكينة بني اسرائيل	
٧٠	ثانياً: سكينة الله سبحانه لرسولهﷺ والمؤمنين في حالة الحرب،(الحديبية)	

٧١	ثالثاً: سكينة الله على رسوله ﷺ وصاحبه (ابي بكر رضي الله عنه) في الغار	
٧٢	رابعاً: سكينة الله على رسوله ﷺ وعلى المؤمنين في القتال، (الحديبية)	
٧٣	خامساً: سكينة الله جلّ وعلا، على رسوله ﷺ وعلى المؤمنين يوم حديبية	
٧٤	سادساً: سكينة الله سبحانه وتعالى على النبي ﷺ، والمؤنين بعد صلح حديبية	
٧٥	**المبحث الثاني: السكينة في حالة القلق والاضطراب**	٩٣-٧٤
٧٦	أوّلاً: الليل سكينة للناس	
٧٧	ثانياً: تسكين أصحاب رسول الله الكرام رضي الله عنهم بصلاة النبي ﷺ	
٧٨	ثالثاً: الليل سكينة للناس مرة ثانية	
٧٩	رابعاً: البيت التي جعلها الله مكاناً للسكينة	
٨٠	خامساً: الليل سكينة للناس مرة ثالثة	
٨١	سادساً: الليل سكينة للناس مرة رابعة	
٨٢	سابعاً: الليل سكينة للناس مرة خامسة	
٨٣	ثامناً: الليل سكينة للناس مرة سادسة	
٨٤	**المبحث الثالث: السكينة في الحياة الزوجية والحياة العادية**	١٠٢-٩٤
٨٥	أوّلاً: الزوجة سكينة للقلوب، وهي أمُّ الأولاد	
٨٦	ثانياً: الزوجة الودودة الحنونة سكينة لقلوب الرجال	
٨٧	**ملحق بالأحاديث الواردة في السكينة**	
٨٨	**الفصل الثالث** **الطُمأنينة في القرآن الكريم، دراسة دلالية**	١٤٦-١٠٣
٨٩	المدخل : الطُمأنينة لغةً	١٠٦-١٠٣
٩٠	معاني الطمأنينة	
٩١	درجات الطُمأنينة	
٩٢	**المبحث الأوّل: الطُمأنينة بمعنى السكون والقرار**	١٢٢-١٠٧
٩٣	أوّلاً: اطمئنان ابراهيم عليه السلام من الإيمان بالله تبارك وتعالى	

٩٤	ثانياً: اطمئنان حواريي عيسى عليه السلام بانزال المائدة من السماء	
٩٥	ثالثاً: اطمئنان المؤمنين بذكرالله تبارك وتعالى	
٩٦	رابعاً: اطمئنان المؤمنين بنصر الله تبارك وتعالى يوم بدر	
٩٧	خامساً: اطمئنان المؤمنين بانزال الملائكة لنصرتهم، يوم بدر	
٩٨	**المبحث الثاني: الطمأنينة بمعنى المَيل والرضى**	١٢٣-١٣٨
٩٩	أولاً: الرضى بالحياة الدنيا والميل والإطمئنان اليها	
١٠٠	ثانياً: اطمئنان المرءِ بالخيرات والبركات التي يجده عندما يؤمن بدين جديد	
١٠١	ثالثاً: الإطمئنان بالإيمان بالله سبحانه وتعالى	
١٠٢	رابعاً: النفس المطمئنة المؤمنة، والراضية القانطة لله تعالى	
١٠٣	**المبحث الثالث: الطمأنينة بمعنى الاقامة في الاوطان بعد السفر**	١٣٩-١٤٦
١٠٤	أوّلاً: الإطمئنان بالعودة الى الوطن والإقامة والإستقرار	
١٠٥	ثانياً: اطمئنان الملائكة لو كانوا يمشون في الأرض	
١٠٦	ثالثاً: القرية الآمنة بالله تعالى، المطمئنة	
١٠٧	**ملحق بالأحاديث الواردة في الطمأنينة**	
١٠٨	**الفصل الرابع** **الألفاظ الدالة على السكينة والطُمأنينة في القرآن الكريم**	١٤٩-١٥٩
١٠٩	أوّلاً: الوقار	
١١٠	ثانياً: الاخبات	
١١١	ثالثاً: الهون	
١١٢	رابعاً: الرحمة	
١١٣	خامساً: الأمن	
١١٤	**الاستنتاجات**	١٦-١٦١
١١٥	**فهرست الأعلام**	١٦٢
١١٦	**المصادر والمراجع**	١٦٣-١٧٥
١١٧	**السيرة الذاتية**	١٧٦

T.C.

Bingöl Üniversitesi

Sosyal Bilimler Enstitüsü Müdürlüğü

Bu belge ile, tezdeki bütün bilgilerin akademik kurallara ve etik davranış ilkelerine uygun olarak toplanıp sunulduğunu beyan ederim. Bu kural ve ilkelerin gereği olarak, çalışmada bana ait olmayan tüm veri, düşünce ve sonuçları andığımı ve kaynağını gösterdiğimi ayrıca beyan ederim.(26.12.2016)

Hassan Mahmud Qadir

الـتّـعـهّـد

أتعهّد بأنّ هذه الرسالة رأت النور بجهدي وكتبتُها بنفسي، بعد عون الله تعالى وقوته، ثمّ بمساعدة السيد المشرف، الدكتور (ابراهيم أوسطه)، في جامعة بينغول، بتركيا، والأستاذ الدكتور (محمد صابر مصطفى الهموندي) أستاذ النحو المساعد في جامعة صلاح الدين، بأربيل، في إقليم كوردستان العراق، والذي يعود الفضل له في اختيار العنوان، ولم أسرق من أية رسالة أخرى، وما أخذت من المصادر والمراجع أشرت اليها، ولم أتقدّم بهذه الرسالة الى أية جهة رسمية معترف بها لدى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في اقليم كوردستان، ولم أحصل بها على أية شهادة معترف بها في أقليم كوردستان.

الباحث

حسن محمود قادر

المُـقَـدّمَــة

لقد حظيت الدراسات الدلالية بِعناية الباحثين قديماً وحديثاً، وبأساليب شتّى في سبرغور الكلام، وبيان آفاقه، ومنعطفاته، وكان الهدف مِن هذه الدراسات الإحاطة بالاسرار البيانية للالفاظ والتراكيب، وليست هذه الدراسات بدعاً على الدرس اللغوي العربي القديم، فقد خاض علماء العربية وعلماء الأصول والمفسّرون في غِمار علم الدلالة، ووضعوا حدودها، وبيّنوا الأغراض منها، والمجالات والأوضاع المختلفة لألفاظ اللغة وتراكيبها، ويرى كثير مِن الباحثين أنّ كُلاً من علم الصوت والصرف والنحو والبلاغة قد اعتمد كُلٌّ على علم الدلالة أساساً، أمّا علم اللغة فقد جعل ميدان دراسته الدلالة بفروعها.

وانطلاقاً مِن هذا الفهم لأهميّة علم الدلالة حاولت أن اضع قدمي على طريق دراستها لعلّي اجدُ له مكاناً بين المزدحمين على مسالِكِها، وبعد العزم على دراسة موضوع دلالي في القرآن الكريم، شاورت مع السيد المشرف (الدكتور ابراهيم أوسطه) في(جامعة بينغول في تركيا)، واستشارت بعض الأساتذة الأجلاء، منهم(الدكتور محمد صابر الهموندي) في(جامعة صلاح الدين في اربيل، باقليم كوردستان العراق)، وفي النهاية اتفقنا مع السيد المشرف على تحقيق ما أرادت تحقيقه، فوجد (السكينة والطمأنينة في القرآن الكريم، معانيها ودلالاتها) موضوعاً مناسباً عسى أن اجدَ في نفسه سكينة وطمأنينة في الدارين إن شاء الله، وبعد التداول والتشاور وشدّ العزم والتوكل على الله لِدراستهِ، بدأت بوضع خطة لِكتابته، وجمع عدداً من المصادر التي احتاجها، وقد أدركت أن مهمّتي ستكون صعبة وعسيرة، وخاصة للحصول على المصادر والمراجع، نظراً لِمنطقتي النائية، والوضع المعيشي الصعب، في ظل الازمة المالية التي تعاني منها العراق عامة واقليم كوردستان خاصة، لِذلك تتطلّب منه الجهد والسعي للوصول إلى تحقيق هذا الأمر.

والمصادر التي استقي منها مادتي العلمية كثيرة ومتنوعة، وتتفرّع منها فروع كثيرة كَكُتب الدِّلالة واللغويات والمعجمات، وكتب معاني الالفاظ وغريب القرآن والتفاسير والنحو والصرف والدراسات الصوتية، وغير ذلك من ميادين المعرفة التي تمتدّ إلى مجالات كثيرة ذات علاقة بالموضوع.

والآن نأتي الى سرد أهم مسوغات البحث، والتي تتضمن أهداف البحث ومشكلته.

أهداف البحث:

ومن خلال هذه الخطة نهدف الى تحديد دلالة السكينة والطمأنينة من خلال سياق آي الذكرالحكيم، وبيننا أن الله سبحانه وتعالى أضاف السكينة الى ذاته في ثلاث مواضع، وأن السكينة اقترنت بالفعل (أنزل)، في خمسة مواضع وانها نزلت في أوقات الحرب والشدة، وأوضحنا ان لفظة الطمأنينة وردت في الكتاب العزيز بصيغ مختلفة في ثلاثة عشر موضعا تدل على عدم القلق والاضطراب. ومن أهمّ الأهداف التي نريد أن نحقّقها، هي:

- خدمة كتاب الله.
- من حيث الواقعية نرى أنّ النفوس تضطرب والقلوب تتطاير وتقلق وتخاف، لذلك لابدّ من مسكن لهذه النفوس الخائفة والمضطربة، ومطمئن لهذه القلوب القلقة، كي تطمئن وتهدأ وتستقر، ومن المعلوم أن بواعث القلق والإضطراب في يومنا هذا أكثر من ذي قبل، لذلك قد حدّد لنا ربّنا وإلهنا وخالقنا سبحانه وتعالى مايهدأنا ويستقرّنا في كتابه العزيز، من ذكرالله سبحانه وتعالى وزوجة ومسكن وصلاة رسول اللهﷺ، وسكينة الله تبارك وتعالى في حالة الحرب لتستقر قلوب ونفوس المؤمنين امام العدو.
- اظهار رحمة الله وشفقته بعباده حين أوجد لهم القلق والإضطراب، أوجد لهم علاجه لمن تمسك به كسائر جوانب الحياة، ومعرفة العبر التي من أجلها ساق القرآن هذه الآيات أكثر من مرة في مواضع عديدة.
- الكشف عن منهج القرآن الكريم من حيث خصائصه ومقوماته وأهدافه وغاياته،وخطوط منهجه الرئيسية والفرعية في خدمة المؤمنين المتمسكين بكتاب الله تعالى.
- بيان الوسائل التي قررها القرآن في مواجهة مشاكل الحياة في الدنيا، والتي تستفيد الجماعة المسلمة منها أثناء حركتها في واقع الحياة.
- الإسهام في إثراء المكتبة الإسلامية في جانب التفسير اللغوي والموضوعي لكتاب الله العزيز الحكيم.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة هذا البحث في سبر غور معضلة القلق والإضطراب وعدم السكون عند الفرد المؤمن وبواعثها وتحليلها وايجاد حل لها وفق ما شرعه الله سبحانه وتعالى لنا، إذ أنّ هناك الكثير من الأسئلة التي تحتاج إلى دراسة علمية دقيقة وعميقة، والتي سنحاول - بعون الله - الإجابة عليها من خلال هذا العمل المتواضع، ومنها:

أ- ما هي الأسباب التي تؤدي إلى ظهور حالة القلق والاضطراب والخوف ؟

ب- وهل هي مرض؟ أو حالة طارئة في حياة المؤمن؟

ت- ما هي الأساليب والتدابير الوقائية اللازمة اتباعها لمنع ظهور مثل هذه الحالة؟

ث- ما هو الأسلوب الأمثل للتعامل مع هذه الحالة؟

ج- لماذا لم تستجب مؤمنواهذا العصرللآيات البينة الجلية؟ وماهي أسباب العمى الذي أصيبو ابه؟

ح- كيف استطاع رسول الله ﷺ والمسلمون الأوائل السيطرة على هذه الحالة وتهدئة نفوسهم؟

الدراسات السابقة:

لم نجد دراسة سابقة تبحث في موضوع(السكينة والطمأنينة)كدراسة لغوية دلالية موضوعية من القرآن، وإنّما طُرِحَت هذه الالفاظ متفرقة هنا وهناك في كتب التفسير، وقد تحدث الكثيرون عن الحالات النفسية للإنسان ولكن على شكل مقتطفات بما يتناسب مع الموضوع المُراد بحثه. فمنهم من تحدث عن الظلم والكبر والشرك والخيانة والغيبة والنميمة، ولكن لم اجد من تحدَّث عن السكينة والطمأنينة معاً وفي جابني اللغوية والدلالة، وأورد آياتها بهذا الأسلوب الموضوعي الشامل من القرآن.

منهجية البحث:

اتبعت المنهج التحليلي في البحث معتمداً على تجميع كل النصوص القرآنية التي تتحدث عن السكينة والطُمأنينة وما يتصل به، ثمّ استعان على فهم تلك النّصوص بالرجوع إلى كتب التفسير ومعاجم اللغة وبعض الكتب الإسلامية التي تحدثت عن جزئيات من الموضوع، كما استعنت بالكتب اللغوية والنحوية والصرفية في دراسة الجانب اللغوي لهذين الكلمتين. واستعنت أيضاً بكتب الحديث الشريف للدلالة على بعض المعاني المتصلة بالموضوع، واتيان الأحاديث التي وردت فيها لفظتي السكينة والطّمأنينة، ثمّ توسع بالفهم وذلك بربط المعاني الجزئية بعضها مع بعض، والخروج بمفاهيم قرآنية حول الموضوع.

ثمّ قام بترتيب وتبويب تلك(الآيات) بناءً على ما تقدم من فهمي لها وتوزيعها على الفصول والمباحث، وربط بين تلك المفاهيم القرآنية وبين الواقع المعاشي بأسلوب حركي قادر على معالجة الظواهر الواقعية المستجدة. وربما تكرر الاستشهاد بالآية الواحدة أكثر من مرة في مواضع متعددة،وذلك لتعدد المعاني التي تُفيدها الآية أوالآيات، وتلك سمةيتميز بها كتاب الله سبحانه وتعالى.

وجمعت أيضاً جميع الآيات التي تتحدث عن لفظتي(السكينة والطمأنينة)، ثمّ تحدث عنها بشكل مجمل نظرا إلى المعنى العام الذي يجمعها.

واقتضت طبيعة البحث أن يكون في اربعة فصول، ومقدّمة ومدخل والاستنتاجات التي توصلت اليها، وقائمة بالمصادر.

بدأنا بملخّصات ثلاث، بلغات تركية وانكليزية وعربية، تحدّثت فيها عن السكينة والطمأنينة من خلال البحث باختصار.

وفي المدخل، أشرت الى أثر القرآن الكريم في السكينة والطمأنينة، والفرق بين السكينة والطمأنينة.

والفصل الأول، خصَّصناه بالدراسة اللغوية للسكينة والطمأنينة من جوانبها الثلاثة الصوتية والصرفية والنحوية، حيث تطرّقت إلى ذكر خصائص أصوات لفظتي(السكينة والطمأنينة) ومخارجهما وصفاتهما، على وفق آراء اللغويين والنحويين القدامى والمحدثين، والتغييرات التي حصلتْ على بنية هاتين اللفظتين وصيغهما وهيآتهما التي وردت بها في القرآن الكريم، مع الإشارة إلى الوظائف النحوية الواردة في سياق الآيات مِن الرفع والنصب والبناء.

وخصّصنا الفصل الثاني، بدراسة(السكينة) في القرآن من حيث الدلالة، والمعاني التي ورد بها في السياق القرآني.

أمّا الفصل الثالث، فقد تناول دراسة(الطمأنينة) في القرآن من حيث المعاني والدلالة التي ورد بها في التعبيرالقرآني.

وخصّصنا الفصل الرابع بدراسة الألفاظ الدالّة على السكينة والطّمأنينة، وأخذت فيها خمسة الفاظ فقط، ولم نأخذ جميع الألفاظ التي تتصل بلفظتي السكينة والطُمأنينة، وهي الاخبات والهون والوقار والررحمة والامن.

واستنتاجات أُوجِزت فيها أهمّ النتائج التي توصلت إليها، مع قائمة بمصادر البحث ومراجعه.

وأخيراً الكمال لله وحده، ولله المثل الأعلى، وكلّ بني آدم خطّاؤون وخير الخطّائين التوّابون. أمّا انا في هذا العمل المتواضع فقد توخّيت الصواب ما استطعت، ومأأصبت فمن الله العلي القدير، وأمّا ما أخطأت فمن نفسي، لكن ارجو أجرالإجتهاد عندالله والتصويب والتقويم والعفو والتسامح عند الأساتذة الأفاضل المقيّمين للبحث، وارجو من الله العلي القدير أن يساعدني في خدمة القرآن الكريم على أحسن وجه، وادعوه أن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وصلّى الله وسلّم على رسوله محمد وعلى آله الطيّبين الطاهرين ومَن تبِعَهم بإحسان إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

الباحث

حسن محمود قاد

Özet

“Sekine” ve “Tumanîne” Allah'ın sadık müminlere bahşettiği bir lütuftur. Bunlarla kalpleri güç ve huzur kazanır. Korkuları ve hüzünleri gider. İnsanoğlunun varoluş nedeni sınanmadır. Sonuca varma yolunda çeşitli imtihanlara maruz kalır. Dinleneceği bir mesken arar. Allah, meskeni dinleneceği ve huzur bulacağı bir sığınak yapmıştır. Ancak hayallerin yanı sıra hüzünler de vardır insanın. Bu meskende hayallerini ve hüzünlerini paylaşacağı bireylere ihtiyaç duyar. Allah sığınacağı bir eş yaratmış, gündüzü çaba geceyi de dinlenmek için istirahat vakti kılmıştır. Hayatta güçlüklerle karşılaşıp gönlü dara düştüğünde huzura kavuşması için kendisini anmasını ve kulluk etmesini emretmiştir. Her taraftan düşmanlarınca kuşatıldığında Allah korku ve kederini gidermek için
üzerine sekine ve tumanineyi indirir.

Anahtar Kelimeler: Kur’ân, Arapça, Güvenlik, Huzur

Abstract

Security and tranquility two things from decision-making God Almighty, descended on the heart of the prophet (Peace be upon him) and his companions esteemed (Allah be pleased with them) in time. and falling down on the hearts of true believers in their faith in every time and place, collect in their hearts the spirit and power, comfort fearful and joy the sad. Because the focus of human existence is the examination and testing of tribulation as mentioned above, it affects fatigue and gloom inspired path to reach the end, needs a home where dwells, God made his house lodgment and shelter and reassure, but there are dreams and sorrows by another, and the need to share these dreams and sorrows, to make couple to live, God made a day of toil and earn a pension, made the night made the night like clothes, to calm down and dwell in it after the fatigue and toil, if they are thinking to live, the boys, livelihood and narrows down his chest, his God ordered his worship, and that reassures his heart, and when you fight and attacks his enemies on every side, God comes down his calm to go about dismay, fatigue and sadness.

Key words: The Koran, Arabic, Security, tranquility.

الملخص

حاول الباحث من خلال اربعة فصول أن يشرح أنّ السكينة والطمأنينة شيئان من لطائف صنع الله سبحانه وتعالى، نزلتا على قلب النبي وأصحابه الكرام في حينه، وتنزلان على قلوب المؤمنين الصادقين في ايمانهم في كل زمان ومكان، فتجمعان في قلوبهم قوة وروحاً، وتسكّنان الخائف وتسلّيان الحزين. وحاول أيضاً أن يظهر أنّ مناط وجود الإنسان هو الإبتلاء والإختبار، فيصيب التعب والغمّ والهم في طريق الوصول الى نهاية المطاف، فيحتاج الى بيت ليسكن ويستقرّ ويهدأ فيه، فجعل الله له البيت مثوى ومأوى يسكن ويطمئن فيه، وذلك من خلال آراء المفسرين الذين اعتمد عليهم لشرح هذه اللفاظ. وهناك أحلام لكل انسان من جانب وأحزان من جانب آخر، ويحتاج الى من يشاركه هذه الأحلام والأحزان، فجعل منها زوجها ليسكن اليها. وجعل الله النهار معاشا للكد وللكسب للمعاش، وجعل الليل لباسا يأوي اليه ليهدأ ويسكن فيه بعد التعب والكد، واذا همّ بالعيش والرزق والأولاد، وسائر الأمور الأخرى، وضاق صدره، أمره الله بذكره وطاعته وعبادته، وبذلك يطمئن قلبه. وبين الباحث أيضاً أنّه عندما يحاربه الأعداء ويحيطه ويهاجمه من كل جانب، وضاق عليه الدنيا، ينزل الله سكينته عليه ليذهب عنه الروع والفزع والتعب والحزن، ويسكن قلبه ويهدّئه ويطمئنّه.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، اللغة العربية، السكينة، الطمأنينة.

المدخل

أولاً : أثر القرآن الكريم في السكينة والطمأنينة

فإنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قول فصل وماهو بالهزل، وهو الحق والحقيقة، من تمسك به اهتدى ومن تركه ضلّ وغوى، لاتنقضي عجائبه، ولايشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن حكم به عدل.

من هنا كان القرآن كتاب حياة لا قصة حياة، وعلى هدي هذه الحقائق المطلقة، لفت انتباهي هاتين الكلمتين(السكينة والطمأنينة)كسائر الكلمات والمواضيع الأخرى في هذا الكتاب العظيم، وكنت على يقين أنّ ورودها بهذا العدد من الآيات والحجم لا بدّ له من عبر جليلة، وفوائد عظيمة، فبدأت النّظر فيها مرة بعد مرة، فوجدت نفسي في شوق إلى سبر أسرارها مااستطعت إلى ذلك سبيلا.

فالحياة كنوز ونفائس، أعظمها الإيمان بالله...وطريقها منارة القرآن الكريم ..والايمان إشعاعة أمان... والأمان يبعث الأمل... والأمل يثمرالسكينة...والسكينة نبع للسعادة، والسعادة حصادها أمن وهدوءنفسي، فلاسعادة إنسان بلاسكينة نفس، ولاسكينة نفس بلااطمئنان القلب.

ممّا لاشك فيه أن كلاً منا يبحث عن السعادة ويسعى إليها، فهي أمل كل إنسان ومنشود كل بشر والتي بها يتحقق له الأمن النفسي، والسعادة التي نعنيها هي السعادة الروحية الكاملة التي تبعث الأمل والرضا، وتثمر السكينة والاطمئنان، وتحقق الأمن النفسي والروحي للإنسان فيحيا سعيداً هادئاً آمناً مطمئناً، وليس الأمن النفسي بالمطلب الهيّن فبواعث القلق والخوف والضيق ودواعي التردد والارتياب والشك تصاحب الانسان منذ أن يولد وحتى يواريه التراب، ولقد كانت قاعدة الاسلام التي يقوم عليها كل بنائه هي حماية الانسان من الخوف والفزع والاضطراب وكل ما يحد حريته وإنسانيته والحرص على حقوقه المشروعة في الأمن والسكينة والطمأنينة وليس هذا بالمطلب الهين فكيف يحقق الاسلام للمسلمين الأمن والسكينة والطمأنينة؟

إنّ الاسلام يقيم صرحه الشامخ على عقيدة أنّ الايمانَ مصدرُ الأمان، إذن فالاقبال على طريق الله هو الموصل إلى السكينة والطمأنينة والأمن، ولذلك فإنّ الايمان الحق هو السّيرُ في طريق الله للوصول إلى حب الله والفوز بالقرب منه تعالى، ولكن كيف نصل إلى هذا الايمان الحقيقي لكي تتحقق السعادة والسكينة والطمأنينة التي ينشدها ويسعى إليهاالانسان لينعم بالامن النفسي ؟

إنّنا نستطيع أن نصل إلى هذا الايمان بنور الله وسنة رسوله (ﷺ)، ونور الله هنا هو القرآن الكريم الذي نستدل به على الطريق السليم ونأخذ منه دستور حياتنا...وننعم بنوره الذي ينير القلب والوجدان والنفس والروح والعقل جميعاً، أليس ذلك طريقاً واضحاً ووحيداً لنصل إلى نعمة الأمن النفسي ؟

لقد عنى القرآن الكريم بالنفس الانسانية عناية شاملة...عناية تمنح الانسان معرفة صحيحة عن النفس وقاية وعلاجاً دون أن ينال ذلك من وحدة الكيان الانساني، وهذا وجه الاعجاز والروعة في عناية القرآن الكريم بالنفس الانسانية، وترجع هذه العناية إلى أنّ الانسان هو المقصود بالهداية والارشاد والتوجيه والاصلاح، فلقد أوضح لنا القرآن الكريم في الكثير من آياته الكريمة أهمية الايمان للانسان وما يحدثه هذا الايمان من بث الشعور بالأمن والطمأنينة في كيان الانسان وثمرات هذا الايمان هو تحقيق سكينة النفس وأمنها وطمأنينتها.

والانسان المؤمن يسير في طريق الله آمناً مطمئناً، لأنّ إيمانه الصادق يمده دائماً بالأمل والرجاء في عون الله ورعايته وحمايته ، وهو يشعر على الدوام بأنّ الله عز وجل معه في كل لحظة، ونجد أن هذا الإنسان المؤمن يتمسك بكتاب الله لاجئاً إليه دائماً، فهو بالنسبة له خير مرشد بمدى أثر القرآن الكريم في تحقيق الاستقرار النفسي له، فمهما قابله من مشاكل وواجهه من محن فإنّ كتاب الله وكلماته المشرقة بأنوار الهدى كفيلة بأن تزيل ما في نفسه من وساوس، وما في جسده من آلام وأوجاع، ويتبدل خوفه إلى أمن وسلام، وشقاؤه إلى سعادة وهناء كما يتبدل الظلام الذي كان يراه إلى نور يشرق على النفس، ويشرح الصدر، ويبهج الوجدان...فهل هناك نعمة أكبر من هذه النعمة التي إنْ دلّت على شيء فإنما تدل على حب الله وحنانه الكبير وعطائه الكريم لعبده المؤمن.

إنّ كتاب الله يوجه الانسان إلى الطريق السليم، ويرشده إلى السلوك السوي الذي يجب أن يقتدى به...يرسم له طريق الحياة التي يحياها فيسعد في دنياه ويطمئنّ على آخرته، إنّه يرشده إلى تحقيق الأمن النفسي والسعادة الروحية التي لا تقابلها أي سعادة أخرى ولو ملك كنوز الدنيا وما فيها، إنّه يحقق له السكينة والاطمئنان، فلا يجعله يخشى شيئاً في هذه الحياة فهو يعلم أنه لا يمكن أن يصيبه شر أو أذى إلا بمشيئة الله تعالى، كما يعلم أنّ رزقه بيد الله وأنه سبحانه وتعالى قد قسّم الأرزاق بين الناس وقدَّرها، كما أنه لا يخاف الموت بل إنه حقيقة واقعة لا مفرَّ منها، كما أنه يعلم أنه ضيف في هذه الدنيا مهما طال عمره أو قصر، فهو بلا شك سينتقل إلى العالم الآخر، وهو يعمل في هذه الدنيا على هذا الأساس، كما أنه لا يخاف مصائب الدهر ويؤمن إيماناً قوياً بأن الله يبتليه دائماً في الخير والشر، ولولا لطف الله سبحانه لهلك هلاكاً شديداً.

إنّه يجيب الانسان على كل ما يفكر فيه، فهو يمنحه الاجابة الشافية والمعرفة الوافية لكلّ أمر من أمور دينه ودنياه وآخرته، إنّ كتاب الله يحقق للانسان السعادة لأنّه يسير في طريقه لا يخشى شيئاً إلا الله، صابراً حامداً شاكراً ذاكراً لله على الدوام، شاعراً بنعمة الله عليه..يحسُّ بآثار حنانه ودلائل حبه... فكل هذا يبث في نفسه طاقة روحية هائلة تصقله وتهذّبه وتقوّمه وتجعله يشعر بالسعادة والهناء، وبأنّه قويٌ بالله..سعيدٌ بحب الله، فينعم الله عز وجل عليه بالنور والحنان، ويفيض عليه بالأمن والأمان، فيمنحه السكينة النفسية والطمأنينة القلبية.

مما سبق يتضح لنا أنّ للقرآن الكريم أثر عظيم في تحقيق الأمن النفسي، ولن تتحقق السعادة الحقيقية للانسان إلا في شعوره بالأمن والأمان، ولن يحس بالأمن إلا بنور الله الذي أنار سبحانه به الأرض كلها، وأضاء به الوجود كله...بدايته ونهايته، وهذا النور هو القرآن الكريم، ويؤكد لنا القرآن الكريم بأنه لن يتحقق للانسان الطمأنينة والأمان إلا بذكره لله عز وجل كما قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾(الرعد: ٢٨/١٣).

إذن علينا أنْ نتمسّك بكتاب الله ونقتدي به، ونتدبّر في آياته البيّنات، ونتأمّل في كلماته التي لا تنفد أبداً كما قال تعالى:﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴾(الكهف:١٠٩/١٨)، حتى نتحلى بالإيمان الكبير في هذه الرحلة الروحية مع آيات الله فنتزوّد بما جاء به القرآن الكريم من خُلُقٍ عظيم، وأدب حميد، وسلوك فريد، ومعرفة شاملة بحقيقة النفس الإنسانية كما أرادها الله عز وجل أن تكون، وترتقي حيث الحب والخير والصفاء والنورانية، فننعم بالسلام الروحي الممدود، والاطمئنان القلبي المشهود، والأمن النفسي المنشود.

ثانياً : الفرق بين السكينة والطمأنينة:

قال ابن القيم الجوزية[1]: الطمأنينة: سكون يقويه أمن صحيح شبيه بالعيان وبينها وبين السكينة فرقان:

أحدهما: أن السكينة صوله تورث خمود الهيبة أحيانا والطمأنينة سكون أمن في استراحة أنس.

والثاني: أن السكينة تكون نعتا وتكون حينا بعد حين و الطمأنينة لا تفارق صاحبها الطمأنينة

(١) ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة، أبوعبدالله، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي(٧٥١هـ)، أحد كبارالعلماء. مولده ووفاته في دمشق. (الأعلام. للزركلي: ٦/ ٥٦).

موجب السكينة وأثر من آثارها وكأنها نهاية السكينة[٢].

وحاصل الفرقين اللذين ذكرهما بين السكينة والطمأنينة هي :

الأول: أن السكينة تصول على الهيبة الحاصلة في القلب فتخمدها في بعض الأحيان فيسكن القلب من انزعاج الهيبة بعض السكون وذلك في بعض الأوقات، فليس حكما دائما مستمرا وهذا يكون لأهل الطمأنينة دائما ويصحبه الأمن والراحة بوجود الأنس فإن الاستراحة في السكينة قد تكون من الخوف والهيبة فقط والاستراحة في منزل الطمأنينة تكون مع زيادة أنس وذلك فوق مجرد الأمن وقدر زائد عليه .

الثاني: أن الطمأنينة ملكة ومقام لا يفارق و السكينة تنقسم إلى سكينة هي مقام ونعت لا يزول وإلى سكينة تكون وقتا دون وقت .

ولكن كل منهما يستلزم الآخر ويقارنه فالطمأنينة تستلزم السكينة ولا تفارقها وكذلك بالعكس لكن استلزام الطمأنينة للسكينة أقوى من استلزام السكينة للطمأنينة .

والطمأنينة أعم فإنها تكون في العلم والخبر به واليقين والظفر بالمعلوم ولهذا اطمأنت القلوب بالقرآن لما حصل لها الإيمان به ومعرفته والهداية به .

وأما السكينة: فإنها ثبات القلب عند هجوم المخاوف عليه وسكونه وزوال قلقه واضطرابه كما يحصل لحزب الله عند مقابلة العدو وصولته[٣].

وقيل: السكينة مفارقة الاضطراب عند الغضب والخوف وأكثر ما جاء في الخوف ويضاف إلى القلب فيكون هيبة وغير هيبة، وأن السكينة هيئة بدنية تنشأ من اطمئنان الاعضاء[٤].

الدلالة، وتعريفها[٥]:

بما أنّ البحث لغوي ودلالي، فلابدّ وأن يُذكر فيها تعريف الدلالة ولو باختصار شديد.

الدلالة: هي مصدر دلّ يدلّ دلالة.

---

(٢) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق : محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، بيروت، ط٢ ، ١٩٧٣: ٢ / ٥١٤ .

(٣) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين: ٢ / ٥١٥ و ٥١٦ . وابوعبد الرحمن علي بن اسماعيل القاضي، الفروق الشرعية واللغوية عند ابن القيم الجوزية، دار ابن القيم، الرياض، دار ابن عفان، القاهرة، ٢٠٠٣م. ص : ٣٩٥ - ٣٩٨.

(٤) أبوهلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى(ت٣٩٥هـ)، معجم الفروق اللغوية، المحقق: بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، (قم)، ١٤١٢هـ : ١ / ٢٨٠ .

(٥) السعدي، عبدالقادر بن عبدالرحمن، أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية: مطبعة الخلود، بغداد، ١٩٨٦م. ص: ١٣- ١٥.

ولِأَئِمَّةِ اللغةِ آراء في الباب الصرفي الذي ينتمي اليه الفعل (دلّ)، فقد جعله جمهورهم من باب (ضَرَبَ يَضْرِبُ) بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع، وذهب بعضهم الى انّه من باب (نَصَرَ يَنْصُرُ) بفتح عين الماضي وضمّ عين المضارع، وأرجعه قسم آخر الى باب (عَلِمَ يَعْلَمُ) بِكسرها في الماضي وفتحها في المضارع، وفي لفظ (دلالة) لغات ثلاث، لأنه يقال: (دَلالة، ودِلالة، ودُلالة)، بفتح الدال وكسرها وضمّها، الاّ أنّ الفتح أعلى، ويُقال فيه أيضاً: (دُلولة) بالضمّ وقلب الألف واواً.

وقد جاء الفعل (دلّ) لمعان متعدّدة: منها أنه يكون بمعنى هدى وأرشد، ورد في لسان العرب قوله: (ودلّ فلان اذا هدى)، ومنه قوله ﷺ : (إنّ الدّالّ على الخير كفاعله).

وحيث أنّ الدلالة هنا ترشد وتهدي الى استيضاح معنى السكينة والطمأنينة، فإنّ المراد بها هنا الهداية والارشاد.

قال الانصاري: وفي الاصطلاح: الدّلَالَة: هي كَون الشَّيْء بِحَالَة يلْزم من الْعلم بِهِ الْعلم بِشَيْء آخر[٦]. وقال الجرجاني: الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص وإشارة النص ودلالة النص واقتضاء النص ووجه ضبطه أن الحكم المستفاد من النظم إما أن يكون ثابتا بنفس النظم أولا والأول إن كان النظم مسوقا له فهو العبارة وإلا فالإشارة والثاني إن كان الحكم مفهوما من اللفظ لغة فهو الدلالة أو شرعا فهو الاقتضاء فدلالة النص عبارة عما ثبت بمعنى النص لغة لا اجتهادا[٧]. والدَّلالة: بالفتح هي كونُ الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر والشيء الأول هو الدال والثاني المدلول، وبالكسر حرفةُ الدلال وما جعلته للدلال أو الدَّليل من الأجرة[٨].

الدلالة اللفظية الوضعية: كون اللفظ متى أطلق أو تخيل فهم منه معناه للعلم بوضعه، وهي منقسمة إلى المطابقة والتضمين والالتزام لأن اللفظ الدال بالوضع يدل على تمام ما وضع له بالمطابقة، وعلى جزئه بالتضمن إن كان له جزء. وعلى ما يلازمه في الذهن بالالتزام كالإنسان

---

(٦) ابن زكريا الانصاري، زكريا بن محمد بن أحمد، الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، المحقق: مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١١. ص: ٧٩.

(٧) الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات: تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت. ص: ١٣٩.

(٨) البركتي، محمد عميم الإحسان، التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م. ص: ٩٦.

فإنـه يـدل علـى تمـام الحيـوان النـاطق بالمطابقـة وعلـى أحـدهما بالتضـمن وعلـى قابـل العلـم بالالتزام[٩].

(٩) المناوي، زين الدين محمد بن تاج العارفين، التوقيف على مهمات التعاريف: تحقيق: محمد رضوان الداية، دارا لفكرالمعاصر،دمشق، دار الفكر، بيروت،١٤١٠هـ. ص: ١٦٧.

الفصل الاول

المبحث الأول

الدراسة الصوتية للسكينة والطُمأنينة

في القران الكريم

المدخل:

الصوت، ودراسة الأصوات:

لقد عرّف علماء اللغة، الصوت بتعاريف عديدة، منها: عرّفه ابو علي النحوي بأنّه: الأثر الواقع على الأُذن من بعض حركات ذبذبيّة للهواء يحدثها الجهازالصوتي للمتكلم[١]، وإنّ دراسة هذه الاصوات هي الخطوة الأولى لِمعرفة حقيقة اللغات ومنها العربية[٢]، (والعلم الذي يبحث في الأصوات يسمّى(علم الصوتيات) (phonetics)، وهي ثلاثة أشياء: نتاج الصوت، وإنتقاله، وإستقباله) ويُعد العرب والهنود أقدم من بحثوا في علم الأصوات اللغوية، فَهُم بذلك سبّاقون للغربيين في هذا المجال، ويُعَدُّ الخليل بن أحمد الفراهيدي[٣]، أول من وَضَع أُصول هذا العلم من العرب فيما وصل إلينا[٤].

وقد بني الدرس الصوتي عند العرب أساساً على القراءات القرآنية، إذ بدأت ملاحظة الأصوات بِالملاحظ الذاتية منذ حقبة مبكرة عن طريق قراءة القران الكريم، ويتضح هذا الأمر في عمل أبي الاسود الدؤلي[٥]، في ضبطه القرآن بالنقط من خلال ملاحظة حركة الشفتين بِقوله لكاتبه: إذا

---

(١) المنصوري، علي جابر، أبوعلي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية، مطبعة الجامعة، بغداد، ١٩٨٧م. ص: ١١٥.

(٢) دي سوسير، فردينان، علم اللغة العام، ترجمة : يوئيل يوسف عزيز، مراجعة: مالك يوسف المطلبي، مطبعة الموصل، ١٩٨٨م. ص: ٥١ .

(٣) الفراهيدي، الخليل بن أحمد(ت١٧٠هـ)، واضع علم العروض، وهو أستاذ سيبويه. ولد ومات في البصرة. له كتاب(العين)، وكتب أخرى كثيرة. (الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس(ت: ١٣٩٦هـ)، الأعلام، دارالعلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م : ٢ / ٣١٤).

(٤) أسر، برجشتر، التطور النحوي للغة العربية: أخرجه: رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٨٢م. ص:١١ .

(٥) أَبُو الأَسْود الدُّؤَلي، ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل(ت٦٩هـ)، واضع علم النحو. من التابعين. أول من نقط المصحف. مات بالبصرة. (الاعلام، للزركلي: ٣/ ٢٣٦).

رأيتني قد فتحتُ فمي بالحرف فانقط نقطة فوقهُ إلى أعلاهُ وإذا ضممتُ فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرتُ فمي فاجعل النقطةمن تحت الحرف[٦]، ولقد قدم الخليل جهودهُ في مجال الدرس الصوتي وهوأوّل من صنّف الأصوات حسب مخارجها... ثم واصل سيبويه[٧] طريق أُستاذه فدرسَ الأصوات بصورة أوفى وأكثر دقّة إذ صنفها حسب المخارج ومايُعرفُ الآن بوضع الأوتار الصوتية مما سمّاهُ سيبويه بالجهر والهمس[٨]، ثم درس ابن جني[٩] الاصوات حسب طريقة النطق، لنجد الأصوات الشديدة والرخوة، ومابين الشديدة والرخوة، وقدم دراسة وصفية واقعية قائمة على الملاحظ الصوتية بعيدة عن الافتراض والتأويل، وعرّف اللغة بأنها أصوات يعبّرُ بها كل قوم عن أغراضهم[١٠]، ويرى بعضهم أنّ كلمة (صوت) تعني: وحدة من وحدات الكلام الإنساني، ذلك أن الكلام هوسلسلة متصلة من الاصوات[١١].

وعند التحدث عن الدراسة الصوتية فهذا يعني البحث عن مخارج أصوات الألفاظ المعنية، أي مكان وكيفية صدورها، وصفاتها، أي ايحات هذه الالفاظ واشاراتها، وتأثيرها على النفوس البشرية.

وبعون الله نفصّلُ في هذا المبحث عن مخارج وصفات أصوات لفظتي السكينة والطمأنينة.

---

(٦) رحمان، رمضان صالح، الألفاظ والتراكيب الدالة على السلام والأمان في القرآن الكريم: رسالة ماجستر تقدّم بها رمضان صالح رحمان إلى مجلس كلية التربية للبنات جامعة بغداد، بإشراف: كريم حسين ناصح الخالدي، و ولاء صادق محسن، شعبان، ١٩٩٩م. ص: ٦٦.

(٧) سِيبوَيْه، عمرو بن عثمان بن قنبر(ت١٨٠هـ)، إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو، صنف كتابه(كتاب سيبويه) في النحو. (الاعلام، للزركلي : ٥/ ٨١).

(٨) سيبويه، الكتاب، ابوالبشرعمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دارالجيل ، بيروت، د. ت: ٢ /٤٠٤ .

(٩) ابن جِني، أبوالفتح عثمان بن جني الموصلي،(ت٣٩٢ هـ)، من أئمة الأدب والنحو، وله شعر. ولد بالموصل وتوفي ببغداد، عن نحو٦٥عاما. (الأعلام للزركلي : ٤/ ٢٠٤).

(١٠) ابن جني، أبوالفتح عثمان، سرّ صناعة الإعراب، تحقيق: مصطفى السقا، محمد الزفزاف، وإبراهيم مصطفى بن عبدالله أمين، ١٩٥٤م. ص : ١٣٨ .

(١١) ابن جنّي، أبو الفتح عثمان بن جنّي، الخصائص، تحقيق: محمدعلي النجار، دارالشؤون الثقافية العامة، بغداد،١٩٩٠م : ٣١/١ .

مخارج أصوات
السكينة والطمأنية وصفاتِها
أوّلاً : (سكن)
أ ـ مخارج أصواتها : (س ، ك ، ن)

أولاً: صوت السين:

يقول سيبويه (ومما بين طرف اللسان وفُوَيْقَ الثنايا مخرج السين)[١٢]، و نقل الحمد عن محمد المرعشى[١٣] قوله أنّ مخرجها: (ما بين رأس اللسان وبين صفحتي الثنيتين العليين، أعني صفحتيهما الداخليتين، يخرج منه الصاد فالسين فالزاي، ولايتصل رأس اللسان بالصفحتينِ بل يسامتهما)[١٤]، ويقول أبو البركات الأنباري[١٥](مخرج السين وهو من بين طرف اللسان وفويق الثنيايا السفلى وتسمى بحرف الصفير)[١٦].

ثانياً: صوت الكاف:

يقول سيبويه: (ومن أقصى اللسان وما فوقهُ من الحنك الأعلى مخرج القاف، ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الاعلى مخرج الكاف[١٧] ، وقال الحمد: .....، والعكدة وهي آخر اللهاة من جانب الفم، وجعل الكاف تخرج من العكدة، وسماها عكدية[١٨]، وجرى بعض المحدثين على منهاج علماء العربية في اعتبار القاف من حروف اللهاة أو أقصى اللسان، والكاف أدنى من ذلك إلى مقدم الفم[١٩].

---

(١٢) سيبويه، الكتاب: ٤٣٣/٤ .

(١٣) المَرْعَشي، محمد بن أبي بكر(ت١١٤٥هـ)، فقيه حنفي وصنف نحوَ(٣٠ كتابا ورسالة). توفي بمرعش، (الأعلام، للزركلي : ٦/ ٦٠).

(١٤) الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، مطبعة الخلود، بغداد، ١٩٨٦م . ص: ٢١١ .

(١٥) الأَنْبَاري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله(ت٥٧٧هـ)، من علماء اللغة والأدب وتاريخ الرجال. سكن بغداد وتوفي فيها. (الأعلام، للزركلي: ٣/ ٣٢٧).

(١٦) الأنباري، أبوالبركات، أسرارالعربية: تحقيق: فخر صالح قدارة، دارالجيل، بيروت، ١٩٩٥م. ص: ٣٦٠/١ .

(١٧) سيبويه، الكتاب: ٤٣٣/٤ .

(١٨) الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. ص: ١٩٤ .

(١٩) أنيس، ابراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط٤، ١٩٧١م. ص:٨٥.

أولاً: صوت النون:

يقول سيبويه: (ومن حافة السان من أدناها الى منتهى طرف اللسان وما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا مخرج النون)[٢٠]، و نقل الحمد رأياً آخر ويقول: (والنون من طرف اللسان، بينهُ وبين ما فُويقَ الثنايا العليا، ويتصل بالخياشيم)[٢١]، ويقول أيضاً: (النون الساكنة مركب من صوتين: صوتُ ذاتهِ وهوصوت جارٍ في داخل الفم ينقطع في مخرج النون والميم، وصوتُ صفتهِ وهو صوت جارٍ في الخيشوم)[٢٢] .

ب ـ صفات أصواتها: (س ، ك ، ن)

أولاً: صوت السين:

يقول سيبوية حرف السين من الحروف المهموسة وعددها عشرة[٢٣]، ويقول ابن جني وهو يجمع الحروف المهموسة، ويجمعها في اللفظ قولك (ستشحثك خصفه)[٢٤]، وكان علماء التجويد قد لحظوا على نحو واسع التقابل بين بعض الأصوات المجهورة والمهموسة، وأدركوا ظاهرة الجهر وعدمها في التمييز بين الأصوات، فالسين مثلاً:(امتازت عن الزاي بالهمس ولولاهُ لكانت زاياً)[٢٥]. ويقول مكي[٢٦]: (ولولا الهمس الذي في السين لكانت زاياً كذلك لولا الجهر الذي في الزاي، لكانت سيناً، إذ قد اشتركا في المخرج والصفير والرخاوة والانفتاح والتسفل، وإنما اختلفا في الجهر والهمس لاغير)[٢٧]، ويقول المبرد[٢٨] عن السين: (ومن طرف اللسان وملتقى حروف الثنايا حروف

---

(٢٠) سيبويه، الكتاب: ٤ / ٤٣٣ .

(٢١) الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. ص: ٢٠٤ .

(٢٢) المصدر نفسه : ٢٠٤ .

(٢٣) سيبويه، الكتاب: ٤٣٤/٤ .

(٢٤) ابن جنّي، سرّ صناعة الاعراب: ٦٩/١.

ومكي بن أبي طالب القيسي(ت٤٣٧هـ)، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دمشق ـ سوريا، ١٩٧٣م. ص: ٩٢ .

(٢٥) الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. ص:٢٣٩ و ٢٤٠ .

(٢٦) مكي بن أبي طالب القيسي(ت٤٣٧هـ)، عالم بالتفسير والعربية من أهل القيروان ولد فيها، ثم سكن قرطبة وتوفي فيها. (الأعلام، للزركلي : ٧ / ٢٨٦).

(٢٧) مكي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة. ص: ١٨٥ .

(٢٨) المبرد، محمد بن يزيد بن عبدالأكبرالثمالي الأزدي،(٢٨٦هـ)، إمام العربية ببغداد في زمنه، مولده بالبصرة ووفاته ببغداد. قال الزبيدي: المبرّد بفتح الراء المشددة عند الأكثر وبعضهم يكسر. (الأعلام، للزركلي : ٧/ ١٤٤).

الصفير، وهي حروف تنسل انسلالاً، وهي السين و الصاد والزاي[٢٩]، وحقيقة الصفير أنه اللفظ الذي يخرج بقوة مع الريح من طرف اللسان مما بين الثنايا تسمع له حساً ظاهراً في السماع[٣٠]، ويقول سيبويه: (ولولا الاطباقُ لصارت الصادُ سينا)[٣١]، ويقول الحمد: (صوت السين صوت رخو أو(احتكاكي)، ويعَرِّفُه بالصوت الّذي لاينحبسُ الهواء في مخرجه حبساًتاماً، وذلك بأن يضيق مجرى النفس باقتراب عضوين من اعضاء آلة النطق نحو بعضهما في مخرج الحرف، دون أن يقفلا المجرى ، فيحدثُ النفسُ في أثناء مرورهِ بمخرج الصوت خفيفاً مسموعاً تختلف نسبتهُ تبعاً لنسبة ضيق المجرى[٣٢].

ثانياً: صوت الكاف:

يَعُدُّ سيبويه حرف الكاف حرفاً شديداً، وعرّف الشديد بأنهُ: يمنع الصوت أن يجري فيه[٣٣]، ويعده المبرد من حروف القلقلة، ويقول: واعلم أن من الحروف حروفاً محصورة في مواضعها فتسمع عند الوقف على الحرف منها نبرة تتبعهُ فهي حروف القلقلة، وإذا تفقدتَ ذلك وجدتهُ، فمنها القافُ والكاف إلا أنها دون القاف لأنّ حصر القاف أشدّ، وإنّما تظهر هذه النبرة في الوقف فإن وصلت لم يكن، لأنك أخرجتَ اللسان عنها إلى صوت آخر[٣٤].

ثالثاً: صوت النون:

يقول سيبويه: (وحرفا الغنة: النون والميم)ويعدّهما من الحروف المنحرفة أيضاً[٣٥]، وقال الحمد: (والأغنّ النون والميم سمّيا بذلك لأن فيهماغُنةً وهو صوتٌ يخرجُ من الخياشيم، وإنّما سمّي هذا الصوت غنةً، لجريهِ مع النونِ والميمِ بعد لزوم اللسانِ موضعهما، يدلُّك على ذلك أنّك لو أمسكتَ بأنفك عند النطق بهما لانحصَرَ الصوتُ فيهما كالطنين، لأنّ الخيشوم مركب فوق الغار الأعلى،

---

(٢٩) المبرد، المقتضب، تحقيق: محمد عبدالخالق عظيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ القاهرة: ١ /١٩٣ .

(٣٠) مكي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة. ص: ١٨٦ .

(٣١) سيبويه، الكتاب : ٤٣٦/٤ .

(٣٢) الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. ص: ١٤٠ .

(٣٣) سيبويه، الكتاب: ٤٣٤/٤. و مكي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة. ص: ٩٣.

(٣٤) المبرد، المقتضب: ١/ ١٩٦ .

(٣٥) سيبويه، الكتاب: ٤ /٤٣٥ .

وإليه سمّو هذا الصوت[٣٦]، ويعدّه من الحروف المتوسطة التي بين الشدّة والرخاوة، ويقول: أمّا عدد الحروف التي بين الشديدة والرخاوة (أي المتوسطة) فإنّ بعض علماء التجويد تابع علماء العربية في عدّها ثمانية يجمعها كلمة(لم يروعنا)، وقد استخدم علماء الأصوات المحدثون لوصف النون والميم كلمة (الانفية)[٣٧]، ويقول سيبويه وهو يتحدّث عن صفات الحروف: (ومنها المطبقة والمنفتحة، فأما المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء، والمنفتحة كلّ ما سِوى ذلك من الحروف، لأنّك لاتطبق لِشيءٍ منهنّ لسانك، وترفعه إلى الحنك الأعلى)[٣٨]، وقال مكّي: (وإنّما سمّيت بالمنفتحة لأنّ اللسان لا ينطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بها، ولا تنحصر الريح بين اللسان والحنك بل ينفتح ما بين اللسان والحنك)[٣٩].

ثانياً: (طمأن)

أ ـ مخارج أصواتها: (ط ، م ، أ ، ن)

أولاً: صوت الطّاء:

يقول سيبويه (ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء..)[٤٠]، ويقول الداني[٤١]: (فالطاء والتاء والدال من مخرج واحد، وهو بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مصعداً إلى الحنك)[٤٢]، ويقول الخليل (الطاء....نِطعية، لأن مبدءها من نطع الغارالاعلى)[٤٣]، ويقول أنيس: عن مخرج الطاء(التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا)[٤٤].

---

(٣٦) الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. ص: ٣١٠ .

(٣٧) المصدر نفسه : ٢٥٨ و ٣١٤ .

(٣٨) سيبويه، الكتاب: ٤ /٤٣٦ .

(٣٩) مكي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة. ص: ٩٩ .

(٤٠) سيبويه، الكتاب: ٤/ ٤٣٣ .

(٤١) الدَّاني، عثمان بن سعيد بن عثمان(ت٤٤٤هـ)، أحد حفاظ الحديث، ومن الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره، من أهل دانية بالأندلس، وتوفي في بلده، له أكثر من مئة تصنيف. (الأعلام، للزركلي : ٤/ ٢٠٦).

(٤٢) الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. ص: ٢٠٨ .

(٤٣) الفراهيدي، الخليل بن احمد، العين: تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دارالرشيد للنشر، الكويت،١٩٨٠م : ٥٨/١ .

(٤٤) انيس، الأصوات اللغوية. ص: ٤٨ .

ثانياً: صوت الميم:

يقول سيبويه (ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو)[٤٥]، وقال الحمد نقلاً عن الداني(غيرأن الشفتين تنطبقان في الباء والميم)[٤٦]، ويقول محمد المرعشي بعد ترتيب الحرف الثلاثة(ب، م، و)، (ولعل وجه الترتيب هنا أن لكل من الشفتين طرفين، طرف منه يلي داخل الفم والاخر يلى البَشرة....والمنطق في الميم وسطهما)[٤٧]، أي مابين داخل الفم والبشرة.

ثالثاً: صوت الهمزة:

يقول سيبويه: ولحروف العربية ستة عشر مخرجاً، فللحلق منها ثلاثة: فأقصاها: الهمزة)[٤٨]، وكان الخليل قد قال قديماً: الألف و الواو والياء هوائيّة[٤٩]، ويقول مكي: (الهمزة أول الحرف خروجاً، وهي تخرج من أول مخارج الحلق من آخر الحلق مما يلي الصدر)[٥٠]، وقال الحمد نقلاً عن الداني: (يخرج من أول الصدر وآخر الحلق)[٥١]، وكل ذلك يشير إلى فتحة المزمار الكائنة بين الوترين الصوتين، حين ينطبق الوتران انطباقاً تاماً، حال النطق بالهمزة، فلا يسمحان للهواء بالمرور من الحنجرة، ثم يخرجان فجأة فيندفع الهواء محدثاً صوت الهمزة)[٥٢]، ويقول أبوالبركات الأنباري(الهمزة والألف والهاء)من أقصى الحلق ممايلى الصدر)[٥٣].

صوت النون: وقد سبق الحديث عن مخرج النون عند ذكر مخارج أصوات (سكن)[٥٤].

ب ـ صفات أصواتها: (ط ، م ، أ ، ن)

قال المكي (واعلم أنّه لولا اختلاف الصفات في الحروف لم يفرّق في السمع بين أحرف من مخرج واحد، ولولا اختلاف المخارج لم يفرّق في السمع بين حرفين أو حروف على صفة واحدة)[٥٥].

---

(٤٥) سيبويه، الكتاب: ٤٣٣/٤. والأنباري، أسرار العربية:٣٦٠/١ .

(٤٦) الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. ص:٢١٦ .

(٤٧) المصدر نفسه : ٢١٦ .

(٤٨) سيبويه، الكتاب: ٤ /٤٣٣ .

(٤٩) الفراهيدي، العين: ١ / ٥٨ .

(٥٠) مكّي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة:١١٩ .

(٥١) الحمد، الصوتية عند علماء التجويد. ص: ١٩٣ .

(٥٢) انيس، الأصوات اللغوية. ص: ٩١ .

(٥٣) الأنباري، أسرار العربية:٣٩٥/١ .

(٥٤) يُنظر: ص(١٤) في هذه الرسالة.

(٦٤) مكي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة. ص: ١٩١ و ١٩٢ .

أولاً: صوت الطاء:

من حروف القلقلة، ومذهب جمهورعلماء التجويد أنّها خمسة حروف وجميعها مجهورة بحسب الوصف القديم لها، ويجمعها (قُطبُجَدّ)[٥٦]، وذكر الحمد أنّ محمداً المرعشي قال(وخصّوا القلقلة بحروف اجتمع فيها الشِّدّةُ والجهر)[٥٧]، وقد قال الخليل(القلقلة شدة الصّياح، والقلقلة شدّةُ الصوت)[٥٨]، وقيل(والطاء حرف مجهورٌ أيضاً عند علماء العربية وعلماء التجويد)[٥٩]، (لكنه مهموس في النطق العربي اليوم)[٦٠]، وهنا يترجح لدى بعض المحدثين أن صوت الطاء الذي وصفه القدماء بأنه صوت مجهور، يشبه صوت الضاد الذي ينطقه أهل مصر اليوم أي أنه الصوت المطبق للدال[٦١]، ويؤيد ذلك قول سيبويه عندما يتحدث عن حروف الاطباق الاربعة(ولولا الاطباق لصارت الطاء دالاً، والصادُ سيناً، والظاء ذالا)[٦٢]، فهذا النص صريح في كون الطاء العربية هي النظير المطبق للدال، وأنهُ إذا أزيل الاطباق عنها صارت دالاً، وهذا الوصف ينطبق على الضاد التي ينطقها الناس في مصر، فهي النظير المطبّق للدال، وهذا يعنى أن تحولاً حصل في نطق الطاء والضاد معاً، لأنّ الطاء اليوم إذا أزيل عنها الاطباق صارت تاء، لأنها مهموسة وليس بينها وبين التاء من فرق سوى الاطباق، ونقل الحمد عن المرعشي قوله(إن الطاء والتاء من مخرج واحد ومتحدتان في صفات الاطباق والاستعلاء والجهر، فإنها صفات الطاء، وأضدادها هي الانفتاح والاستفالة، والهمسُ صفات التاء، ومتى عدمت تلك الصفات للطاء يصيرُ تاء، وإذا لم تعدم اطباق الطاء واستعلاؤها، لكن أعدمت جهرها فأعطيتَ لها همساً كما يفعله بعض المبتدءين في ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾(الفاتحة: ٨/١)، فلا يكون المغيّرُإليه حرفاً من حروف التسعة والعشرين، لكن لك أن تسمىّ المغيّرإليهِ طاء مهموسة أوتاء مطبقة، أوتاء مفخمة[٦٣].

---

(٥٦) المصدر نفسه :٣٠٧ و ٣٠٨ .

(٥٧) الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. ص:٣٠٧ .

(٥٨) المصدر نفسه :٣٠٨ .

(٥٩) سيبويه، الكتاب: ٤ / ٤٣٤ .

(٦٠) انيس، الأصوات اللغوية. ص: ٦٢.

(٦١) المصدر السابق. ص : ٦٣ .

(٦٢) سيبويه، الكتاب: ٤٣٦/٤ .

(٦٣) الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. ص: ٢٤٦ و ٢٤٧ .

ثانياً: صوت الميم:

قال الخليل(اعلم أنّ حروف الذلق والشفوية ستة، وهي(ر،ل،ن،ف،ب،م)، وإنّما سُمّيت هذه الحروف ذلقاً، لأنّ الذلاقة في المنطق إنّما هي بطرف أسلة اللسان والشفتين، وهما مدرجة هذه الأحرف الستة، منها ثلاثة شفوية(ف ب م)مخرجها من بين الشفتين خاصة[٦٤].وقال ابن دريد[٦٥]: (وسُمّيت الحروف (مذلقة) لأنّ عملها في طرف اللسان، وطرف كلّ شيء ذلقه، وهي أخفّ الحروف وأحسنها امتزاجاً بغيرها)[٦٦].

ويُلخّص ابن جنّي القول عن المذلق بقوله وحروف الذلاقة ستة (ل ر ن ف ب م)لأنّه يعتمد عليها بذلق اللسان وهو صدره وطرفه[٦٧]، ولكن يرى الحمد أنّ اطلاق كلمة (المذلقة) على الحروف الستة وحملها على معنى أنّها تخرج من طرف اللسان، كما جاء في قول ابن جنّي، مذهب غير سديد، لأنّ حروف الشفة (ف ب م) لا صلة لِطرف اللسان بِمخرجها[٦٨].

ثالثاً: صوت الهمزة:

قال أنيس: أمّا الهمزة فقد ذهب سيبويه وغيره من علماء العربية، وعلماء التجويد، إلى أنّها صوت مجهور[٦٩]،وقال الحمد :وهي عندالمحدثين ليست مجهورة،وقداختلفوا، فبعضهم قال: إنّها مهموسة، وتأتي جهة الهمس في هذا الصوت من أنّ اقفال الوترين الصوتيين معه لايسمح بوجودالجهر في النطق[٧٠]، وقال أنيس: الهمزة صوت لا هو بالمجهور ولاهو بالمهموس، لأنّ وضع الوترين حال النطق بها لايسمح بالقول بوجود ما يسمّى بالجهر أوالهمس[٧١]، وقال الحمد: وفسّربعض المحدثين عدُّالهمزةمن الحروف المجهورة لدى علماء العربية وعلماء التجويدعلى أساس أنّهم لم يوفّقوا في نطق الهمزة مجردة، فكانوا ينطقونها متلوّة بحركة، والحركة مجهورة،

---

(٦٤) الفراهيدي، العين: ١ / ٥١ .

(٦٥) ابن دُرَيْد، محمد بن الحسن بن دريد الأزدي(٣٢١ هـ)، من أئمة اللغة والأدب، يقولون: ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء. ولد في البصرة، توفي في بغداد. (الأعلام، للزركلي : ٨٠/٦).

(٦٦) ابن دريد، جمهرة اللغة: ١ / ٧ .

(٦٧) ابن جنّي، سرّ صناعة الاعراب: ١ / ٧٤ و ٧٥ .

(٦٨) الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. ص: ٣٠٠ .

(٦٩) انيس، الأصوات اللغوية. ص: ٦٣ و٨٥. وسيبويه، الكتاب: ٤ / ٤٣٤ .

(٧٠) الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. ص: ٢٤١ .

(٧١) انيس، الأصوات اللغوية. ص: ٩١ .

فأثرجهرالحركةعلى نطق الهمزةحتّى عزوا جهرها للهمزة نفسها وحمّل بعضهم ذلك على أنّهم وصفواهمزة مسهلة، وهي حينئذ أشبه بحروف اللين التي هي أصوات مجهورة[٧٢].

صوت النون:

وقد سبق ذكر صفات حرف النون عند ذكر صفات حروف(سكن)[٧٣].

(٧٢) الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. ص: ٢٤٢ .

(٧٣) ينظر: ص(١٤) في هذه الرسالة .

المبحث الثاني

الدّراسة الصّرفية للسكينة والطمأنينة

المدخل:

لقد أدمج العلماء لفظ(التصريف) بلفظ(الصرف) في دلالة واحدة، علماً بأنهما مختلفان اشتقاقاً ومختلفان اصطلاحاً، فمن حيث اختلافهما اشتقاقاً: إن الصَّرفَ مصدر(صَرَفَ)، و(التصريف) مصدر الرباعي (صَرَّفَ)، أما في الاصطلاح: فإنّ الصرفَ والتصريف عند المتأخرين واحد، أما التصريف عند سيبويه، فيختلف عن الصرف، إذ إنّ التصريف يمثل الجانب العملي وإن الصرف يمثل الجانب النظري، فهو يرى أن التصريف: هو أن تبني من الكلمة ببناء لم تبنه العرب على وزن ما بَنَتهُ[٧٤]، وهذا يعني أنَّ التصريف عندهُ بمعنى التدريب أي إننا كيف نتعلم أن نبني كلمة لم تنطق بها العرب على وفق القواعد الموضوعة المستقلة من أبنية العرب التي نطقوا بها، والصرف: تغيير في بنية الكلمة لغرض معنوى أولفظي[٧٥]، وقال ابن عقيل في تعريف التصريف: (علمٌ يبحثُ فيه عن أحكام بُنية الكلمة العربية وما لِحروفها مِن أصالة وزيادة وصحّة واعلال[٧٦]، وقيل: التصريف علمُ بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب)[٧٧]، وذكرالسيوطي: أنّ التصريف في اللغة: التقليب من حالة إلى حالة، وهومصدرٌ(صَرفَ) أي جعله يتقلب في أنحاء كثيرة وجهات مختلفة[٧٨].

ومنه قوله عزّوجل:﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾(الأنعام: ٤٦/٦)، أوهو: التغيير والتقليب من حال إلى

---

(٧٤) سيبويه، الكتاب: ٢ /٢٤١.

(٧٥) ابن هشام، أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف، أوضح المسالك إلى ألفية إبن مالك، دار الجيل - بيروت، ط٥، ١٩٧٩: ٤ / ٣٦٠ .

(٧٦) محمد محي الدين عبدالحميد، شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، لقاضي القضاة بهاء الدين عبدالله ابن عقيل العقيلي الهمداني المصري، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، مكتبة الكمال، د ت ، د ط : ٢/ ٥٢٩ .

(٧٧) النحوي، جمال الدين أبوعمرو عثمان بن عمر (ت٦٤٦هـ)، الشافية في علم التصريف: تحقيق: حسن أحمد العثمان، المكتبة المكية، مكة ، ١٩٩٥م: ١ / ٦ .

(٧٨) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكرالسيوطي(ت٩١١هـ)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، عبدالعال سالم مكرم، دارالبحوث العلمية، الكويت، ١٩٨٠م: ٦ /٢٢٨.

حال وهو مصدر(صرف) من صرف الزمان وصروفه و تصاريفهِ أي تقلباتِهِ، وصرفَهُ جعله يتقلب في أنحاء كثيرة وجهات مختلفة، فتصريف الأُمور والرياح والسحاب والقلوب: يعني تحويلها من جهة إلى جهة[٧٩].

ومنه قوله تعالى:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾(البقرة: ١٦٤/٢).

وفيما يأتي يوضِّحُ البحث الدراسة الصرفية لـ(السكنية والطمأنينة) في التعبير القرآني.

(٧٩) نهر، هادي، الصرف الوافي دراسة وصفية تطبيقية في الصرف وبعض المسائل الصوتية: مطبعة التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٩م . ص : ٢١ .

أوّلاً : السكينة

قال الخليل: سكن: السُّكونُ: ذهاب الحركة، سكن، أي: سكت... سكنت الريح، وسكن المطر، وسكن الغضب، والسَّكينةُ: الوداعة والوقار، تقول: هو وديع وقور ساكن[٨٠]، وقال الجوهري[٨١]: سَكَنَ الشيء سُكوناً: استقرَّ وثبت، وسكَّنَهُ غيره تَسْكيناً، والسَكينَةُ: الوَداعُ والوقار، وسَكَنْتُ داري وأَسْكَنْتُها غيري والاسم منه السُكْنى[٨٢]، وقال ابن منظور: السُّكُونُ ضدّ الحركة سَكَنَ الشيءُ يَسْكُنُ سُكوناً إذا ذهبت حركته وأَسْكَنه هو وسَكَّنه غيره تَسْكيناً وكل ما هَدَأَ فقد سَكَن كالريح والحَرّ والبرد ونحو ذلك وسَكَنَ الرجل سكت[٨٣].

وقال الأندلسي: السكينة: (فعيلة) من السكون[٨٤]، وعن ابن سيده: لانظير لها[٨٥]، وقال في المخصص: والسّكون: ضد الحركة (سكَن يسكُن سُكوناً) وأسكَنْتُه وسكّنتُه، وكل ما هدأ فقد سكن كالريح والحرّ والبرد ونحو ذلك، والسَّكِينَة والسَّكِّينة: الوَقَار ولا نظير لهذه الأخيرة وتَسَكَّن الرجل من السَّكِينة[٨٦]، وقال ابن زكريا: (السين والكاف والنون أصلٌ واحدُ مطَّردٌ ويدلُّ على خِلاف

---

(٨٠) الفراهيدي، العين: ١ / ٤٣١ .

(٨١) الْجَوْهَري، إسماعيل بن حماد،(ت٣٩٣ هـ)، لغويّ، من الأئمة، أقام ومات في نيسابور. (الأعلام، للزركلي: ١/ ٣١٣).

(٨٢) الجوهري، إسماعيل بن حماد(ت٣٩٣هـ)، معجم الصِّحاح ـ قاموس عربي ـ عربي: تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت: ١ / ٣٢٣ .

(٨٣) ابن منظور، أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري(ت ٧١١ هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م .(سكن): ١٣ / ٢١١ .

(٨٤) الأندلسي، أثيرالدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف(ت٧٤٥ هـ)، البحر المحيط، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت،١٤٢٠ هـ : ٢/ ٤٨٥.

وابن الجوزي، للامام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي(ت٥٩٧هـ)، زاد المسيرفي علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ : ٣/ ١٦٣.

والبغوي، أبومحمد الحسين بن مسعود الفرّاء(ت٥١٦هـ)، معالم التنزيل، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، مطبعة دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٠م : ١/ ٢٩٩.

وشهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري(ت٨١٥هـ)، التبيان في تفسير غريب القرآن، تحقيق: فتحي أنور الدابولي، دار الصحابة للتراث بِطنطا، القاهرة، ١٩٩٢م : ٢٢٢/١.

(٨٥) ابن سيده، أبوالحسن علي بن إسماعيل(ت: ٤٥٨هـ)، المحكم والمحيط الأعظم: المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ٢٠٠٠ م : ٣ / ١٤٤ .

(٨٦) ابن سيده، أبوالحسن علي بن إسماعيل(ت٤٥٨هـ)، المخصص، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٩٩٦م: ٢٥٢/١.

الاضطراب والحركة، يقال سَكَن الشّيءُ يسكُن سكوناً فهو ساكن)[٨٧]، وقال الزبيدي: سكن الشئ سكونا ذهبت حركته و(قرّ)، وقال ابن الكمال: السكون عدم الحركة عما من شأنه ان يتحرك فعدم الحركة عما ليس من شأنه ان يتحرك لايكون سكونا فالموصوف به لايكون متحركا ولاساكنا، و(يسكنُ سكناً وسكوناً) أقام[٨٨]، وقال ابن عباد: سَكَنَ يَسْكُنُ سُكُوناً: إذا ذَهَبَتْ حَرَكَتُهُ، وهو مُسْتَعْمَلٌ في الريْح والمَطَرِ والغَضَبِ وغيرِها، والسَّكِيْنَةُ: الوَقارُ والوَدَاعَةُ، وكذلك السكيْنَةُ مُشَدَّدُ الكاف[٨٩]، وقيل: سكن المتحرك سكونا وقفت حركته، والمتكلم سكت والمطر فتر والريح هدأت والنفس بعد الاضطراب هدأت وإليه استأنس به واستراح إليه والحرف ظهر غير متحرك والمكان وبه(سكنا وسكنى) أقام به واستوطنه[٩٠].

وقد ورد صيغ (سكن) في عدة آيات في كتاب الله عزو جلَّ، وهذه الآيات هي:

قال تعالى ﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ ﴾(البقرة: ٢٤٨/٢). وقال﴿ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ ﴾(التوبة: ١٠٣/٩).

وقال﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ ﴾(التوبة: ٢٦/٩). وقال﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ ﴾(التوبة: ٤٠/٩) وقال ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ ﴾(الفتح: ٢٦/٤٨) وقال﴿ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا ﴾(الأنعام:٩٦/٦) وقال﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾(النحل: ٨٠/١٦) وقال﴿ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ ﴾(الفتح: ٤/٤٨) وقال﴿ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ ﴾(الفتح: ١٨/٤٨)، وقال﴿ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ ﴾(القصص: ٧٢/٢٨) ، وقال﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ ﴾(الاعراف: ١٨٩/٧) وقال﴿ جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ ﴾(النمل: ٨٦/٢٧) وقال﴿ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ ﴾(يونس: ٦٧/١٠) وقال﴿ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ ﴾(القصص: ٧٣/٢٨)، وقال﴿ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ ﴾ (الروم: : ٢١/٣٠)، وقال﴿ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ (غافر: ٦١/٤٠).

---

(٨٧) ابن زكريا، أبوالحسين أحمد بن فارس(ت٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، اعتنى به محمد عوض مرعب، والآنسة فاطمة محمد أصلان، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م. (سكن) ص: ٤٦٤ .

(٨٨) الزبيدي، محب الدين أبوفيض السيد محمد بن محمد بن عبد الرزّاق الحسيني(ت: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس: تحقيق علي شبري، دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٤م: ١ / ٨٠٨٦ .

(٨٩) ابن عباد، إسماعيل بن عباد بن العباس(ت ٣٨٥هـ) المحيط في اللغة: ٣١/٢ .

(٩٠) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار(الجمهورية) للصحافة، ط٢، ١٩٨٥م : ١ / ٩١١ .

ثانيا: الطمأنينة:

(اطْمَأَنَّ) رباعي جاء على صيغة (إفْعَلَلَّ)، وهي مصدر، والمصدر: (كلمة تدل على حالة أوحدث دون الاشارة إلى زمان معين)[٩١]، وقال ابن جني(لقد ذكرسيبويه أن اطمأنَّ مقلوب وإن أصله من (طأمنَ) وحجّتُهُ أن (طأمن) غير ذي زيادة، والزيادة إذا لحقت الكلمة لحقها ضرب من الوهن لذلك، أما ابو عمر فقد قال(اطمأنَّ) هوالاصل، وذلك لقولهم في المصدر(الاطمئنان) قبل قولهم (الطأمنة) بإزاء قولك (الاطمئنان) فمصدر بمصدر، إن الزيادة في المصدر جرت على الفعل والعلّة في الموضعين واحد، كذلك الطمأنينة ذات زيادة فهي إلى الاعتلال أقرب[٩٢]، وقال سيبويه: وإذا صغرت الطمأنينة قلت (طُمَيئَنَةُ) تحذف إحدى النونين لأنها زائدة، فإذا حذفتها صار على مثال (فُعَيعِيل) وإذا صغرتَ (مطمئنّاً) حذفت الميم واحدى النونين، ولابُدَّ أن تحذف الزائدتين جميعاً، لأنك لوحذفت احداهما لم يجيء ما بقي على مثال (فُعَيعيل) ولا(فُعَيعِل) و(الاطمئنان) تحذف الالف والنون منها حتى يصير على مثال (فُعَيعيل)[٩٣]، قال بعضهم(ومن القلب: طأمنَ واطمأنَّ)، وقد قال ابو الفتح: اعلم أن أباعمرالجرمي خالف سيبويه في هذه اللفظة، فذهب إلى أنَّ(اطمأنَّ) غير مقلوب، وإنَّ(طأمن) هوالمقلوب، كان أصل هذا الفعل عندهُ أن يكون الميم قبل الهمزة، وهو بخلاف مذهب سيبويه، إنّ (طأمن) هوالأصل، و(اطمأنّ) مقلوب فيه، والصحيح ماذهب إليه سيبويه، لأن الفعل إذا لم تكن فيه زوائد فهو أجدرُ أن يكون على أصله، وإذا دَخَلَتهُ تعرّضَ للتغيير، لأن دخول الزوائد فيه ضرب من التغيير لحقه، والتغيير إلى التغييرأسبق، ألاترى أنّ أحداً لايقول (طأمن) الذي هوالأصل (طمأن) فهذا هو الصواب ينبغي أن يحتجّ به لسيبويه، وإنما هو(طأمن)، فليس أحدٌ يقول فيه (طمأنَ)[٩٤]، وقال ابن عاشور: والأظهر أنّ اطمأن وزنه افعلَلَ وأنّه لا قلب فيه، فالهمزة فيه هي لام الكلمة والميم عين الكلمة، وهذا قول أبي عمرو وهو البيّن، إذ لا داعي إلى القلب، فإنّ وقوع الهمزة (لاماً) أكثر وأخف من وقوعها(عيناً)، وذهب سيبويه إلى أنّ (اطْأمَنّ) مقلوب وأصله (اطْمَأنّ) وقد سمع (طَمْأنْتُه) و(طَأْمَنْتُه) وأكثر الاستعمال على تقديم الميم على الهمزة، والذي

---

(٩١) هادي نهر، الصرف الوافي دراسة وصفية تطبيقية في الصرف وبعض المسائل الصوتية. ص: ٦٧ .

(٩٢) ابن جني، الخصائص: ٢ / ٧٧ .

(٩٣) سيبويه، الكتاب: ٣ / ٤٤٦ .

(٩٤) ابن جنّي، الخصائص: ١ /١٣٧ . وابن ابي شيبة، الحافظ عبد الله بن محمد(٢٣٥هـ)، مصنف ابن أبي شيبة في الاحاديث والاثار، علق عليه سعيد اللحام، الاشراف الفني والمراجعة والتصحيح : مكتب الدراسات والبحوث في دار الفكر، د ت، د ط: ٢ / ١٠٤ .

أوجب الخلاف عدم سماع المجرد منه إذ لم يسمع طَمَن[٩٥]، والعكبري يؤيد سيبويه إذ قال الهمزة في(اطمأنّ) أصل و وزن الكلمة (إفعلّ) والمصدر(الطمأنينة)على وزن (فُعَلِّيلَة) وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: طَامَنَ رَأْسَهُ فَأَصْلٌ آخَرُ[٩٦]،ويرجّح البحثُ رأي سيبويه لأن: المصدرهو (الاطمئنان) والفعل منه (اطمأنّ)، ويبدو للبحث أيضاً أنّه حصل قلب في لفظة(طمأنّ) لأنّ معناها تتوائم مع جذر لفظة (أمن) معنىً، والطاء زادته أمناً، وقال القرطبي: وأصل(اطمأنّ) (طأمَنَ طمأنينة)، فقُدِّمَت ميمهُ وزيدتْ نون وألفُ وصل[٩٧]. ويقول ابن القَطَّاع الصقلي: (اطمأنّ): وزنه (افعلّ) وهو المهموز، قال أبو عثمان: قال أبو زيد: اطمأنّ الأمر والشئ: سكن واستأنس، والاسم الطّمأنينة، وقال الكسائى اطمأنّ اطمئنانا، واطمئنانة، وطمأنينة، قال: واطبأنّ لغة فى اطمأنّ[٩٨]، ويعقب ابن عصفور على قول من يقول بأنّ (طأمن) هو أصل كلمة (اطمأنّ)، ويقول: فإن قال قائل: إذا جاءت الكلمة في موضع على نظمٍ ما، ثمَّ جاءت في موضع آخر على نظمٍ آخر، فبِمَ يُعلم أنَّ أحد النظمين أصل والآخر مقلوب منه؟ بل لقائل أن يقول: لعلَّهما أصلان، وليس أحد النظمين مقلوبًا من صاحبه. فالجواب أنَّ الذي يُعلم به ذلك أربعة أشياء:

الأول: أن يكونَ أحد النظمين أكثر استعمالًا من الآخر، فيكونَ الأكثر استعمالًا هو الأصل، والآخر مقلوبًا منه.

والثاني: أن يكونَ أكثر التصريف على النظم الواحد. ويكونَ النظم الآخر أقلَّ تصرُّفًا، فيُعلَمَ أنَّ الأصل هو الأكثر تصرُّفًا، والآخر مقلوب منه.

والثالث: أن يكونَ أحد النظمين لا يوجد إلَّا مع حروف زوائد تكون في الكلمة، والآخر يوجد للكلمة مجرَّدًا من الزوائد. فإنَّ سيبويه جعل الأصل النظم الذي يكون للكلمة عند تجرُّدها من الزوائد، وجعل الآخر مغيَّرًا منه؛ لأنَّ دخول الكلمة الزوائدُ تغيير لها، كما أنَّ القلب تغيير، والتغيير يأنس بالتغيير. وذلك نحو: اطمأنَّ وطأمَنَ. فالأصل عند سيبويه أن تكون الهمزة قبل الميم، و"اطمأنَّ" مقلوبًا منه لما ذكرنا. وخالف الجرميُّ في ذلك، فزعم أنَّ الأصل "اطمأنَّ" بتقديم الميم على الهمزة.

---

(٩٥) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، طبعة جديدة ومنقّحة ومصحّحة، مؤسسة التأريخ، بيروت، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م: ٢ / ٥١١ .

(٩٦) العكبري، أبوالبقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجّاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي: ١٩٣/١.

(٩٧) القرطبي، أبوعبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر(ت٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ٢٠٠٣ م: ٨ / ٣١٢ .

(٩٨) أبوالقاسم، علي بن جعفر بن علي السعدي(ت: ٥١٥هـ)، كتاب الأفعال، عالم الكتب،١٩٨٣م : ٣ / ٢٨٦و٢٨٧.

وهو الصحيح عندي لأنَّ أكثر تصريف الكلمة أتى عليه. فقالوا: اطمأنَّ ويَطمئِنُّ ومُطمئنٌّ. كما قالوا: طأمَن يُطأمِنُ فهو مُطأمِنٌ، وقالوا: طُمأنِينة، ولم يقولوا "طُؤَمنِينة".

والرابع: أن يكونَ في أحد النظمين ما يَشهد له أنه مقلوب من الآخر[٩٩].

وقال الصاعدي: هناك تداخل بين الرّباعي والرّباعيّ، ومن ذلك: هناك تداخل بين (ط م أن) و(ط أم ن) في قولهم: (اطْمَأنَّ) فهو(مُطْمَئِنٌّ) بمعنى: سَكَنَ، وهو يحتمل الأصلين؛ وقد اختلفوا فيه، ذهب سيبويه إلى أنَّ أصله (ط أم ن) وإنّما حدث فيه قلبٌ بتقديم الهمزة؛ فيكون وزن (اطْمأنّ) و(مُطْمَئِنٌّ) على مذهب سيبويه (افْلَعَلّ) و(مُفْلَعِلاّ) على القلب. وذهب أبوعمر الجَرمِيّ إلى أنَّ الأصل (ط م أن) وهو عكس مذهب سيبويه؛ فيكون وزن (اطْمَأَنّ) و (مُطْمَئِنٌّ) (افْعَلّ) و (مُفْعَلِلاًّ) مثل (اقْشَعَرَّ) و (ومُقْشَعِرٍّ) .

وقد وازن العلماء بين المذهبين وحجّة كلّ منهما، فاختار بعضهم مذهب سيبويه، واختار بعضهم مذهب الجَرميّ.

وممّن اختاروا مذهب سيبويه: ابن جنّي الّذي يعدُّ خير من علّل مذهب سيبويه وأبرز حجّته، فذكر أنَّ سيبويه كان يرى أنَّه لمّا كان (طَأْمَنَ) مجرّداً من الزّوائد، و (اطْمَأَنَّ) مزيداً فيه، ولم يُمسع (طَمْأَنَ) من غير زيادة، فينبغي أن يكون المجرّد هو الأصل، وهو (طَأْمَنَ) والمزيد فيه هو المقلوب؛ وهو(اطْمَأَنَّ) لأنَّ الزّيادة إذا لحقت الكلمة لحقها ضربٌ من الوَهَن "لأنَّ مخالطتها شيء ليس من أصلها مزاحمة لها ...وإذا كان في الزّيادة طرف من الإعلال للأصل كان أن يكون القلب مع الزّيادة أولى؛ وذلك أنَّ الكلمة إذا لحقها ضربٌ من الضّعف أسرع إليها ضعفٌ آخر، كحذفهم ياَء حَنِيفَةَ في الإضافة إليها لحذف تائها في قولهم: حَنَفِيٌّ، ولمّا لم يكن في: حَنِيفٍ تاءٌ تُحذف فيحذف ياؤها جاء في الإضافة إليه على أصله، فقالوا: حَنِيفِيٌّ".

وانبرى ابن جنّي إلى رأي الجَرميّ محاولاً إبطال حجّته الّتي تقوّي مذهبه؛ فقال: "فإن قال أبو عُمَر: جَرْيُ المصدر على: اطْمَأَنَّ، يدلّ على أنّه هو الأصل، وذلك قولهم: الاطْمِئْنَان- قيل: قولهم: الطَّأْمَنَةُ، بإزاء قولهم: الاطْمِئْنَان فمصدر بمصدر.

وبقي على أبي عمر أنَّ الزّيادة جرت في المصدر جريها في الفعل والعلّة في الموضعين واحدة، وكذلك الطُّمَأنِينَةُ ذات زيادة؛ فهي إلى الإعلال أقرب".

وفي الحقّ أنّ ما ذكره ابن جنّي في الاحتجاج لسيبويه، وإضعاف رأي الجرمي، من الممكن نقضه ألا ترى أنّه أقام دليله وحجّته على أساس أنّ العرب لم تقل (طَمْأَنَ) البتّة بل قالت: (اطْمَأَنَّ) في حين أنَّ الأمر بخلاف ذلك؛ فقد روى أئمّة اللّغة (طَمْأَنَ) بإزاء (طَأْمَنَ) .

---

(٩٩) ابن العصفور، علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي(ت ٦٦٩هـ)، الممتع الكبير في التصريف، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٦. ص: ٣٩٢.

قال الفارابِيُّ: طَأْمَنَ ظهره، وطَمْأَنَ، بمعنى. وقال الجوهريُّ: طَمْأَنَ ظهره وطَامَنَه بمعنى، على القلب، وطَأْمَنت منه: سَكَّنْتُ.

ونقل نحو ذلك جماعة، منهم السَّرقُسْطِيُّ، وابن منظور، والفيروزآبادي، والزَّبِيديّ، دون أن ينكره أحد منهم. ومن سمع أو روى حجّة على من لم يسمع أو لم يروِ.

وبذلك يتساوى الأصلان (طَمْأَنَ) و(طَأْمَنَ) في ورودهما متجرّدين من الزَّوائد، فيبقى ترجيح أحدهما على الآخر، بالنّظر إلى تصرّف كلّ منهما، وهي قاعدتهم في معرفة الأصل في القلب. فإن تساويا فليس أحدهما بأولى من الآخر، وإن رَجَحَ أحدهما فهو- في الغالب- الأصل. وتقَصِّي ذلك في (طَأْمَنَ) و (طَمْأَنَ) يبيّن ما يلي: قالوا في الأوّل: طَأْمَنَ يُطَأْمِنُ طَأْمَنَةً فهو مُطَأْمِنٌ.

وقالوا في الثّاني: طَمْأَنَ يُطَمْئِنُ طَمْأَنَةً، واطْمَأَنَّ يَطْمَئِنُّ اطْمِئْنَاناً وطُمَأْنِينَةً، وهو مُطْمَئِنٌّ.

وبذلك يتَّضح أنَّ (طَأْمَنَ) قصَّر عن (طَمْأَنَ) في التّصريف؛ فلم يأت منه (اطْأَمَنَّ يَطْأَمِنُّ اطْئِمْنَاناً فهو مُطأَمِنٌ، فيما يقابل: اطْمَأَنَّ يَطْمَئِنُّ اطْمِئْنَاناً فهو مُطْمَئِنٌّ. ولم يأتِ (طُؤَمْنِينَةٌ) فيما يقابل طُمَأْنِينَةً.

ولعلّ ذلك ما جعل الرَّضيّ وابن عصفور يأخذان برأي الجَرميّ وقد كان ابن عصفور أكثر وضوحاً في ذلك حينما عرض للرّأيين، وعلّق على رأي الجَرميّ بقوله: "وهو الصّحيح عندي، لأنَّ أكثر تصريف الكلمة أتى عليه" أي على (طَمْأَنَ) .

ولعلَّ ممّا يرجّح هذا الأصل - أعني (ط م أن) أنّ القرآن الكريم جاء عليه في ثلاث عشرة آية، ولم يأت فيه من الأصل الآخر شيء[١٠٠].

وفي الحقّ أنّ ما ذكره ابن جنّي في الاحتجاج لسيبويه، وإضعاف رأي الجرمي، من الممكن نقضه ألا ترى أنّه أقام دليله وحجّته على أساس أنّ العرب لم تقل (طَمْأَنَ) البتّة، بل قالت: (اطْمَأَنَّ) في حين أنَّ الأمر بخلاف ذلك؛ فقد روى أئمّة اللّغة (طَمْأَنَ) بإزاء (طَأْمَنَ). وقال الفارابِيُّ: (طَأْمَنَ ظهره، وطَمْأَنَ، بمعنى)[١٠١]. وقال الجوهريُّ (وتصغير طمأنينة طميئينة، تحذف إحدى النونين لانها زائدة. وطمأن ظهره وطأمنه بمعنى، على القلب، وطأمنت منه: سكنت، وطَأْمَنت منه: سَكَّنْتُ)[١٠٢]. وقال أبو علي: طَامَنَ، فعْلَلَ في الأصل، فإذا قُلِبَ صار طَمْأَنَ، فَلْعَلَ ومُطْمَئِنٍ: مُفْلِعِلٍ،

---

(١٠٠) الصاعدي، عبد الرزاق بن فراج، تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم: عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ٢٠٠٢م: ١/ ٥٣٨. وابن جني، الخصائص: ٧٤/٢،٧٥.

والجوهري، الصحاح. (طمن): ٦ / ٢١٥٩. و ابن عصفور، الممتع الكبير في التصريف: ٢ / ٦١٧.

(١٠١) الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين، معجم ديوان الأدب، تحقيق: أحمد مختار عمر، مراجعة: إبراهيم أنيس، مؤسسة دارالشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣ م: ٤ / ٢٤٥.

(١٠٢) الجوهري، أبونصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٩٨٧م. (طمن): ٨ / ١٣.

وتصغيره: طُمَيْأنٌ، فُعَيْعَلٌ، وطُمَيئينٌ،فُلَيْعيل[١٠٣]. و(اطْمأنَّ" "افْعَلَلَّ) من الأربعة وأصله (طَمْأنَ) أحد النّونين زائدة من موضعها[١٠٤].

ولقد ورد صيغة (اطمأنَّ) عدّة مرّات في عدة آيات في التعبير القرآني، وهذه الآيات هي:

في قوله تعالى ﴿ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ ﴾النساء: ٤/ ١٠٣.

وفي ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا ﴾ الحج: ٢٢/ ١١.

وفي ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ ﴾ النحل: ١٦/ ١٠٦.

وفي ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ ﴾ الإسراء: ١٧/ ٩٥.

وفي ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ النحل: ١٦/ ١٠٦.

وفي﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ﴾ النحل: ١٦/ ١١٢.

وفي ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ الرعد: ١٣/ ٢٨.

وفي ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ الفجر: ٨٩/ ٢٧.

---

(١٠٣) أبوعلي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل(ت: ٣٧٧هـ)، التعليقة على كتاب سيبويه، المحقق: عوض بن حمد القوزي، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م: ٣/٣٢٠.

(١٠٤) الثمانيني، أبوالقاسم عمر بن ثابت(ت: ٤٤٢هـ)، شرح التصريف، المحقق: إبراهيم بن سليمان النعيمي، مكتبة الرشد، ١٩٩٩م. ص: ٢٧٢.

المبحث الثالث

الدراسة النحوية للسكينة والطمأنينة

المدخل:

الحالات الاعرابية:

إنّ العلامات الاعرابية تعدُّ من الخصائص التي تمتاز بها اللغة العربية، فهي من قرائن الجملة فيها، وهي التي تعين على جلاء معنى أيّة جملة من الجمل بتضافر ها مع القرائن الأخرى في إحكام العلاقات المتشابكة الرابطة لأجزائها[١٠٥]، فالاعراب لايحصل إلاّبسبب العقد والتركيب[١٠٦]، والتركيب شرط حصول موجب الاعراب[١٠٧]، ومن شأن العلامات الإعرابية المساعدة للوقف على رتبة الصيغة في التركيب النحوي، وعلى حرية حركتها وإذا فقدت العلامة الاعرابية التزم الكلام ضربا واحدا لايجوز فيه تقديم ولا تأخير[١٠٨]، والعلامات الاعرابية إمّا حركة أو حرف أوحذف، فالحركات ثلاث: الضمة والفتحة والكسرة، والأحرف اربعة: الالف والنون والواو والياء، والحذف إمّا قطع الحركة (ويسمى السكون)، وإمّا قطع الآخر وإمّا قطع النون[١٠٩]. والحركات الاعرابية دالّة على المعاني عند جميع النحاة إلا قطربا[١١٠]، والغرض الأساس من الدراسة النحوية هو فهم أساليب تأليف الكلام ولاسيّما أساليب التعبير القرآني وإدراك أسرار إعجاز هذا الكتاب العزيز، لِذا جاء النحو نتاجا لِلنظر في أسرار تراكيب القرآن الكريم وطرق تأليف الجمل فيه وعلاقات الاسناد والاضافة والتبعية في تلك الجمل، لِبيان المعاني التي تكمن في هذه التراكيب، فمجرد اختلاف في

---

(١٠٥) سليمان، عزالدين محمدأمين، التقديم والتأخير في القرأن الكريم (دراسة لغوية وصفية تحليلية): أطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية التربية للبنات بجامعة بغداد، بإشراف عبدالوهاب محمد علي العدواني ١٩٩٧م. ص: ١٦ .

(١٠٦) عيتاني، محمد خليل، المعجم المفصل لِمواضيع القرآن المنزّل، دارالمعرفة، بيروت، ٢٠٠٠م. ص : ٢٤ .

(١٠٧) الاسترابادي، رضي الدين محمدبن الحسن، شرح الرضي على الكافية: دارالكتب العلمية بيروت،١٩٨٠م: ٣٣/١.

(١٠٨) حماسة، عبداللطيف محمد، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، مكتبة أُم القرى، الكويت، ١٩٨٤م. ص: ٣١٠ .

(١٠٩) الغلاييني، مصطفى، جامع الدروس العربية مذيّلاً ببحثي البلاغة والعروض، تحقيق: علي سليمان شبارة، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ٢٠١٢م. ص: ٣٢ .

(١١٠) القزويني، جلال الدين محمدبن عبدالرحمن(ت٧٣٩هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: لجنة من أساتذة جامعة الأزهر، مطبعة السنة المحمدية. ص: ٦٧-٧٠ .

الحركات لايدلّ على معنى كماذهب إليه قطرب، بل تتغيرُ الأحوالُ الاعرابيةُ من رفعٍ ونصبٍ وجرٍ للدلالةِ على المعاني المختلفة باختلاف تلك الحركات، والمتفق بين النحاة أنّ الرفعَ يّعبرُ عن معنى الإضافةِ لِذا يكونُ التغيير بحسبِ المعنى المقصود[١١١].

ولقد عبر أسلوب القرآن الكريم عن معنى(السكينة والطمأنينة) على وفق إرادة ذلك المعنى في الجملة، فجاء (مرفوعاً، أومنصوباً، أوفي حالة البناء)، وسيتناول البحث الآيات الّتي وردت فيها (السكينة والطمأنينة) دِلالة وتركيباً، وذلك بدراسة آراء اللغويين والمفسّرين، إن شاء الله تعالى، ومن الله التوفيق.

أوّلاً : الآيات التي وردت فيها(السكينة والطمأنينة) في حالة الرفع:

أ ـ معنى الرّفع

إنّ الرّفع علمُ الاسناد[١١٢]، إذ إنّ تعلّق المسندِ بالمسندِ إليهِ وحاجة كل منهما إلى الآخر هو المعنى الموجِب للرّفعِ، قال سيبويه: هذا بابُ المسندِ والمسندِ إليهِ، وهما ما لايغني واحدٌ منهما عن الآخرِ، ولا يجدُ المتكلم منه بُدّاً، فمن ذلك: الاسم المبتدأ والمبني عليه وهو قولك: (عبدُالله أخوكَ)، و(هذا أخوكَ)، ومثلُ ذلك (يذهبُ عبداللهِ)، فلا بدّ للفعلِ من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بدّ من الآخرِ في الابتداءِ[١١٣]، والمرفوعاتُ تشملُ: الفاعلَ ونائبهِ والمبتدأ والخبر واسم (كان) وأخواتها وخبر (إنّ) وخبر(لا) النافية للجنس، ولمّا كان الفاعلُ عمدة في الكلامِ فلا يتمُّ معنى الجملةِ الفعليةِ إلاّ بهِ، قالَ عنهُ المبرّدُ: وهو رفعٌ، وذلك قولكَ: (قام عبدُاللهِ)، (وجلس زيدٌ)، وإنّما كان الفاعلُ رفعاً، لأنّه هو والفعلُ جملة يحسنُ السكوتُ عليها، وتَجبُ بها الفائدةُ للمخاطبِ، فالفاعلُ والفعلُ بمنزلةِ الابتداءِ والخبرِ، إذا قلتَ:(قامَ زيد)، فهو بمنزلةِ قولك: (القائمُ زيد)[١١٤]، فالعلاقةُ بينَ الفعلِ والفاعلِ علاقةٌ تلازمية، إذ يقتضي الفعلُ الفاعلَ، ولا يتمُّ الكلامُ إلاّ بهما[١١٥].

---

(١١١) كريم حسن ناصح، أثرالمعنى في الدراسات النحوية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية الآداب بِجامعة بغداد، بإشراف حسام سعيدالنعيمي، ١٩٩٠م. ص: ٢٠٥ ـ ٢٠٧.

(١١٢) ابراهيم مصطفى، إحياء النحو، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩م. ص: ٦١.

(١١٣) سيبويه، الكتاب: ٢٣/١ .

(١١٤) المبرد، المقتضب: ٨/١.

(١١٥) سيبويه، الكتاب: ٣٣ .

ب ـ الآيات التي وردت فيها (السكينة) في حالة الرفع :

قد وردت في السياق القرآني آيات للسكينة والطمأنينة في حالة الرفع، أي جاء مرفوعاً، وجاءت بصيغة المبتدأ المؤخر، وفعل مضارع مرفوع، ونعت لمنعوت مرفوع.

وقد وردت لفظة(السكينة) في حالة الرفع في (ثلاثة) مواضع، وهذه المواضع هي: (في سورة البقرة، في آية رقم: ٢٤٨)، (وفي سورة التوبة، في آية رقم: ١٠٣)، (وفي سورة القصص، في آية رقم:٧٢).

أولاً: جاءت مبتدأ مؤخر لخبر مقدم:

وقد جاءت هذه الحالة في سورة (البقرة) حيث يتحدث سبحانه وتعالى عن قصة طالوت:

قال تعالى:﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(البقرة:٢٤٨/٢).

وردت كلمة (سَكِينَةٌ) في هذه الاية الكريمة مبتدأ مؤخراً لخبر مقدم، وذلك باتفاق جميع النحاة بلا خلاف.

قال النحاس: سَكِينَةٌ : رفع بالابتداء، أو بالاستقرار فيجوز أن تكون السكينة شيئا فيه، وكذا البقية، ويجوز أن يكون التابوت في نفسه سكينة[١١٦]، ويقول محي الدين الدرويش: (فِيهِ سَكِينَةٌ) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وسكينة مبتدأ مؤخر، والجملة في محل نصب حال من التابوت[١١٧]. ويرى المكي أيضاً أنّ (فِيهِ سَكِينَةٌ) ابتداءٌ وخبر في موضع

---

(١١٦) النّحّاس، أبوجعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل(ت٣٣٨هـ)، إعراب القرآن للنحّاس: تحقيق خالد العلي، دارالمعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٦م. ص: ١٠٤ .

(١١٧) محي الدين الدرويش، اعراب القرآن وبيانه، دارالیمامة(دمشق- بيروت)، ودارابن كثير(دمشق- بيروت)، دار الإرشاد للشئون الجامعية حمص، ٢٠١١م: ٣٢١/١ .

الحال من التابوت، وكذلك (تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ)في موضع الحال منه أيضا[١١٨]، وقيل: (فِيهِ سَكِينَةٌ) في: حرف جر، والهاء: ضمير متصل مبني في محل جر متعلق بمحذوف خبر مقدم، سكينةٌ: مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة الظاهرة، من ربكم: جار ومجرور في محل جر مضاف إليه[١١٩]، وقال الزحيلي، ومحمد محمود القاضي: فيه: جار ومجرور

خبر مقدم، سكينة: مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة، والجملة في محل النصب حال من التابوت[١٢٠].

تبين للبحث أنّ سَكِينَةٌ في هذه الاية الكريمة مبتدأ مؤخر لخبر مقدم، وهي مرفوع بالإتفاق.

ثانياً: جاءت في خبر(إنّ):

وذلك في سورة التوبة، حيث يتحدّث سبحانه وتعالى عن صلاة النبيﷺ، بأنه علامة على قبول توبتهم وزكاتهم.

قال تعالى﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (التوبة:١٠٣/٩).. وفي هذه الاية جاءت(سَكَنٌ)خبر إنّ مرفوع.

قال محي الدين الدرويش: صلِّ: عطف على خذ، وعليهم متعلقان بِصَلِّ، وان واسمها وخبرها، ولهم صفة لسكن[١٢١]. (صَلَوٰتَكَ): إسم إنّ منصوب بالفتحة، وهو مضاف، (ك): ضمير متصل في محل

---

(١١٨) مكّي، أبومحمد مكي بن أبي طالب القيسي(ت٤٣٧هـ)، مشكل إعراب القرآن الكريم، تحقيق حاتم صالح الضامن، دار الحرية للطباعة، بغداد ، ١٩٧٥م: ١٣٥/١ .

(١١٩) صافي، محمود بن عبدالرحيم(ت ١٣٧٦هـ)، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة، طبعة مزيدة بإشراف اللجنة العلمية بدارالرشيد، (دارالرشيد، دمشق)،(دارالإيمان، بيروت)، ١٩٩٠م: ٢/ ٥.

ومحمد سيد طنطاوي، معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم، راجعه محمد فهيم ابوعبيّة، مطبعة شريعت، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران، ٢٠٠٦م. ص: ٨٩ .

(١٢٠) القاضي، محمد محمود، اعراب القرآن الكريم، اشرف عليه وراجعه: كمال محمد بشر، عبدالغفار حامد هلال، دار الصحوة للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م. ص: ٧٨.

ووهبة الزحيلي، التفسيرالمنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دارالفكرالمعاصر، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م: ٢ / ٤٢٦ .

(١٢١) محي الدين الدرويش، اعراب القرآن وبيانه: ٣ / ٢٧٢.

جر مضاف إليه، (سَكَنٌ)خبر إنّ مرفوع بالضمة الظاهرة، (لَهُمْ) جار ومجور متعلق بـ(سَكَنٌ)[١٢٢].

ثالثاً: جاءت بصيغة فعل مضارع مرفوع:

وذلك في سورة القصص، حيث يتحدث سبحانه وتعالى عن نعمة الليل التي يسكن ويستقر ويستريح في الناس.

قال تعالى﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾(القصص:٧٢/٢٨).. وقد جاءت تَسْكُنُونَ في هذه الاية الكريمة فعل مضارع مرفوع بالإجماع، وذلك لتجرّده من الناصب والجازم، وهذا بديهي. فـ(تَسْكُنُونَ) فعل مضارع مرفوع بثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة، و واوالجماعة في محل رفع فاعل، (فِيهِ): جار ومجرور، وجملة (تَسْكُنُونَ فِيهِ) **في محل جر نعت لـ**(بِلَيْلٍ)[١٢٣].

ج ـ الآيات التي وردت فيها (الطمأنينة) في حالة الرفع :

وقد جاءت لفظة (الطمأنينة) في القرآن الكريم في حالة الرفع في (ثلاثة) مواضع، وهذه المواضع هي: (في سورة الرعد، في آية رقم: ٢٨)، (وفي سورة النحل، في آية رقم: ١٠٦)، (وفي سورة الفجر، في آية رقم:٢٧).

أوّلاً: جاءت بصيغة فعل مضارع مرفوع:

وذلك في سورة الرعد، حيث يتحدّث سبحانه وتعالى عن اطمئنان قلوب المؤمنين بذكرالله لاغيرهم،

---

(١٢٢) صافي، محمود، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة، طبعة مزيدة بإشراف اللجنة العلمية بدارالرشيد، (دارالرشيد) (دمشق)، (دارالإيمان)، (بيروت)، ١٩٩٠م: ٢٦/٦ . و محمد سيد طنطاوي، معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم. ص: ٢٥٩.

(١٢٣) صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه:٢٨٩/١٠. ومحمد سيد طنطاوي، معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم. ص: ٥١٧. والقاضي، اعراب القرآن الكريم. ص: ٧٨٥.

لأنّ غير المؤمنين محرومون عن هذه الإطمئنان التي يكتسبه المؤمنون بذكرالله.

قال تعالى﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾(الرعد:٢٨/١٣).

تكرّرت كلمة تَطۡمَئِنُّ مرّتين في هذه الآية، وهي فعل مضارع مجرد من الناصب والجازم.

وأيضاً جاء بصيغة المضارع ليستمرّالإطمئنان للمؤمنين، لأن الفعل المضارع يدلّ على الإستمرارية والدوام، بمعنى أنّ الله سبحانه وتعالى يريد من المؤمنين أن يكونوا في سكينة وطمأنينة دائمة ومستمرة.

قال البقاعي: وهذا المضارع في هذا التركيب مما لايراد به حال ولااستقبال، إنما يراد به الاستمرار على المعنى مع قطع النظر عن الأزمنة[١٢٤]، ويقول محي الدين الدرويش: تَطۡمَئِنُّ عدل عن الماضي الى المضارع، لإفادة التجدد، وقلوبهم فاعل تَطۡمَئِنُّ ، وبِذِكۡرِ ٱللَّهِ متعلقان بِـ تَطۡمَئِنُّ ، وٱلۡقُلُوبُ فاعل[١٢٥]. الواو: عاطفة،(وَتَطۡمَئِنُّ) الأُولى: فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة، (قُلُوبُهُم) فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة، وهومضاف(هُمْ)ضميرمتّصل في محل جَرمُضاف إليهِ، و(وَتَطۡمَئِنُّ) الثانية:فعل مضارع مرفوع بالضمة الظاهرة،(ٱلۡقُلُوبُ) فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة[١٢٦].

ثانياً: جاءت بصيغة خبر للمبتدأ:

وجاءت هذه الكلمة في سورة النحل، حيث يتحدّث سبحانه وتعالى عن نعمة انعمها الله سبحانه مع أمة محمدﷺ، وهي رفع العقوبة عنهم عند النطق بالكفر أو اتيان المعصية بالإكراه، أوالخطأ أو النسيان، وهذه واحدة منها، وهذه الاية نزلت في عمار بن ياسر، عندما قام المشركون بقتل والديه

---

(١٢٤) البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط(ت ٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية – بيروت، بيروت، ١٩٩٥ م: ٤ / ١٤٩ .

(١٢٥) محي الدين الدرويش، اعراب القرآن وبيانه: ٤/ ٩٤.

(١٢٦) صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ١٢٥/٧.

ومحمد سيد طنطاوي، معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم. ص: ٣٢٥ .

وتعذيبه، قال بمدح الأصنام بمايرضيهم، وسبّ رسول اللهﷺ، ولكن قال رسول اللهﷺله ان عادو فَعُد. أوكما قال.

قال تعالى﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾(البقرة:١٠٦/١٦).

وجاءتمُطۡمَئِنُّۢفي هذه الآية الكريمة في حالة الرفع أيضاً، حيث جاءت خبر للمبتدأ.

قال النّحّاسُ: إبتداءٌ وخبر، وهوتبيينُ ماتَقَدَّمَ[١٢٧]، وقال محي الدين الدرويش:(وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِٱلْإِيمَٰنِ)الواوحالية، قلبه: مبتدأ،مطمئن خبر،وبالإيمان متعلقان بتطمئن[١٢٨].وقال محمد محمود القاضي أيضاً: الواو: حاليةٌ، (وَقَلْبُهُ): مبتدأ مرفوع بالضمةِ الظاهرة، وهو مضاف، والهاء: ضمير متصل في محل جر مضاف إليهِ،(مُطْمَئِنٌّ)خبرمرفوع بالضمةِ الظاهرة، والجملة في محل النصب حال[١٢٩].

ثالثاً: جاءت بصيغة نعت لمنعوت مرفوع:

قال تعالى﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴾(الفجر:٢٧/٨٩)..

تحدّث ربّنا سبحانه وتعالى عن النفس المطمئنة التي سكنت واطمأنت الى وعدالله تبارك وتعالى.

وجاءتٱلۡمُطۡمَئِنَّةُفي هذه الاية مرفوعاً، حيث أنّها نعت لمنعوت مرفوع.

قال ابن خالَوَيْهِ: (يا): حرف نداء، (أيَّتُ) رفع بياء، (ها) تنبيه، (ٱلنَّفْسُ) نعت لِـ(يَٰٓأَيَّتُهَا)،

---

(١٢٧) النحّاس، إعراب القرآن.ص: ٥١٠ .

(١٢٨) محي الدين الدرويش، اعراب القرآن وبيانه: ٣٠٢/٤.

(١٢٩) القاضي، اعراب القرآن الكريم. ص: ٥٥٥. وصافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ٣٩٤/٧. ومحمد سيد طنطاوي، معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم. ص: ٣٦٠.

(ٱلْمُطْمَئِنَّةُ) نعت لـ(ٱلنَّفْسُ)، لأنّ النفس مُؤنّثٌ، تصغيرُها(نُفَيْسَةٌ)، وإنّما أُنّثتْ لِلفظِ لا للمعنى[١٣٠]، وقيل(يا) حرف نداء، (أيّتُ)مُنادى، نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب، (ها) لِلتنبيه، (ٱلنَّفْسُ) بدل من (أيّتُها)، أوعطفُ بيانٍ تَبِعَهُ في الرفعِ لفظاً، (ٱلْمُطْمَئِنَّةُ) نعتٌ مرفوع بالضمة[١٣١].

ثانياً : الآيات التي وردت فيها(السكينة والطمأنينة) في حالة النصب

أ- معنى النصب

ترتبط النصب بمعنى التبعية أوالمفعولية، وتأتي بعد تمام معنى الجملة، وأبواب النصب في الدراسات النحوية كثيرة تفوق بابي الرفع والجر، وذلك لكثرة معاني المنصوبات في اللغة العربية منها المفاعيل الخمسة، والنصب على الاستثناء والحال والنصب على النداء وغير ذلك من المواقع التي تعبرُعن معنى المفعولية، لِذا اقترن هذا المعنى بدلالة الفعل لأنّ عامل النصب عند النحاة هو تمام الجملة الفعلية من الفعل والفاعل بحيث يصبح ما زاد فضلة في الكلام، وسيتناول البحث المواضع التي وردت فيها (السكينة والطمأنينة) في حالة النصب إن شاءالله.

وعقد سيبويه باباً لِلمنصوباتِ بقولهِ: هذا باب أيضا من المصادر ينتصبُ بإضمار الفعل المتروك إظهاره [١٣٢]، وقد وردت لفظتا (السكينة و الطمأنينة) منصوبين أكثر مما جاءتا مرفوعينِ في القرآن، كما يأتي ذكرها إن شاء الله.

ب - الآيات التي وردت فيها (السكينة) في حالة النصب :

وردت السكينة والطمأنينة في السياق القرآني في حالة النصب، أي منصوبا في عدة مواضع، حيث جاءت مفعولاً، أو فعل مضارع منصوب.

وردت لفظة (السكينة) في حالة النصب في (ثلاث عشرة) موضعا، وهذه المواضع هي: (في سورة الانعام، في آية رقم: ٩٦)، (وفي سورة الأعراف، في آية رقم: ١٨٩)، (وفي سورة التوبة، في آية

---

(١٣٠) محي الدين الدرويش، اعراب القرآن وبيانه: ٣١٢/٨.

وخالويه، أبوعبدالله الحسين بن أحمد(ت٣٧٠هـ)، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم: تحقيق: محمد إبراهيم سليم، مطابع إبن سينا، القاهرة، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٨٩م. ص: ٧٤.

(١٣١) صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ١٥ / ٣٢٨. ومحمد سيد طنطاوي، معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم. ص: ٨٠٧. والقاضي، اعراب القرآن الكريم. ص: ١١٨٥.

(١٣٢) سيبويه، الكتاب: ٣٢٤/١ .

رقم:٢٦)، (وفي سورة التوبة، في آية رقم:٤٠)، (وفي سورة يونس، في آية رقم:٦٧) ، (وفي سورة النحل، في آية رقم:٨٠)، (وفي سورة النمل، في آية رقم:٨٦)، (وفي سورة القصص، في آية رقم:٧٢)، (وفي سورة الروم، في آية رقم:٢١)، (وفي سورة الغافر، في آية رقم:٦١) ، (وفي سورة الفتح، في آية رقم:٤)، (وفي سورة الفتح، في آية رقم:١٨)، (وفي سورة الفتح، في آية رقم:٢٦).

أوّلاً: جاءت بصيغة المفعول الثاني للفعل(جعل):

وذلك في سورة الانعام، حيث يتحدث سبحانه وتعالى عن نعمة الليل، لأنّ الليل آية من آيات الله، وجعلها الله سبحانه وتعالى للإستراحة والنوم والقرار.

قال تعالى﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ (الأنعام:٩٦/٦). جاءت كلمة سَكَنًا في هذه الآية الكريمة مفعولاً ثانياً للفعل جعل، لأنّه من أفعال القلوب، وبالتالي هي من الأفعال التي تتعدى الى مفعولين.

قال المكي: (وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ) إنتصبا عطفاً على موضعِ الليلِ لأنهُ في موضعِ نصبٍ، و قيل: بل على تقدير (وَجَعَلَ).

فهوعطفٌ على اللفظِ والمعنى[١٣٣]، وقال محي الدين الدرويش: (وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا) الواو عاطفة، جعل فعل ماض، والليل مفعوله الأول، وسكناً مفعوله الثاني، وفي قراءة ينسبونها الى الجمهرة(جاعل) بجر(الليل) بالإضافة مناسبة لقوله (فالق الإصباح)، ولك أن تنصب سكناً على الحال[١٣٤]. وقال الزحيلي: (وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا): جعل: فعل ماض، وفاعله ضمير مستتر تقديره (هو)، (ٱلَّيْلَ)مفعول به أوّل، منصوب بالفتحة الظاهرة،(سَكَنًا)مفعول به ثان، منصوب بالفتحة الظاهرة، (وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ)عطف على الليلِ[١٣٥]، وقيل: الواو: عاطفة، (وَجَعَلَ) فعل ماض،

---

(١٣٣) مكّي، مشكل اعراب القرآن. ص: ٢٦٣/١ . والفراهيدي، الخليل بن أحمد، الجُمَل في النحو، تحقيق: فخرالدين قباوة، ط٥، ١٩٩٥م. ص:١٣٢/١ .

(١٣٤) محي الدين الدرويش، اعراب القرآن وبيانه: ٤١٥/٢.

(١٣٥) القاضي، اعراب القرآن الكريم. ص: ٢٧٧. والزحيلي، التفسيرالمنير: ٧/ ٣٠٢.

وفاعله ضمير مستتر تقديره (هو)، (ٱلَّيۡلَ) مفعول به أول، (سَكَنًا) مفعول به ثان، أو هو حال اذا ضمن (جعلَ)معنى خلق[١٣٦].

ثانياً: جاءت بصيغة فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل:

وذلك في سورة الأعراف، حيث يتحدّث سبحانه وتعالى عن نعمة الزوجة، وأنّها نعمة تسكن الرجل اليها، ومن آياته أنه جعل الزوجة من جنس بني آدم، لا من جنس آخر، لأنه لوكان الزوجة من جنس آخر لما حصل هذا الإنسجام معها ولا السكون اليها.

قال تعالى﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (الأعراف:١٨٩/٧).

وفي هذه الآية الكريمة جاءت لِيَسۡكُنَ فعلاً مضارعا منصوباً بأن مضمرة بعد لام التعليل.

قال محي الدين الدرويش: اللام: لام التعليل، و(لِيَسۡكُنَ) فعل مضارع منصوب وفاعله هو[١٣٧].

اللام: لام التعليل، و(لِيَسۡكُنَ): فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والفاعل ضمير مستتر تقديره(هو)، (إِلَيۡهَاۖ): إلى: حرف جر، ها: ضمير متصل في محل جر متعلق بـ(لِيَسۡكُنَ) بتضمينه معنى يأوي، والمصدر المؤول (أن يسكن) في محل جر باللام متعلق بـ(جَعَلَ)[١٣٨].

---

(١٣٦) صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ٢٢٩/٤. و محمد سيد طنطاوي، معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم. ص: ١٧٨.

(١٣٧) محي الدين الدرويش، اعراب القرآن وبيانه: ٣ / ٨٦.

(١٣٨) صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ١٤٥/٥.

ومحمد سيد طنطاوي، معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم. ص : ٢٢٤.

ثالثاً: جاءت بصيغة المفعول به للفعل(أنزل):

وذلك في سورة التوبة، حيث يتحدّث سبحانه وتعالى عن اطمئنان المؤمنين بانزال الله تعالى نصره وتأييده، وجنوده لنصرتهم، وتثبيتهم.

قال تعالى﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(التوبة:٢٦/٩). وجاءت في هذه الاية الكريمة سَكِينَتَهُۥ مفعول به منصوب للفعل انزل. قال محي الدين الدرويش: ثمّ حرف عطف وتراخ، وأنزل الله فعل وفاعله، وسكينته مفعول به، وعلى رسوله جار ومجرور متعلقات بأنزل[١٣٩]. (ثُمَّ): حرف عطف.(أَنزَلَ) فعل ماض مبني على الفتح،(ٱللَّهُ) لفظ الجلالة فاعل مرفوع بالضمة، (سَكِينَتَهُۥ): مفعول به منصوب بالفتحة وهو مضاف، الهاء: ضمير متصل مبني في محل جر مضاف اليه[١٤٠].

رابعاً: جاءت بصيغة المفعول به للفعل(أنزل) أيضاً:

وذلك في سورة التوبة أيضاً، وعندما يتحدث جلّ وعلا عن انزال سكينته على رسوله ﷺ، عندما هاجر مع صاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وعندما كانا في الغار، وكان القريش واقفون على راسهم يبحثون عنهم، ولكن بفضل الله اعماهم الله ولم يروهم، وكانا في قلق، ولكن انزل الله سكينته.

قال تعالى ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(التوبة:٤٠/٩). وفي هذه الاية الكريمة أيضاً سَكِينَتَهُۥ مفعول به منصوب بالفتحة.

قال محي الدين الدرويش: الفاء عاطفة، وأنزل الله سكينته فعل وفاعل ومفعول به، وعليه متعلقان بأنزل، وأيّده عطف على أنزل، وبجنود جار ومجرور متعلقان بأيدهِ، وجملة لم تروها صفة

---

(١٣٩) محي الدين الدرويش، اعراب القرآن وبيانه: ٣ /٢٠٠.

(١٤٠) القاضي، اعراب القرآن الكريم. ص: ٣٧٨. وصافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ٣١٥/٥ . و محمد سيد طنطاوي، معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم. ص: ٢٤٤.

لجنود[١٤١]. (الفاء) إستئنافية، (فَأَنـزَلَ) فعل ماض مبني على الفتح، (ٱللَّهُ): لفظ الجلالة، فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة، (سَكِينَتَهُۥ): مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة، وهو مضاف، (الهاء) ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه[١٤٢].

خامساً: جاءت بصيغة فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل:

وذلك في سورة يونس، حيث يتحدث سبحانه وتعالى عن نعمة الليل مرة أخرى، ليسكن ويطمئن ويستقر المؤمنون فيها بعد التعب والعمل الشاق طيلة اليوم.

قال تعالى﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَسۡمَعُونَ ﴾(يونس: ٦٧/١٠).

وفي هذه الآية الكريمة جاءت لِتَسۡكُنُواْ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل.

قال محي الدين الدرويش: اللام للتعليل، وتسكنوا منصوب بأن مضمرة، والجار والمجرور إمّا مفعول لأجله أو مفعول به ثان، وفيه متعلق بتسكنوا[١٤٣]. اللآم: حرف تعليل ونصب، (لِتَسۡكُنُواْ): فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون، واو الجماعة: ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل، والمصدر المؤول (أن تسكنوا) في محل جر باللآم، متعلق بـ(جَعَلَ)[١٤٤].

---

(١٤١) محي الدين الدرويش، اعراب القرآن وبيانه: ٣ / ٢١٨.

(١٤٢) القاضي، اعراب القرآن الكريم. ص: ٣٨٤. و صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ٣٤٢/٥. ومحمد سيد طنطاوي، معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم. ص: ٢٤٧.

(١٤٣) محي الدين الدرويش، اعراب القرآن وبيانه: ٣ / ٣٥٧.

(١٤٤) القاضي، اعراب القرآن الكريم. ص: ٤٣٠. وصافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ١٦١/٦. ومحمد سيد طنطاوي، معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم. ص: ٢٧٦.

سادساً: جاءت بصيغة مفعول به للفعل (جعل):

وذلك في سورة النحل، حيث يتحدث سبحانه وتعالى عن نعمة البيت، ليسكن ويستريح ويستقر المؤمنون فيها.

قال تعالى﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمۡ مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴾(النحل:٨٠/١٦).

وجاءت كلمة سَكَنًا في هذه الاية الكريمة مفعول به منصوب.

يقول محي الدين الدرويش: والله مبتدأ، وجملة جعل خبر مفعوله الأول سكناً، ومفعوله الثاني أحد الجارين، والثاني حال، لأنه كان صفةً لِسكناً، وتقدّم عليه، اذا كانت جعل بمعنى خلق تعلق احد الجارين به، واكتفى بمفعول واحد[١٤٥]. الواو:عاطفة، (وَٱللَّهُ): لفظ الجلال، مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة،(جَعَلَ) فعل ماض مبني على الفتح، وفاعله ضمير مستتر تقديره(هو)، (لَكُم) جار ومجرور، (مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ): جارومجرور، ومضاف،(كم):ضميرمتصل في محل جرمضاف اليه،(سَكَنًا):مفعول به منصوب بالفتحة[١٤٦].

سابعاً : جاءت بصيغة فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل:

وذلك في سورة النمل، حيث يتحدث سبحانه وتعالى عن نعمة الليل مرة أخرى، ليسكن ويطمئن ويستقر المؤمنون فيها بعد التعب والعمل الشاق طيلة اليوم، بالنوم والقرار.

قال تعالى ﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ (النمل:٨٦/٢٧).

وفي هذه الآية الكريمة ايضاً ورد لِيَسۡكُنُواْ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة.

---

(١٤٥) محي الدين الدرويش، اعراب القرآن وبيانه: ٢٨٣/٤ و ٢٨٤.

(١٤٦) صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ٣٦٤/٧، ومحمد سيد طنطاوي، معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم. ص: ٣٥٦ . والقاضي، اعراب القرآن الكريم. ص: ٥٤٩.

(جَعَلْنَا) فعل ماض مبني على السكون لإتصاله بضمير (نَا)، والضمير(نَا) ضمير متصل في محل رفع فاعل،(ٱلَّيْلَ)مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة، (لِيَسْكُنُواْ) اللام: لام التعليل، يسكنوا: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، وعلامة نصبه حذف النون، (وا) واو الجماعة، ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل لـ(لِيَسْكُنُواْ)، (فيه) جار ومجرور متعلق بـ(لِيَسْكُنُواْ) والمصدر المؤول (أن يسكنوا) في محل جر باللآم متعلق بـ(جَعَلْنَا)، ومفعول (جَعَلْنَا) الثاني محذوف تقديره (مظلما) وجملة (لِيَسْكُنُواْ) لامحل لها صلة الموصول (الحرفي) (أن) المضمر، ويجوز أن يكون جملة (لِيَسْكُنُواْ) حل محل المفعول الثاني لـ(جَعَلَ)[١٤٧].

ثامناً: جاءت بصيغة فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل:

وذلك في سورة القصص، حيث يتحدث سبحانه وتعالى عن نعمة الليل مرة أخرى، ليستريح ويستقر المؤمنون فيها بعد التعب والعمل الشاق طيلة اليوم، بالنوم والقرار.

قال تعالى ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (القصص:٧٣/٢٨). وفي هذه الآية الكريمة ايضاً وردلِيَسْكُنُواْ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة.اللآم: لام التعليل، (لِتَسْكُنُواْ) فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، وعلامة نصبه حذف النون، (وا): واو الجماعة، ضمير متصل في محل رفع فاعل لـ(لِتَسْكُنُواْ)، (فِيهِ) جار ومجرور متعلق بـ(لِتَسْكُنُواْ)، والمصدر المؤول (أن تسكنوا) في محل جر باللآم متعلق بـ(جَعَلَ)، وجملة(لِتَسْكُنُواْ) لامحل لها صلة الموصول

(١٤٧) صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ١٠/ ٢١٢، ٢١٣. ومحمد سيد طنطاوي، معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم. ص: ٥٠٤. ومحي الدين الدرويش، اعراب القرآن وبيانه: ٥٥٨/٥.
والقاضي، اعراب القرآن الكريم. ص: ٧٦٦.

(الحرفي) (أن) المضمر[١٤٨].

وقيل: هذه الآية توضح أن قوله تعالى (وجاعل الليل سكنا)، تفيد معنى المضي[١٤٩].

تاسعاً : جاءت بصيغة فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل:

وذلك في سورة الروم، حيث يتحدث سبحانه وتعالى مرة أخرى عن نعمة الزوجة التي خلقها من جنس بني آدم ، ليسكن ويطمئن الرجال اليها، وذلك آية بينة، لأنه لوكانت الزوجة من جنس آخر، لما حصل هذا الوئام والأنس.

قال تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(الروم:٢١/٣٠).

وفي هذه الآية الكريمة ايضاً وردلِتَسْكُنُوٓا۟ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة.

(خَلَقَ) فعل ماض مبني على الفتح، وفاعله ضمير مستتر تقديره (هو)، (لَكُم)جارومجرور، (مِّنْ أَنفُسِكُمْ) جارومجرور، ومضاف إليه، (أَزْوَٰجًا) مفعول به منصوب بالفتحة، (لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا): اللاّم: لام التعليل (لِّتَسْكُنُوٓا۟): فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، وعلامة نصبه حذف النون (وا): ضمير متصل في محل رفع فاعل (إِلَيْهَا): جار ومجرور متعلق بـ(لِّتَسْكُنُوٓا۟) والمصدر المؤول (أن تسكنوا)في محل جر باللاّم متعلق بـ(خَلَقَ)وجملة (لِّتَسْكُنُوٓا۟) لامحل لها صلة الموصول الحرفي (أن) المضمر[١٥٠].

---

(١٤٨) محي الدين الدرويش، اعراب القرآن وبيانه: ٦٤٤/٥. وصافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ٢٨٩/١٠. و محمد سيد طنطاوي، معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم. ص: ٥١٧.

والقاضي، اعراب القرآن الكريم. ص: ٧٨٥.

(١٤٩) الشوا، أيمن عبدالرزاق الشوا، إعراب القرآن الكريم من مغني اللبيب، دار إبن كثير، دمشق ـ بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م. ص: ٢٥٤ .

(١٥٠) محي الدين الدرويش، اعراب القرآن وبيانه: ٦ / ٤٣. وصافي، الجدول في إعراب القرآن و...:٣٥/١١ و ٣٦.

والقاضي، اعراب القرآن الكريم. ص: ٨٠٥. و محمد سيد طنطاوي، معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم. ص: ٥٣٢ .

عاشراً: جاءت بصيغة فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل:

وذلك في سورة غافر، حيث يتحدث ربّنا سبحانه وتعالى عن نعمة الليل التي جعلها للراحة والسكون والنوم والقرار.

قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾(غافر:٦١/٤٠). وفي هذه الآية الكريمة ايضاً وردلِتَسۡكُنُواْ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة. (جَعَلَ): فعل ماض مبني على الفتح، وفاعله ضمير مستتر تقديره (هو)، (لَكُمُ): ل: حرف جر، كم: ضمير متصل في محل جر اسم مجرور، وجار ومجرور متعلق بمحذوف مفعول به ثان تقديره (سكنا)، (ٱلَّيۡلَ) مفعول به، (لِتَسۡكُنُواْ) اللام: لام التعليل، (لِتَسۡكُنُواْ) فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، و(وا)واو الجماعة ضمير متصل في محل رفع فاعل، (فِيهِ)جار ومجرورمتعلق بـ(لِتَسۡكُنُواْ)، والمصدرالمؤول (أن تسكنوا) في محل جربااللام متعلق بـ(جَعَلَ)، وجملة (لِتَسۡكُنُواْ) لامحل لها صلة الموصول الحرفي(أن) المضمر(١٥١).

الحادية عشر: جاءت بصيغة المفعول به المنصوب للفعل(أنزل):

وجاء ذلك في سورة فتح حيث أنزل السكينة في قلوب المؤمنين لمواجهة أعداء الله وأعداء دينه.

قال تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(الفتح:٤/٤٨).

وٱلسَّكِينَةَ في هذه الآية الكريمة مفعول به للفعل أنزل منصوب بالفتحة.

(هُوَ) ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ، (ٱلَّذِىٓ) اسم إشارة في محل رفع خبر، (أَنزَلَ) فعل ماض

(١٥١) محي الدين الدرويش، اعراب القرآن وبيانه: ٥٨٨/٦. وصافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ١٢/ ٢٦٦. و محمد سيد طنطاوي، معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم. ص: ٦٢٦.

مبني على الفتح، وفاعله ضمير مستتر تقديره(هو)، (ٱلسَّكِينَةَ) مفعول به منصوب بالفتحة. وجملة (أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ)لا محل لها صلة الموصول(ٱلَّذِىٓ)[١٥٢].

الثانية عشر: جاءت بصيغة المفعول به المنصوب للفعل(أنزل):

وجاءت ذلك في سورة الفتح، عندما اجتمع المسلمون حول النبيﷺ وبايعوه على نصرة دينه، وأنزل الله هذه الآية الكريمة.

قال تعالى﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾(الفتح:١٨/٤٨).

و(ٱلسَّكِينَةَ)في هذه الآية الكريمة مفعول به للفعل أنزل منصوب بالفتحة.

الفاء:عاطفة، (أَنزَلَ) فعل ماض مبني على الفتح، وفاعله ضمير مستتر تقديره(هو)، (ٱلسَّكِينَةَ) مفعول به منصوب بالفتحة، وجملة: (أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ) في محل جر معطوفة على جملة علم[١٥٣].

ثالث عشر : جاءت بصيغة المفعول به المنصوب للفعل(أنزل):

وجاءت ذلك في سورة الفتح، حيث يتحدّث الله سبحانه وتعالى عن انزال سكينته عندما اضطرب المسلمون بخبر الصلح(صلح حديبية)، ولكن انزل الله عزّوجلّ سكينته وطمأنينته لهم وسكنوا بذلك.

قال تعالى﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ (الفتح:٢٦/٤٨). مرة

---

(١٥٢) محي الدين الدرويش، اعراب القرآن وبيانه: ٢١٩/٧. و صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ٢٤٣/١٣. ومحمد سيد طنطاوي، معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم. ص: ٦٧٨ . والقاضي، اعراب القرآن الكريم. ص: ١٠١٩.

(١٥٣) محي الدين الدرويش، اعراب القرآن وبيانه: ٢٣٠/٧. وصافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ٢٥٨/١٣. ومحمد سيد طنطاوي، معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم. ص: ٦٨١ . والقاضي، اعراب القرآن الكريم. ص: ١٠٢٤.

أخرى أيضاً ورد سَكِينَتَهُۥفي هذه الآية الكريمة مفعول به للفعل جعل منصوب بالفتحة.

الفاء: عاطفة. (أَنزَلَ) فعل ماض مبني على الفتح، (ٱللَّهُ) لفظ الجلالة فاعل مرفوع بالضمة (سَكِينَتَهُۥ) مفعول به منصوب بالفتحة، وهو مضاف، والهاء: ضمير متصل في محل جر مضاف إليه وجملة (فَأَنزَلَ ٱللَّهُ) لا محل لها معطوفة على استئناف مقدّر، أي: فهم المسلمون مخالفة رسول اللهﷺ فأنزل الله سكينته(١٥٤).

ج ـ الآيات التي وردت فيها (الطمأنينة) في حالة النصب

وقد جاءت هذه اللفظة في القرآن الكريم في حالة النصب في (ستة) مواضع، وهذه المواضع هي: (في سورة البقرة، في آية رقم: ٢٦٠)، (وفي سورة آل عمران، في آية رقم: ١٢٦)، (وفي سورة المائدة، في آية رقم:١١٣)، (وفي سورة الأنفال، في آية رقم:١٠)، (وفي سورة النحل، في آية رقم:١١٢) ، (وفي سورة الإسراء، في آية رقم:٩٥).

أوّلاً: جاءت بصيغة فعل مضارع منصوب بعد لام التعليل:

وذلك في سورة البقرة حيث يتحدّث سبحانه وتعالى عن قصة محادثته سبحانه وتعالى مع ابراهيم عليه السلام، ويطمئنه ولايبقي في قلبه أية قلق.

قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(البقرة:٢/٢٦٠).

وجاءت كلمة لِّيَطْمَئِنَّ في هذه الآية الكريمة منصوبا بأن مضمرة بعد لام التعليل كما قال العلماء.

قال مكي: (لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ) اللام متعلّقة بفعل مضمر، تقديره (ولكن سألتك لِيطمئِنّ قلبي)، أو (ولكن

---

(١٥٤) محي الدين الدرويش، اعراب القرآن وبيانه: ٢٣٦/٧. وصافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ١٣/ ٢٦٦. ومحمد سيد طنطاوي، معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم. ص: ٦٨٣ .
و القاضي، اعراب القرآن الكريم. ص: ١٠٢٦.

أرني لِيطمئنّ قلبي)[١٥٥]، وقال محي الدين الدرويش: (لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي): اللام لام التعليل، يطمئن: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة، ولابدّ من تقدير محذوف ليصح تعليق اللام، أي: ولكن سألتك كيفية الإحياء ليطمئن قلبي[١٥٦]. وقال الزحيلي: اللام: لام (كَي)، وهي متعلِّقة بفعل مقَدَّر، وتقديره: ولكن سألتك لِيطمئِنّ قلبي، أو ولكن أرني لِيطمئنّ قلبي، أو اللام: لام الأمر والدُعاءِ، كأنّه دعاءٌ لِقلبهِ بالطمأنينة، والوجه الأوّل أوجهُ[١٥٧]. وقيل: اللام: لام التعليل، (لِيَطْمَئِنَّ): فعل مضارع منصوب بـ(أن) مضمرة بعد اللام وعلامة نصبه الفتحة[١٥٨].

ثانياً : جاءت بصيغة فعل مضارع منصوب بعد لام التعليل:

قال تعالى﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾(آل عمران:١٢٦/٣).

وجاءت كلمة وَلِتَطْمَئِنَّ في هذه الآية الكريمة أيضاً منصوبا بأن مضمرة بعد لام التعليل.

قال محي الدين الدرويش: (وَلِتَطْمَئِنَّ)فعل مضارع منصوب بأن المضمرة بعد لام التعليل، والجار والمجرور في محل نصب عطف على بشرى، وجرّ باللام لاختلال شرط من شروط النصب، وهو عدم اتحاد الفاعل، فان فاعل الجعل هو(الله) تعالى، وفاعل الإطمئنان هو القلوب، ولك أن تعلق الجار والمجرور بفعل محذوف تقديره: فعل هذا لتطمئن قلوبكم[١٥٩]. واو: عاطفة، اللام: لام (كَي)، أو لام التعليل، (وَلِتَطْمَئِنَّ)فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد (اللام)، (قُلُوبُكُم) فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة، وهو مضاف، (كُمْ) ضمير متصل في محل جر مضاف إليه، وجملة

---

(١٥٥) مكّي، مشكل اعراب القرآن: ١ / ١٣٩ .

(١٥٦) محي الدين الدرويش، اعراب القرآن وبيانه: ١ / ٣٤٧.

(١٥٧) الزحيلي، التفسيرالمنير: ٣ / ٣٦ .

(١٥٨) صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ٤٠/٢.

ومحمدسيد طنطاوي، معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم. ص: ٥٥. والقاضي، اعراب القرآن الكريم. ص: ١٠٢٤.

(١٥٩) محي الدين الدرويش، اعراب القرآن وبيانه: ١/ ٥٢٦.

(وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم) لامحل لها صلة الموصول (أن)[١٦٠]، وعند الكلبي: (وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم) معطوف على(بُشْرَىٰ)لأنّ هذا الفعل بِتأويل المصدرِ، وقيل يتعَلَّقُ بفعلٍ مضمر يدلُّ على جعله[١٦١].

ثالثاً : جاءت بصيغة فعل مضارع منصوب بعد لام التعليل:

وفي قوله تعالى﴿ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾(المائدة:١١٣/٥).

وَتَطْمَئِنَّ فعل مضارع منصوب عطفاً على نَّأۡكُلَ المنصوب بِـ(أن) ناصبة.

(الواو) عاطفة، (وَتَطْمَئِنَّ) فعل مضارع منصوب بالفتحة، معطوف على (نَّأۡكُلَ)، (قُلُوبُنَا) فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة، وهو مضاف، (نَا) ضمير متصل في محل جر مضاف إليهِ[١٦٢]. ويقول محي الدين الدرويش ﴿ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا ﴾ الكلام مستأنف مسوق لبيان ما قالوه تسويغاً لسؤالهم، وجملة نريد في محل نصب مقول القول، وأن وما في حيزها مصدرمؤول مفعول نريد، ومنها متعلقان بنأكل، وتطمئن قلوبنا الجملة معطوفة على(أن نأكل منها)[١٦٣].

رابعاً : جاءت بصيغة فعل مضارع منصوب بعد لام التعليل:

وفي قوله تعالى﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ

---

(١٦٠) النحّاس، إعراب القرآن. ص: ١٥٣. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن:٤/ ١٩٨.
وصافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ٢/ ٣٠٣. ومحمد سيد طنطاوي، معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم. ص: ٨٣. والزحيلي، التفسيرالمنير: ٤ / ٦٢ . والقاضي، اعراب القرآن الكريم. ص: ١٣٠.

(١٦١) ابن جزي الكلبي، أبوالقاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله(ت٧٤١هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، المحقق: عبدالله الخالدي، شركة دارالأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ١٤١٦ هـ. ص: ١١٨.

(١٦٢) النحّاس، إعراب القرآن.ص: ٢٥٣. وصافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ٤ / ٦٠.
ومحمد سيد طنطاوي، معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم. ص: ١٦٠. والقاضي، اعراب القرآن الكريم. ص: ٢٥٠.

(١٦٣) محي الدين الدرويش، اعراب القرآن وبيانه: ٣١٥/٢.

حَكِيمٌ ﴾(الأنفال:٨/١٠).

وجاءت في هذه الاية كلمة وَلِتَطْمَئِنَّ منصوبا بأن مضمرة بعد لام التعليل.

قال محي الدين الدرويش: (وَلِتَطْمَئِنَّ): الواو عاطفة، واللام للتعليل، وتطمئنّ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعدها، والجار والمجرور عطف على بشرى، وجرّ المفعول من أجله باللام هنا لفقد شرط النصب، وهو اتحاد الفاعل، وقلوبكم فاعل تطمئنّ[١٦٤]. (الواو) عاطفة، (اللام) لام كَي أو التعليل، والفعل محذوف لِما دلّ عليهِ، (وَتَطْمَئِنَّ) فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، (بِهِۦ)الباء: حرف جر، والهاء: ضمير متصل في محل جر متعلّق بـ(وَتَطْمَئِنَّ)، والمصدر المؤول (أن تطمَئِنَّ): في محل جر باللام متعلّق بفعلٍ محذوف تقديره(هيّا،أو فعل، أو يسّر)، (قُلُوبُكُمْ): فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة، وهو مضاف، (كُمْ)ضمير متصل في محل جر مضاف إليه[١٦٥].

خامساً: جاءت بصيغة خبر ثان لِـ(كان):

وذلك في سورة النحل، حيث يتحدّث سيحانه وتعالى عن أهل قرية رزقهم الله من كل شيء، وذلك بسبب إيمانهم بالله تبارك وتعالى.

قال تعالى﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾(النحل:١٦/١١٢).

من المعلوم أنّ (كان) من الأفعال الناقصة التي ترفع المبتدأ اسماً لها تنصب الخبر خبراً لها، وجاءت كلمة مُّطْمَئِنَّةً منصوباً، لأنها خبر كان.

يقول محي الدين الدرويش:(كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً) وجملة كانت صفة لقرية، وكان واسمها

---

(١٦٤) محي الدين الدرويش، اعراب القرآن وبيانه:١/ ٥٢٦. والقاضي، اعراب القرآن الكريم. ص: ٣٥٣.

(١٦٥) النحّاس، إعراب القرآن.ص: ٣٤٣. وصافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه:٥ / ١٧٦.
و محمد سيد طنطاوي، معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم. ص: ٢٢٨.

المستتر، وآمنة خبرها، ومطمئنةً خبركان ثانٍ منصوب بالفتحة، وجملة يأتيها خبر ثالث[١٦٦].
(كَانَ): فعل ماض ناقص مبني على الفتح(تْ)تأءالتأنيث الساكنة، وإسم كان ضمي مستترتقديره (هي)، (ءَامِنَةً) خبركان منصوب بالفتحة،(مُّطْمَئِنَّةً)خبرثان لِكان منصوب بالفتحة[١٦٧].

سادساً: جاءت في صيغة نعتٍ منصوب، أو حال منصوب:

وذلك في سورة الإسراء، حيث يردّ سبحانه وتعالى المشركين عندما طلبوا ان يرسل اليهم رسولاً من الملائكة، ويردهم سبحانه وتعالى ويقول إنْ كان مَن في الأرض هم من الملائكة فنرسل اليهم رسولاً من الملائكة، ولكنهم من البشر لذلك أرسلنا لهم رسولاً منهم، أي من البشر.

قال تعالى ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ﴾(الإسراء:٩٥/١٧).

اختلف العماء في دور كلمةمُّطْمَئِنِّينَ بين مَن يقول بأنّها نعت للملائكة، ومَن يقول بأنّها حال.

قال محمد محمود القاضي وغيره: (يَمۡشُونَ) فعل مضارع مرفوع بثبوت النون لانه من الأفعال الخمسة، واوالجماعة ضميرمتصل في محل رفع فاعل، (مُّطْمَئِنِّينَ)حال منصوب بالياء مِن(يَمۡشُونَ) ، وجملة (يَمۡشُونَ مُّطْمَئِنِّينَ) في محل رفع نعت لِـ(مَلَٰٓئِكَةٞ)[١٦٨]. ولكن يرى النحاس بأنّ(مُّطْمَئِنِّينَ) نعت للملائكة[١٦٩]، ويقول محي الدين الدرويش أيضاً: مطمئنين: حال[١٧٠].

---

(١٦٦) محي الدين الدرويش،اعراب القرآن الكريم وبيانه: ٣٠٧/٤. والقاضي، اعراب القرآن الكريم. ص: ٥٥٧.

(١٦٧) صافي،الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه:٤١٠/٧. ومحمد سيد طنطاوي،معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم. ص: ٣٦١.

(١٦٨) صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ٨ /١١٦.

ومحمد سيد طنطاوي، معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم. ص: ٣٧٤. والزحيلي، التفسيرالمنير: ١٥ / ١٦٨.

و القاضي، اعراب القرآن الكريم. ص: ٥٨٠.

(١٦٩) النحّاس، إعراب القرآن. ص: ٥٣٣ .

(١٧٠) اعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش. ص: ٤١٤/٤.

ثالثاً : الآيات التي وردت فيها (الطمأنينة) في حالة البناء:

وقد وردت (الطمأنينة) في(ثلاث) مواضع في القرآن الكريم، وهذه المواضع هي(سورة النساء، في آية رقم:١٠٣)، وفي(سورة يونُس، في آية رقم:٧)، وفي(سورة الحج، في ية رقم:١١). وقد وردت في هذه الآيات في القرآن الكريم بصيغة (الفعل الماضي) والفعل الماضي مبنيٌّ دائماً، وسيذكر البحث هذه الآيات حسب تسلسلها في القرآن الكريم.

أوّلاً: جاءت بصيغة فعل ماض مبني على السكون:

وذلك في سورة النساء حيث يخاطب سبحانه وتعالى المسلمين ويأمرهم باتمام الصلاة عند الإستقرار أو أقامة أو الاطمئنان في الأوطان والعودة من السفر أوالحرب، لأنه من المعلوم أن الصلاة تقصر في هذين الحالتين.

قال تعالى﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾(النساء:١٠٣/٤).

وجاءت في هذه الآية الكريمةٱطْمَأْنَنتُمْ فعل ماضي مبني على السكون، لإتصالة بضمير(تم). فاء: عاطفة،(إذَا): ظرفٌ للزمن المستقبل مُتضمن معنى الشرط، مبني في محل نصب متعلِّق بِمَضمون الجواب (ٱطْمَأْنَنتُمْ)، و(ٱطْمَأْنَنتُمْ): فعل ماض(فعل الشرط) مبني على السكون لاتِّصالهِ بضمير (تُمْ)، و(تُمْ): ضمير متّصل مبني في محل رفع فاعل[١٧١].

ثانياً: جاءت بصيغة فعل ماض مبني على الضم:

وذلك في سورة يونس، والتي يتحدث فيها سبحانه وتعالى عن الكفار الذين لايريدون الرجوع والإنابة الى الله تبارك وتعالى، وهم راضون بالحياة الدنيا، أولئك نسوا لقاءالله تبارك وتعالى.

قال تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ﴾(يونس:٧/١٠).

---

(١٧١) صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ٣ /١٥. ومحمد سيد طنطاوي، معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم. ص: ١٢٠. والقاضي، اعراب القرآن الكريم. ص:١٨٨.

وجاءت في هذه السورة وَٱطْمَأَنُّواْ فعل ماضي مبني على الضم، لإتصاله بواو الجماعة.

(وَ)حرف عطف، (وَٱطْمَأَنُّواْ) فعل ماض مبني على الضم...(وا) والجماعة ضمير متصل مبني على السكون في محل رفع فاعل، (بِهَا): جارومجرور متعلِّق بـ(وَٱطْمَأَنُّواْ)[١٧٢]. ويمكن ان تكون الواو للحال، وقد مقدرة[١٧٣].

ثالثاً: جاءت بصيغة فعل ماض مبني على الفتح:

وذلك في سورة الحج، حيث يتحدّث سبحانه وتعالى عن الذين يدخلون في الإسلام بشرط أن تلد زوجاتهم، ويبارك في أموالهم وماشيتهم واغنامهم، وتجارتهم، وزراعتهم، ويعبدون الله عزّ وجلّ بهذه الشروط، ولكن ان لم يروا هذه الشروط في دينهم الجديد، ينقلبون على وجوههم ويرتدّون، ويقول تبارك وتعالى هؤلاء ليسوا مؤمنون حقاً، بل أولئك من الخاسرين في الدنيا والآخرة.

وأخيراً ما جاء في سورة (الحج) حيث يقول سبحانه وتعالى﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ (الحج:١١/٢٢). وردت كلمة ٱطْمَأَنَّ في هذه الآية الكريمة فعل ماض مبني على الفتح.

الفاء: عاطفة تفريعيّة، (إِنْ)شرطيّة، (أَصَابَهُۥ)فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، الهاء: ضمير متصل في محل نصب مفعول بهِ، خيرٌ: فاعل، (ٱطْمَأَنَّ)فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم جواب الشرط، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، (بِهِ) جار ومجرور متعَلِّقان بـِ(ٱطْمَأَنَّ)، وجملة(ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ)لامحل لهاجواب شرط جازم غير مقترنة بالفاء[١٧٤].

---

(١٧٢) صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ٦/ ٨١. ومحمد سيد طنطاوي، معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم. ص:٢٦٦. والقاضي، اعراب القرآن الكريم. ص:٤١٥.

(١٧٣) اعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش: ٣ / ٣٠٧.

(١٧٤) صافي،الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه:٩/ ٩٣. ومحمد سيد طنطاوي، معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم. ص: ٤٣٤. واعراب القرآن القرآن الكريم وبيانه: ١٠٧/٥. والقاضي، اعراب القرآن الكريم. ص: ٦٦٤.

الفصل الثاني

المدخل:

السكينة لغة:

قال الخليل: السكون ضدالحركة، يُقال: سكن الشيء يسكن سكونا إذا ذهبت حركته أسكنه هو سكنّه غيره تسكيناً، وكل ماهدأ فقد سكن كالريحِ والحرّ والبردِ ونحوِ ذلك، وسَكَنَ الرجل سكت وقيل سَكَن في معنى سكت وسَكَنتِ الريح وسَكَن المطر وسَكَن الغضب[١٧٥]. والسكينة مأخوذة من مادة(س ك ن) التي تدل على خلاف الاضطراب والحركة، يقال: سكن الشيء إذا ذهبت حركته فاستقرّ وثبت، ومن هذا الباب السكينة: هي الوقار، وقيل الوداعة والوقار)[١٧٦].

أما السكينة التي تكلم على لسان عمر(ﷺ) فهي أيضا بمعنى الوقار والسكون، وقيل الرحمة، وقيل غيرذلك، وأما السكينة في حديث الدفع من عرفة(أيُّها الناس السكينة السكينة)[١٧٧]. فهي الوقار والتأني في الحركة والسير[١٧٨]، ويقول النووي: وهي الرفق والطمأنينة[١٧٩]، وقال النحاس: السكينة: الرحمة، وقال محمد بن يزيد: السكينة: فعيلة من السكون ومن السكينة: الحلم والوقار، وترك ما لايعنيه[١٨٠]، وقال النووي هي: السكون والطمأنينة[١٨١]، وقال الحنبلي: وهي فعيلة من السكون الذي هوالوقار، وفسرالجوهري الوقار بالحلم والرزانة[١٨٢]، وقال الفيومي: السكينة بالتخفيف: المهابة والرزانة والوقار[١٨٣]، وقال الفيروزآبادي: والسَّكينة والسِكينة بالكسر مشددة

---

(١٧٥) ابن منظور، لسان العرب: (سكن) : ٢١١/١٣ .

(١٧٦) أبوالحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دارالفكر للطباعة والنشر، ١٩٧٩م. (سكن): ٣ /٨٨. والجوهري، معجم الصحاح. (سكن): ٢١٣٦/٥.

(١٧٧) النيسابوري، أبوالحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، دار الجيل بيروت و دار الأفاق الجديدة ـ بيروت، بيروت: ٣٩/٤ .

(١٧٨) ابن الأثير: مجدالدين أبوالسعادات المبارك بن محمد بن عبدالكريم الشيباني(ت: ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ـ محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٩٧٩م: ٣٨٥/٢.

(١٧٩) النووي، أبوزكريا محيي الدين يحيى بن شرف(ت: ٦٧٦هـ)، صحيح مسلم بشرح النووي، دار الكتاب العربي، بيروت ، ١٩٨٧ م : ١٧٦/٥.

(١٨٠) النحّاس، إعراب القرآن: ١٩٦/٤

(١٨١) النووي، أبوزكريا يحي بن شرف(ت٦٧٦هـ)، تحرير ألفاظ التنبيه: تحقيق: عبدالغني الدقر، دار القلم، دمشق، بيروت، ١٤٠٨هـ : ٨٦/١ .

(١٨٢) الحنبلي، أبوعبدالله محمد بن أبي الفتح البعلي(ت٧٠٩هـ)، المطلع على أبواب المقنع: تحقيق محمد بشير الأدلبي، المكتب الإسلامي، بيروت،١٩٨١م :١٩٦/١ .

(١٨٣) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري(ت٧٧٠هـ)،المصباح المنير:المكتبة العلمية.(سكن): ٣٨٣/١.

الطُمأنينة[١٨٤]، وقال الجرجاني: السكينة: (ما يجدهُ القلبُ من الطمأنينة عند تنزل الغيب وهي نورفي القلب يسكن إلى شاهده ويطمئن وهومباديء عين اليقين وقيل هي زوال الرعب)[١٨٥]، ويقول المناوي: السكون عدم الحركة عما من شأنه أن يتحرك فعدم الحركة عما ليس من شأنه الحركة لا يكون سكونا، فالموصوف بهذا لا يكون متحركا ولا ساكنا، ذكره ابن الكمال، وقال العضد: السكون التأني في الخصومات والحروب.

وقال الراغب: السكون ثبوت الشيء بعد تحركه ويستعمل في:

- الاستيطان: يقال سكن فلان مكان كذا توطنه.
- والسكن: الدار التي يسكن بها.
- والسكنى: أن يجعل له السكون في دار بغير أجرة.
- والسكين: سمي به لإزالته حركة المذبوح.
- والسكينة: زوال الرعب، السكينة عند القوم ما يجده القلب من الطمأنينة عند تنزل الغيب[١٨٦]، وقال الكفوي: (كل سكينة في القرآن فهي طمأنينة، إلاالتي في قصة طالوت فإنها شيء كرأس الهرة له جناحان)[١٨٧]، وقال الزبيدي: هي الطمأنينة والوداع والقرار والسكون الذي ينزله الله تعالي في قلب عبده المؤمن من عند اضطرابه من شدة المخاوف، فلاينزعج بعد ذلك لما يرد عليه ويوجب عليه زيادة الايمان وقوة اليقين والثبات[١٨٨]، وقيل: (عندما أمرالله ابراهيم(عليه السلام) ببناء البيت وأرسل إليه السكينة وهي في هيأة سحابة لها وجه ولسان وعينان تتكلم فوقفت فوق موضع الكعبة وقالت يا إبراهيم: خذ على قدر ظلى فبنى البيت على قدر ذلك الظل)[١٨٩]، وقيل: (هي التأني في الحركات،

---

(١٨٤) الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب(ت:٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م: ١٥٥٦/١ .

(١٨٥) الجرجاني، علي بن محمد بن علي(ت ٨١٦هـ)، التعريفات: تحقيق: إبراهيم الأبياري، دارالكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ :٨١.

والتهانوي، محمد علي، موسوعة كشّاف إصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٦م : ٩٦٤/١ .

(١٨٦) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف. ص: ٢٦١ .

(١٨٧) الكفوي، أبوالبقاء أيوب بن موسى الحسيني(ت١٠٩٤هـ)، الكلّيّات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠١١م : ٤١٦.

(١٨٨) الزبيدي، محب الدين أبوفيض السيد محمد مرتضى الحسيني(ت:١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس: تحقيق علي شبري، دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، ١٩٩٤م: ٢٨٨/١٨ .

(١٨٩) المقدسي، المطهر بن طاهر(ت٥٠٧هـ)، البدء والتأريخ: مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد: ٨٢/٤.

واجتنابُ العبث، ونحوذلك، والوَقار في الهيئة، وغضّ البصر وخفض الصوت، والاقبال على طريقه بغير التفات)[١٩٠]، وقال النووي: السكينة هي التي نزلت على قلب النبي(ﷺ) وقلوب المؤمنين، وهي شيء يجمع قوة وروحا يسكن إليه الخائف ويتسلّى به الحزين والضّجِرُ، ويسكن إليه العصيُّ والجريُّ والأبي[١٩١]، وقال ابن الجوزي عن ابن مسعود أنّ: السكينة مغنم ووقار[١٩٢]، وقيل: السكينة: الطمأنينة والاستقرار، والرزانة والوقار[١٩٣]، وقال لويس المعلوف: السكينة: بفتح السين الوقار والطمأنينة والمهابة، وقال أيضا: السكينة: بكسر السين: الطمأنينة والوَقار[١٩٤]،وجاء في معجم المترادفات والأضداد أيضاً أنها تأتي بعدة معان، هي: أمن، أمان، دعةٌ، طمأنينة، إطمئنانٌ، سكون، وجاء ايضاً: وقارٌ، رجاحةٌ، رزانةٌ، رصانةٌ، مهابةٌ، هيبةٌ[١٩٥]. وقال نورالدين الوسيط: السّكينة: الطُّمأنينة والهدوء، واوداعة، والوقار[١٩٦]، ويقول المصطفوي: (سكن: أصل واحد مطرِد يدلّ على خلاف الإضطراب والحركة، يقال سكن الشيء يسكن سكوناً، فهو ساكن. والسّكن: الأهل الذين هم يسكنون الدار. والسكن: النار، فإنّ الناظر اليها يسكن ويسكن اليها وإلى أهلها. والسّكن كلّ ما سكنت اليه من محبوب. ومن الباب السّكينة وهو الوقار وسكّان السفينة لأنّه يُسكّنها عن الاضطراب. والسّكينة: المهابة والرزانة والوقار).

---

(١٩٠) النووي، أبوزكريا يحي بن شرف(ت٦٧٦هـ)، روضة المتقين في شرح رياض الصالحين، شرح وضبط وتوثيق عبدالقادر عرفان بن سليم العشاحشونة الدمشقي، دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م: ٢٤٣/٢.

والبهوتي، منصور بن يونس بن إدريس، كشّاف القناع: تحقيق هلال مصيلحي مصطفى هلال، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ: ١ / ٣٢٤ .

(١٩١) ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبوعبد الله، تهذيب مدارج السالكين: تهذيب: عبدالمنعم صالح العلي العزّي، نشر إحسان، طهران. ص:٧٩٢ .

(١٩٢) ابن الجوزي، أبوالفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي، غريب الحديث: تحقيق: عبدالمعطي أمين القلعجي، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م : ٤٩٨/١ .

(١٩٣) وجدي، محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين: دارالفكر، بيروت: ٥/ ٣١٧ .

وابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، استانبول، ١٩٨٩م : ٤٤٠/١ .

(١٩٤) معلوف، لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ١٣٨٢ ش، شركت جاب قدس، قُم. ص: ٣٤٢ .

(١٩٥) ضناوي، سعدي، وجوزيف مالك، معجم المترادفات والأضداد، المؤسسة الحديثة للكتاب ناشرون، طرابلس، ٢٠١٣م. ص: ٣٠٩.

ومخلوف، حسنين محمد مخلوف، كلمات القرآن تفسيروبيان، الطبعة الأخيرة، ١٩٧٥م. ص: ٣٣.

(١٩٦) نور الدين الوسيط، عصام نورالدين، معجم نورالدين الوسيط، دارالكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٩م. ص: ٧٢٣.

وبعد أن أورد معاني كل صيغة من صيغ سكن، يتابع ويقول: (الأصل الواحد في هذه المادة: هو الاستقرار في مقابل الحركة وهو أعمّ من الاستقرار المادي والروحي. والاستقرار الباطني يعبّر عنه بالطمأنينة ورفع الاضطراب والتشوّش).

ويقول ايضاً: (وإذا استعمل بحرف الى فيكون بمعنى الاعتماد والاطمينان: فيقال سكن الى فلان أي استقرّ معتمداً ومطمئنّاً عليه ومتّكئاً اليه. وأمّا السّكن: فهو صفة في الاصل كَحَسَن، ويطلق بمعنى الساكن، أو انه مصدر ايضاً بمعنى السكون والاستقرار والاطمينان، أوانه اسم بمعنى مورد السكون والاطمينان. وهذه المعاني مستعملة)[١٩٧].ويقول جرجي شاهين: السّكينة: الطّمأنينة والرّزانة والوقار[١٩٨]. وقال جبل: والسّكينة: الدّعَةُ والوَقار. سكن:هدأ ووَدَعَ:﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الفتح:٤/٤٨). ومثله في﴿ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾(الفتح:١٨/٤٨). و﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(الفتح:٢٦/٤٨). وفي﴿ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (البقرة:٢٤٨/٢). و﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(التوبة:٢٦/٩). وقوله:﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ ﴾(التوبة:٤٠/٩). وسكن الرجل وأسكن وتمسكن: صار مسكيناً. (كما يقال: تطامن وخشع، كأنه انخفض في جوف واستقر فيه)[١٩٩].

السكينة اصطلاحاً:

وجاء في (معجم ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن الكريم)[٢٠٠]، للباحثين العراقيين أنّ لفظة (سكن) جاءت في النص القرآني الكريم على عدة معاني ذكرها المفسرون، وقد اتضحت هذه

---

(١٩٧) المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مركز نشر آثارالعلامة المصطفوي، القاهرة– لندن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩م: ١٩٦/٥- ٢٠٠.

(١٩٨) عطية، جرجي شاهين، معجم المعتمد، تحقيق: سعدي مناوي، وجوزيف مالك، واميلين الياس، مراجعة: إميل يعقوب، دارالكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠١١. ص : ٣٠٢.

(١٩٩) جبل، محمد حسن حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصّل لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢مزيدة ومنقحة، ٢٠١٢م : ١٠٦٦/٢.

(٢٠٠) حامد عبدالهادي حسين، ونشأت صلاح الدين حسين، معجم ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن الكريم، مركز البحوث والدراسات الاسلامية، ديوان الوقف السني، بغداد ، ٢٠١٢م : ١/ ٥٥٤ – ٥٥٦ .

المعاني من خلال الآيات التي وردت فيها، ولكن بعض هذه المعاني ليس له علاقة بموضوع البحث، كما سيأتي:

أ- استقرّ وثبت: كما في قوله تعالى﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾(الأنعام:١٣/٦).

وفي قوله تعالى﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ ﴾(غافر:٦١/٤٠).

ب- أَلِفَ: كما في قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَا ﴾ (الأعراف:١٨٩/٧).

وفي قوله تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجًا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا ﴾(الروم:٢١/٣٠).

ت- استراح: كما في قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ ﴾(يونس:٦٧/١٠).

ث- نزل (أقام): وهذا المعني ليس له علاقة بموضوع البحث.

ويقول أيضاً: وجاءت لفظة (السكن) في النص القرآني الكريم على عدة معان وقد اتضحت هذه المعاني من خلال الايات الكريمة التي وردت فيها، وهي:

أ- الاستقرار والاستراحة: قال تعالى: ﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا ﴾(الأنعام:٩٦/٦).

ب- الطُمأنينة: قال تعالى﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ ﴾ (التوبة:١٠٣/٩).

ت- المساكن،(مواضع السكن): قال تعالى:﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا ﴾(النحل:٨٠/١٦).

استعمالات السكينة

واستُعملت السكينة في القرآن الكريم لهذه المعاني :

١- سكينة بني اسرائيل التي أعطوها في التابوت، سوف يأتي ذكرها.

٢- السكينة التي أنزلها الله على قلب رسوله(ﷺ) والمؤمنين، سوف يأتي ذكرها.

٣- السكينة التى تنطق على لِسان المحدثين: هي التي تنطق على لسان المحدثين ليست هي شيئا يملك إنما هي شيء من لطائف صنع الحق تلقى علي لسان المحدث الحكمة كما يلقي الملك الوحي على قلوب الأنبياء وتنطق بنكت الحقائق مع ترويح الأسرار وكشف الشبه[٢٠١].

درجات السكينة

للسكينة التي تنزل على قلب المؤمن، وهي التي تسمى سكينة الوقار درجات ثلآث:

الأولى: سكينة الخشوع، وهي ثمرة السكينة التي تنزل على قلب الرسولﷺ والمؤمنين.

الثانية: السكينة عند المعاملة بمحاسبة النفوس، وملاطفة الخلق، ومراقبة الحق.

الثالثة: السكينة التي توجب الرضا بما قسم الله عز وجل وتمنع من الشطح الفاحش[٢٠٢].

مواطن السكينة

من المعلوم أنّ السكينة التي يتحدّث عنها البحث، هي سكينة تنزلّها الله سبحانه وتعالى على قلوب عباده المؤمنين، وذلك عندما يحتاج المؤمن الى السكينة والاطمئنان حتى لايتزعزع ولايقلق ولايقع في ريبة في عبادته، وذلك في حال الجهاد، وحال الصلاة، وعند القيام بالعباداة الأخرى، وعند نزول القرآن، والحجَ، وسائر الإحسان من غير العبادات المفروضة.

فوائد السكينة

للسكينة فوائد كثيرة في حياة المسلم منها:

١- إنّهاعلامة رضا الله عن العبد كما تنص عليه الآيات.

٢- سمة العلماء وصفة الأولياء والمتشبه بهم إن شاء الله في زمرتهم.

٣- علامة اليقين والثقة برب العالمين.

٤- فيها طاعة لله وتأس برسول الله (ﷺ).

٥- تثبت قلوب المؤمنين وتزيدهم ثقة وإيماناً.

٦- تؤدي إلى الرضا بما قسم الله –عزوجل- وتمنع من الشطط والغلو.

---

(٢٠١) ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين : ٢ / ٥٠٥ .

(٢٠٢) عدد من المختصّين، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدّة ط٣، ٢٠٠٤م : ٢٢٦٧/٦ .

٧- تؤدّي إلى اللطف في معاملة الآخرين وهذا ممّا يجلب المحبة ويشيع الألفة.
٨- تُثمِرُ الخشوع وتجلب الطمأنينة، وتلبس صاحبها ثوب الوقار.
٩- نطق صاحبها بالصواب والحكمة وتحول بينه وبين قول الخنا والفحش وكل باطل.
١٠- وهي ممّا تسكن الخائف وتسلي الحزين والضجِر[٢٠٣].

وقد جاءت مشتقات مادة(س ك ن) في القرآن الكريم في (تِسعةٍ وسِتّين) مَوضِعاً[٢٠٤]، ولكن لاتخص كلها موضوع البحث، لأنها لاتأتي بمعنى (السكينة ولاالطمأنينة) التي هي موضوع البحث، وإنّما وردت بمعان مختلفة، مثلاً وردت صيغة(مسكن، مساكن، اسكنوا، واسكن، تسكن، فأسكنّاه، ولنسكننّكم، أسكنتُ...)، وهي صيغ مختلفة، ولها معان مختلفة تختلف عن موضوع البحث، لذا لم يتطرق البحث الى هذه الآيات التي وردت فيها هذه الالفاظ، واقتصر على الآيات التي وردت فيها الألفاظ التي تخصّ البحث هنا، والتي تعني (السكينة أوالطمأنينة) في آي الذكر الحكيم.

ولفظة (السكينة) والألفاظ التي تدل عليها وردت في(ستة عشر) موضعاً في التعبيرالقرآني[٢٠٥]، وهذه الألفاظ هي التي تخص موضوع البحث، وهذه المواضع الستة عشر تنقسم حسب معانيها التي وردت بها في التعبير القرآني الى ثلاثة مواضيع، فبعضها تدلُّ على الطمأنينة والأمان في حالة الحرب، وبعضها تدل على السكينة والإطمئنان في حالة القلق والإضطراب، والآخر تدل على السكينة والوقار في الحياة الزوجية، وسيتحدّث البحث عن هذه المعاني بالتفصيل إن شاءالله.

أسباب السكينة

ذكر العلماء والباحثون مجموعة اسباب تؤدي الى السكينة، مجملها:

١- مراقبة العبد لربه والايمان بالله سبحانه وتعالى.
٢- حسن الصلة بالله، والانطراح بين يديه والخضوع له.
٣- ذكرالله تعالى وتلاوة القرآن.
٤- استشعار قرب الفرج عند حلول المِحَن ونزول البلايا.
٥- طلب العلم والحرص عليه.
٦- اداء الحقوق والواجبات المفروضة.
٧- الاحسان الى عباد الله تعالى.
٨- الصدق في الدعاء والالحاح في الطلب.

---

(٢٠٣) المصدر نفسه : ٢٢٧١/٦ .

(٢٠٤) عبدالباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بِحاشية القرآن الكريم، مطبعة ظهور، الجمهورية الإسلامية الإيرانية، منشورات ذوي القربى، ط٣ ، ١٣٨٤ش. (سكن): ص ٣٥٣ .

(٢٠٥) عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٤٤٨ و ٤٤٩. والزحيلي وآخرون، وهبة الزحيلي ومحمد عدنان سالم ومحمد بسّام رشدي الزين زمحمد وهبي سليمان، الموسوعة القرآنية الميسرة: دارالفكر: دمشق ـ سورية، ودار الفكر المعاصر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤م. ص: ٧٠١ .

المبحث الأول

السكينة في حالة الحرب

خلق الله تبارك وتعالى الخلق بمافيهم بني آدم ليعيشوا هادئاً مطمئنّاً بسلام ووئام، لذلك فالحالة الطبيعية للحياة التي يريدها الله سبحانه وتعالى للعبيد في الدنيا والآخرة هي العيش بسلام، وليس الحرب والتنافر. ومن جهة أخرى خلق الله سبحانه وتعالى نزعة الشر والقلق والإضطراب والجهل في الإنسان كما خلق نزعة الخير، وسبب ذلك معلوم أنه للإمتحان والإختبار، وقد استغلّ الشيطان في بني آدم نزعة الشرّ والنزاع والتنافر، وجعل هذه الحالة حالة سائدة بين بني آدم. لذلك أنزل الله آيات في كتابه العزيز ليطمئنّ عباده في حالة القلق والإضطراب، و ويثبتون عندما يواجهون أعدائهم.

وقد وردت ألفاظ السكينة التي تدل على السكينة والطمأنينة في حالة الحرب في ستة مواضع في القرآن الكريم، وقام البحث بسرد الآيات التي وردت فيها السكينة حسب ترتيب السور في القرآن الكريم، وتحدّث حسب آراء المفسرين على معان السكينة واختلافهم على معان هذه الكلمة في التعبير القرآني.

أوّلاً: سكينة بني اسرائيل:

يُعدُّ إيمان المقاتل بِصدق منهجه ممّا يؤدّي إلى تقوية عزيمة المقاتل، وثباته في المعركة، وثقته بأنّ النصر سيكون حليفهُ، وهذه هي السكينة والطمأنينة التي تكون في قلوب المؤمنين ذكرها القرآن الكريم كثيراً، لأنّها من العوامل المهمة التي تؤدّي إلى هزيمة الأعداء، والسكينة في أثناء الحرب تقَوّي من عزائم المسلمين والمجاهدين، وتؤدّي بهم إلى النصر المؤزَّر.

والآية الكريمة التي تتحدث عن سكينة بني اسرائيل، هي في قصّة(طالوت) في سورة (البقرة).

يقول تبارك وتعالى:﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(البقرة:٢٤٨/٢).

في هذه الاية الكريمة تأتي كلمة(سَكِينَةٌ) بعدة معاني، وذلك حسب آراء العلماء والمفسرين، فمنهم من يرى أنها تأتي بمعنى(السكون والطمأنينة، أوالثبات والوقار، أوتابوت فيه أشياء فاضلة مثل بقايا أنبياء بني اسرتئيل وآثارهم، أو طست من ذهب، أو روح من الله تتكلم، أو شيء على هيئة

سحابة لها رأس، أو ريح هفافة لها وجهٌ، أو نسخة الألواح التي اعطاها الله سبحانه وتعالى لموسىعليه السلام على الطور. وسيأتي البحث على ذكر آراء العلماء والمفسرين على ماذُكِر.

معلوم انّ للعلماء والمفسرين أقوال وآراء مختلفة في معنى (سَكِينَةٌ) وماهيتها التي وَرَدَت في هذه السورة، وفسّروها بمعان عديدة ومختلفة، منهم من يرى أنّها شيء مادّي وحسّي، ومنهم من يرى أنّها شيء معنوي.

قال مجاهد في تفسير(سَكِينَةٌ) فبلغني أنَّ السَّكينةَ لها رأسٌ كرأسِ الهرّةِ و جناحان[٢٠٦]،

وقال الطبريُّ: واختلف أهلُ التّأويلِ في معنى السّكينةِ، فقال بعضُهم: هي ريحٌ هفافةٌ لها وجهٌ كوجهِ الانسانِ، وقال علي بن أبي طالب(رضي الله عنه): (السّكينةُ لها وجهٌ كوجهِ الإنسانِ، وهي ريحٌ هفافةٌ لها صورة)، وقال أيضاً: رحمةٌ من ربّكُم، وقال آخرون: السّكينة: هي الوَقارُ، وأَولى هذه الأقوالِ بالحق في معنى السّكينةِ ما قالَهُ العطاءُ بن أبي رباح من شيء تَسكُنُ إليه النفوسُ من الآياتِ التي تعرفونَها، وقال أيضاً: وذلك أنّ السّكينةَ في كلامِ العربِ الفعيلةُ من قولِ القائلِ: سَكَنَ فلانٌ إلى كذا وكذا، إذا اطمأَنَّ إليهِ وهَدأَ ت عندَهُ نفسهُ فهو يسكنُ سُكُوناً وسَكينةً، وقال آخرونَ: هي روحٌ من اللهِ تَتَكَلَّمُ[٢٠٧]، ويُعلِّقُ الطبريُّ على ما ذكرهُ سابقاً بِقولهِ: وإذا كان معنى السّكينةِ ما وُصِفَت، فجائزٌ أَن يكونَ ذلك ما قالهُ مجاهدٌ، وجائزٌ أَن يكونَ ما قالهُ وهبُ بنُ منبه، وما قالهُ السدي، لأنّ كلُّ ذلك آياتٌ كافياتٌ تسكنُ إليهنَّ النفوسُ، وتثلجُ بهنَّ الصدورُ[٢٠٨]. ورأى الكلبيُ أنَّهُ: ريحٌ فيه رأسٌ ووَجهٌ كَوجهِ الانسانِ، وقيلَ: طستٌ من ذهبٍ تغسلُ فيه قُلوبُ الأنبياءِ، وقيل: رحمةٌ، وقيلَ: وقارٌ[٢٠٩]، وقال ابو حيّان الأندلسي: السكينة: فعلية من السكون، وهو الوقار تقول: في فلان سكينة أي: وقار وثبات[٢١٠]، وأشار البغويّ إلى الشيء نفسه في إختلافهم ويقولُ: اختلفوا في السّكينة ما هي، عن مجاهد: شيءٌ يُشبهُ الهرّةَ لهُ رأسٌ كرأسِ الهرّةِ، وذَنَبٌ كذَنَبِ الهرّةِ وله جناحانِ، وقيلَ: له عينانِ

---

(٢٠٦) مجاهد، مجاهد بن جبرالمخزومي أبوالحجّاج(ت١٠٤هـ)، تفسير مجاهد: تحقيق: عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي، دارالنشر: المنشورات العلمية، بيروت: ١١٤/١ .

(٢٠٧) الطبري، أبوجعفر محمد بن جرير بن يزيد(ت٣١٠هـ)، جامع البيان في تفسير القرآن دارالمعرفة، بيروت،١٩٩٢م : ٣٨٥/٢و ٣٨٦.

(٢٠٨) المصدر نفسه: ٢ / ٣٨٧ .

(٢٠٩) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل.ص: ٨٨ . والأخفش، أبوالحسن المجاشعي(ت: ٢١٥هـ)، معانى القرآن للأخفش، تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠م: ١٨٠/١ .

(٢١٠) الاندلسي، أبوحيان أثيرالدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف(ت٧٤٥ هـ)، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت،١٤٢٠ هـ : ٢ / ٤٨٥.

لهما شعاعٌ وجناحانِ من زُمردٍ وزُبرجدٍ فكانوا إذا سَمِعوا صوتَهُ تَيَقَّنوا بالنصرِ وكانوا إذا خرجوا وضعوا التابوتَ في مقدّمتهم فَإذا سارَ سارُوا وإذا وقَفَ وقَفُوا..، وقال قتادة: السّكينةُ فعيلةٌ من السّكونِ أي طمأنينةٌ من ربّكم، ففي أيّ مكانٍ كان التابوتُ إطمأنُّوا إليهِ وسكَنُوا[٢١١]، وقال الرازي: يحتمل أن يكون المراد منه أنهم يجدون في التابوت هذا المعجز الذي هو سبب لاستقرار قلبهم واطمئنان أنفسهم[٢١٢]، وهكذا قال القرطبيّ: واختلف الناسُ في السكينةِ والبقيّةِ، فالسكينةُ فعيلةٌ مأخوذةٌ من السكونِ والوَقارِ والطمأنينةِ، فقولهُ: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾أي: هوسبب سكونِ قلوبِكُم فيما إختلفتم فيه من أمر طالوت، وقيل: أرادَ أنَّ التابوتَ كانَ سببُ سكونِ قلوبهم فأينما كانوا سكنوا إليه ولم يفرُّوا من التابوتِ إذا كان معهم في الحرب، وقال وهبُ بن منبه: هي روحٌ من الله تَتَكَلَّمُ، فكانوا إذا اختلفوا في أمرٍ نطقت ببيان ما يريدون، وإذا صاحت في الحربِ كانَ الظفر لهم، وقال السدي: طستٌ من ذهبٍ من الجنّةِ كان يغسلُ فيه قلوبُ الأنبياءِ، وقال ابن عطيّة: والصحيحُ أن التابوتَ كانت فيه أشياءٌ فاضلةٌ من بقايا الأنبياءِ وآثارِهم، فكانت النفوسُ تسكنُ إلى ذلك وتأنسُ بهِ وتُقوى[٢١٣]، وذهبَ ابن كثير في تفسيرِ هذهِ الآية إلى ما قالهُ الآخرون بِقوله: قيل معناهُ وقارٌ وجلالةٌ، وقال قتادة: وقارٌ، وقال الربيع: رحمةٌ، وقال ابنُ جُريج: سألتُ عن عطاء عن قوله: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾؟ قال: ما تعرفون من آياتِ اللهِ فتسكنونَ إليه، وكذا قال الحسنُ البصريُّ، وعن وهب بن منبه: السَّكينةُ: رأسُ هرّةٍ ميتةٍ إذا صَرَخَت في التابوتِ بِصُراخِ هرّ، أيقنوا بالنصرِ، وجاءَهم الفتحُ، وعنه أيضاً: هي روحٌ من الله تَتَكلّمُ، إذا اختلفوا في شيءٍ تكلّمَ، فتُخبرُهم ببيانِ

---

(٢١١) البغوي، الإمام أبومحمد الحسين بن مسعود الفرّاء(ت٥١٦هـ)، معالم التنزيل، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، مطبعة دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٠م : ٣٣٤/١.

والزمخشري، جارالله محمود بن عمر(ت ٥٢٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : بيروت، ١٩٤٧م :١/ ٢٩٣.

والنسفي، أبوالبركات عبدالله بن أحمد بن محمود حافظ الدين(ت٧١٠هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، بيروت، ١٩٩٨ م: ١ /٢٥٠.

(٢١٢) فخرالدين الرازي، أبوعبدالله محمد بن عمربن الحسن بن الحسين التيمي(ت٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية – بيروت، بيروت، ٢٠٠٠ م : ٣ / ٤٠٩ .

(٢١٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ٣ /٢٤٨.

مايُريدون[٢١٤]، ويذكر البيضاويّ رأيه ويقول: الضميرَ لِلاتيانِ، أي: في اتيانهِ سُكونٌ لكم وطمأنينةٌ، أوللتابوتِ، أي: موضعٌ فيه ما تسكنونَ إليه، وهو التوراةُ، وكان موسى(عليه السلام) إذا قاتلَ قدَّمَهُ فتسكنُ نفوسُ بني إسرائيلَ ولا يفرُّونَ، وقيل: صورةٌ فيه كانت من زُبرجدٍ أوياقوت لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها وجناحاها فتئن، فيزف التابوت نحو العدوّ وهم يتبعونه فإذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر، وقيل صور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقيل التابوت هوالقلب، والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص، وبإتيانه يصير قلبه مقراً للعلم والوقار بعد أن لم يكن[٢١٥]، ونقل الفيروز آبادي عن ابن عباس: أنّها رحمة وطمأنينة ويقال فيه ريح النصرة له صفرآة كوجه الانسان[٢١٦]، وعند السيوطي: طمأنينة لقلوبكم[٢١٧]، ويقول ابن الملقن: مايسكن به قلوبكم[٢١٨]، وقال الكفوي (سَكِينَةٌ) آمنة تسكن عندها القلوب[٢١٩]، وأشار الشوكاني إلى أنّها: فعيلة مأخوذةٌ من السكون والوقار والطمأنينة، أي: فيه سبب سكون قلوبكم فيما اختلفتم فيه من أمر طالوت، قال ابن عطية: الصحيح أن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء وآثارهم، فكانت النفوس تسكن إلى ذلك

---

(٢١٤) ابن كثير، عمادالدين أبوالفداء إسماعيل بن عمر(ت٧٧٤هـ)، تفسيرالقرآن العظيم ويليه كتاب فضائل القرآن، دارإحياءالتراث العربي للطباعة والنشروالتوزيع، بيروت، ٢٠٠٠م : ١ / ٣١٢ .

وابن كثير، البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر(ت٧٧٤هـ)، مكتبة المعارف، بيروت: ٢ / ٧ .

(٢١٥) البيضاوي، ناصرالدين أبي الخير عبدالله بن عمر بن محمد(ت٧٩١هـ)، أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٩٦٨م :١٣٠/١.

وابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمد(ت٥٩٧هـ)، زادالمسيرفي علم التفسير: المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤: ١/ ٢٥٢.

والماوردي، أبوالحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري(ت٤٥٠هـ)، النكت والعيون: تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دارالكتب العلمية، بيروت: ١/ ١٨٣.

ومقاتل، أبوالحسن مقاتل بن سليمان بن بشير(ت: ١٥٠هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: احمد فريد، دارالكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣ م : ١٥١/١.

(٢١٦) الفيروز آبادي، أبوطاهر محمد بن يعقوب(ت٨١٧هـ)، تنوير المقباس من تفسير إبن عبّاس: مطبعة الإستقامة، القاهرة، ١٩٦٠م. ص: ٢٨ .

(٢١٧) السيوطي، والمحلي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت٩١١هـ)، وجلال الدين محمد بن أحمد (ت٨٦٤هـ)، تفسير الجلالين. دارالحديث – القاهرة. ص: ٥٤ .

(٢١٨) ابن المُلَقِّن، سراج الدين ابي حفص عمر بن ابي الحسن علي بن احمد، تفسير غريب القرآن، تحقيق: سميرطه المجذوب، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١١م. ص: ٨٤ .

(٢١٩) الكفوي، الكليات. ص: ٤٣٥.

وتأنس به وتتقوّى[٢٢٠]، وقال الآلوسي: في إتيانه سكون لكم وطمأنينة، فالسكينة مصدر حينئذ أو فيه نفسه ماتسكنون إليه وهو التوراة، وقيل: وليس بالصحيح ما قاله الراغب: صورة كانت فيه من زبرجد أو ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فإذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر[٢٢١]، ويقول سيد قطب: وكان أعداؤهم الذين شردوهم من الأرض المقدسة التي غلبوا عليهاعلى يد نبيهم يوشع(عليه السلام) بعد فترة التَّيهِ ووفاة موسى(عليه السلام) قد سلبوا منهم مقدّساتهم ممثلة في التابوت الذي يحفظون فيه مخلفات أنبيائهم من آل موسى وآل هارون، وقيل: كانت فيه نسخة الألواح التي أعطاها الله لموسى(عليه السلام) على الطور، فجعل لهم نبيهم علامة من الله، أن تقع خارقة يشهدونها، فيأتيهم التابوت بما فيه(تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ) فتفيض على قلوبهم السكينة وقال لهم: إنّ هذه الآية تكفي دلالة على صدق إختيار الله بطالوت، إن كنتم مؤمنين[٢٢٢]، وقال ابن عادل: (سكينةٌ) فعيلة من السكون، وهو الوقار أي هوسبب سكون قلوبكم، فيما اختلفتم فيه من أمر طالوت[٢٢٣]، وقال الزحيلي: فيه طمأنينة لقلوبكم، ثم أخذه الفلسطينيون من بني إسرائيل حينما انتصروا عليهم، ولما طلب الاسرائيليون من نبيّهم صموئيل الذي كان قاضيا أن يبعث لهم مَلِكاً فَفَعَل، وجعل رجوع التابوت إليهم آية لِملك طالوت، وقال أيضا: فيه تحقيق الطمأنينة لِقلوبكم، وارتياح ضمائركم، أوسُكُونٌ وَطُمَأنِينةٌ لِقُلُوبِكُمْ، أوهي طمأنينة القلب وهدوء نفسي[٢٢٤]، وذهب المكي أيضاً إلى أنها: فعيلة من السكون وهو ما تسكن إليه النفس إذا

---

(٢٢٠) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله(ت١٢٥٠هـ)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ١٤١٤ هـ : ٤٠١/١ .

(٢٢١) الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني(ت:١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المحقق: علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت: ٢ / ٢٩٣ .

وابن عاشور، التحرير والتنوير: ١ / ٦٩٦ .

(٢٢٢) سيدقطب، إبراهيم حسين الشاربي(ت:١٣٨٥هـ)، في ظلال القرآن: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٧مزيدة ومنقّحة، ١٩٧١م : ٣٩٢/١ .

(٢٢٣) ابن عادل، أبوحفص عمر بن على الدمشقى(ت بعد سنة٨٨٠ هـ)، اللباب في علوم الكتاب، دار الكتب العلمية - بيروت، بيروت: ٣ /٢١٠ .

(٢٢٤) الزحيلي، التفسيرالمنير: ٢ / ٤٢٦ و٤٢٧ .

والحمصي، محمد حسن الحمصي، مفردات القرآن تفسير وبيان مع اسباب النزول للسيوطي، مؤسسة الايمان(بيروت)، ودارالرشيد(دمشق - بيروت)، (د. ط.)، (د. ت.). ص: ٤٠ .

وأسعدحومد، أيسر التفاسير لأسعدحومد، مصدر الكتاب: موقع التفاسير، http://www.altafsir.com، (الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع)، ص: ٢٥٥. =

رأته[٢٢٥]، وذكر محمد علي الصابوني أنّ التابوت: هو السكون والطمأنينة والوقار، وفيه أيضا بقية من آثار آل موسى وآل هارون، وهي عصا موسى وثيابه وبعض الألواح التي كتبت فيها التوراة تحمله الملائكة[٢٢٦]، وقيل: فيه طمأنينة من ربكم تثبت قلوب المخلصين[٢٢٧]، وقال بعضهم: وقال لهم نبيهم: إن دليل صدقي على أن الله اختار طالوت حاكماً لكم هو أن يعيد إليكم صندوق التوراة الذى سلب منكم تحمله الملائكة، وفيه بعض آثار آل موسى وآل هارون الذين جاءوا بعدهما، وفى إحضاره تطمئن قلوبكم، وإن فى ذلك لدليلا يدفعكم إلى اتباعه والرضا به إن كنتم تذعنون للحق وتؤمنون به[٢٢٨]، وقال الحلبي: طمأنينة القلب، وقيل زوال الرعب، وهو الأولى، وفي التفسير اقوال كثيرة، انها تشبه رأس الهرة وصورة ثور وفيل. واهل التحقيق لايثبتون ذلك[٢٢٩].

واخيراً نذكر رأي الصلابي حيث يقول: التابوت وقصته وتأريخه عندهم ومقاساته وتفصيلات السكينة والبقية التي فيه، التي تركها آل موسى وآل هارون وغير ذلك من المبهمات[٢٣٠].

وفي الختام يبدو للبحث ممّا ذكره المفسِّرون أن السكينة تأتي بمعانٍ مختلفة في هذه الآية كما سبق، وقد إتّفَقَ كثيرٌ من العلماء والمفسرين على بعض منها، وإنفرد بعضهم بمعنى آخر، إلاّ أنّنا نرى أنّ السكينة في قصةِ(طالوت) تأتي بمعنى(الطمأنينة والسكون والهدوء والثبات والوقار) أثناء الحرب.

= والجزائري، أبو بكر، أيسر التفاسير للجزائري، موقع التفاسير، http://www.altafsir.com، (الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع) ، ص: ١ / ٢٣٥ .

(٢٢٥) مكي، أبو محمد مكي بن أبي طالب المقريء، كتاب تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم: تحقيق: محيي الدين رمضان، دار الفرقان، عمان، ١٩٨٥م . ص: ٢٨ .

(٢٢٦) الصابوني، محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير: تحقيق: عمر عبدالسلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٠م : ١ /١٠٩. ومخلوف، كلمات القرآن تفسيرو بيان.ص: ٣٣ .

(٢٢٧) عدد من أساتذة التفسير، تحت إشراف عبدالله بن عبد المحسن التركي، التفسير الميسّر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط٢مزيدة ومنقحة، ٢٠٠٩ م : ٢٦١/١.

(٢٢٨) لجنة من علماء الازهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، المصدر: موقع شبكة مشكاة الإسلامية، http://www.almeshkat.net/ : ١ / ٦٨ .

(٢٢٩) السمين الحلبي، أحمد بن يوسف(ت٧٥٦هـ)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: حققه: محمد التونجي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٣م : ٢ / ٢٣٩ .

(٢٣٠) الصلابي، علي محمد، فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، أنواعه، شروطه وأسبابه، مراحله وأهدافه، دارالمعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، ٢٠٠٥م. ص: ٦٧ .

ثانياً: تسكين قلب رسول الله ﷺ والمؤمنين في حرب(حُنين):

قال تعالى﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(التوبة:٢٦/٩).

في هذه الاية الكريمة قلنا سكينة الله، لأنه سبحانه وتعالى أضاف السكينة الى نفسه جلّ وعلا، وتأتي كلمة(سَكِينَتَهُۥ) بعدة معاني، منها السكون والطمأنينة والأمنة والنصر والوقار ورحمة الله التي بها تسكن قلوب الناس. وسنأتي على ذكر آراء العلماء والمفسرين على ماذُكِر.

أمّا في هذه الآية الكريمة فيُفهَمُ منه أنّه تعالى هوالذي نصرَالمؤمنين يوم حُنين عندما احتاجوا إلى النُّصرةِ والمُؤازرةِ، وأنهُ أنزل الملائكة أو أي شيء ينصرهم على أعدائهم، ونرى ذلك لأنّ المفسرينَ اختلفو في معنى السكينة التي أنزلها الله عليهم في غزوة حُنَين، أكانت ملائكة أم رحمة أم شيئا آخر؟ هل السكينة شيئٌ مادي أم حسّي؟

يرى الطبري أنّ(سَكِينَتَهُۥ) هنا تأتي بمعنى(الأمنة والطمأنينة) وأنها فعيلة من السكون[٢٣١]، ويرى النحاس أنها: أنزل عليهم ما يسكنهم، ويذهب خوفهم حتى اجترأوا على قتال المشركين[٢٣٢]، وقال المكي: فالسكينة على الرسول أنزلت يوم حنين، لأنه خاف على المسلمين ولم يخف على نفسه فنزلت عليه السكينة من أجل المؤمنين لا مِن أجل خوفه على نفسه[٢٣٣]، ورأى الزمخشري أنّها: رحمتُهُ التي سكنوا بها وآمنوا[٢٣٤]، وقال ابن الجوزي: وفي السكينة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها الرحمة، قاله ابن عباس، وثانيها: الوقار، قاله قتادة، وثالثها: السكون والطمأنينة، قاله ابن قتيبة، وهو الأصحُّ[٢٣٥]، وفسّرها الثعاليبي بالنصر الذي سكّنت إليه ومعه النفوس والجنود الملائكة والرعب[٢٣٦]، وعند القرطبي: أنزل عليهم مايسكنهم ويذهب خوفهم، (وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا) (التوبة:٢٦/٩)، وهم الملائكة، يقوون المؤمنين بما يُلقُون في قلوبهم من الخواطر والتثبيت،

---

(٢٣١) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن:١٠/ ٧٣ . والبغوي، معالم التنزيل: ٣٣٣/٢.

(٢٣٢) النحّاس، إعراب القرآن. ص: ٣٦٣ .

(٢٣٣) مكّي، مشكل اعراب القرآن: ٣٢٩/١ .

(٢٣٤) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٢٦٠/٢.

(٢٣٥) ابن الجوزي، زاد المسير: ٤٤٠/٣. وفيروزآبادي، تنويرالمقباس من تفسير ابن عبّاس. ص: ١٢١.

(٢٣٦) الثعالبي، أبوزيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف(ت: ٨٧٥هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المحقق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤١٨هـ : ١٢٤/٢.

ويُضْعِفُون الكافرين بالتجبين لهم من حيث لا يرونهم ومن غيرقتال، لأن الملائكة لم تقاتل إلاّيوم بدر[٢٣٧]، ويذكر النسفي أنّه يُراد به: رحمته التي سكنوا بها وآمنوا[٢٣٨]. وقال البيضاوي: رحمته التي سكنوا بها وآمنوا[٢٣٩]، وقال سعدي ابو جيب: السكينة: الطُّمأنينة، والاستقرار، وقال ابن خالويه: لانظير لها في وزنها الا في قولهم: على فلان ضريبة: أي: خَراجٌ معلوم. وقال أبو جيب أيضاً: الرزانة والوَقارُ[٢٤٠]. وقيل: هي فعيلة من السكون الذي هو وقار لا الذي هو فقد الحركة[٢٤١]، وقال أبوالسعود: أنزل رحمته التي تسكن بها القلوب وتطمئن إليها[٢٤٢]، وذهب الشوكاني إلى أن جيش الرسول(ﷺ)لم ينهزم، ويقول﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (التوبة:٢٦/٩)، وقال الشوكاني: هم الذين لم ينهزموا، وقيل: الذين انهزموا، والظاهر جميع من حضر منهم لأنهم ثبتوا بعد ذلك وقاتلوا وانتصروا[٢٤٣]، وقال ابن عاشور: والسكينة: الثبات واطمئنان النفس، وتعليقها بإنزال الله، وإضافتها إلى ضميره: تنويه بشأنها وبركتها، وإشارة إلى أنّها سكينة خارقة للعادة ليست لها أسباب ومقدّمات ظاهرة، وإنّما حصلت بمحض تقدير الله وتكوينه أُنُفاً كرامةً لنبيّه وإجابة لندائِه الناسَ، ولذلك قدّم ذكر الرسول قبل ذكر المؤمنين، وهناك تفاوت بين السكينتين: فسكينة الرسول ﷺ سكينة اطمئنان على المسلمين الذين معه وثقة بالنصر، وسكينة المؤمنين سكينة ثبات وشجاعة بعد الجزع والخوف[٢٤٤]، وقال سيدقطب: وكأنما السكينة رِداءٌ، ينزل فيثبت القلوب الطائرة ويهديء الانفعالات[٢٤٥]، ويقول الصابوني: أنزل بعد الهزيمة الأمن والطمأنينة على المؤمنين حتى سكنت نفوسهم[٢٤٦]، وعند الزحيلي: أفرغ الله طمأنينته وثباته

---

(٢٣٧) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ١٠١/٨ .

(٢٣٨) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ١٢٢/٢/١ .

(٢٣٩) البيضاوي، أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل: ٤١٠/١ .

(٢٤٠) أبوجيب، سعدي، القاموس الفقهي لغةً واصطلاحاً، دار نورالصباح(دمشق حلبوني)، ودارالصديق للعلوم (دمشق حلبوني)، ٢٠١١م. ص: ٢١٩.

(٢٤١) المصري، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري(ت٨١٥هـ)، التبيان في تفسير غريب القرآن: تحقيق: فتحي أنور الدابولي، دار الصحابة للتراث بِطنطا، القاهرة، ١٩٩٢م : ٢٢٢/١ .

(٢٤٢) أبوالسعود، محمد بن محمد العمادي(ت٩٥١هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٢٦٣/٢ . والسيوطي والمحلي، تفسير الجلالين. ص:٢٥١.

(٢٤٣) الشوكاني، فتح القدير: ٥٠٦/٢.

(٢٤٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير: ١٠ / ٦٠ .

(٢٤٥) سيدقطب، في ظلال القرآن: ١٦٦/١٠/٤ .

(٢٤٦) الصابوني، صفوة التفاسير: ٣٦٣/١ .

على رسوله(ﷺ)وعلى المؤمنين الذين كانوا معه، وأنزل جنوداً لم تروها وهم الملائكة، لتقوية روح المؤمنين وتثبيتهم، وإضعاف الكافرين بما يقذفون في قلوبهم من الخوف والجبن من حيث لا يرونهم، ويلخص قوله في ختام تفسير هذه الآية ويقول: حدثت أمور ثلاثة يوم حنين: أنزل الله السكينة على رسوله وعلى المؤمنين، وأنزل جنوداً هم الملائكة، وتعذيب الكافرين بالقتل والسبي(٢٤٧).

وفي الختام نرى أن(سَكِينَتَهُۥ) تأتي بمعنى الطمأنينة والثبات، ورحمة الله التي تسكن بها قلوب الالمؤمنين، وذلك نظراً لحالة الحرب التي كان المسلمون فيها مع مشركي قريش.

ثالثاً: تسكين قلب رسول الله ﷺ وصاحبه (ابي بكرؓ) في الغار:

قال تعالى ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة: ٤٠/٩).

و(سَكِينَتَهُۥ) التي وردت في هذه الاية الكريمة، والتي يتحدث ربّنا سبحانه وتعالى عنه أثناء وجود النبي(ﷺ)في الغار مع صاحبه أبي بكر(ؓ)، تأتي بمعنى السكون والطمأنينة والرحمة والوقار وتأييدالله له، وذلك حسب آراء مفسري القرآن، والتي سوف نتحدث عنها بالتفصيل، وقد اختلف المفسرون بالتحديد على من أنزل الله سكينتهُ،على رسوله(ﷺ)؟ أم على أبي بكرؓ؟

ذكرالطبري أنّ معنى (سَكِينَتَهُۥ) في هذه الآية هو أنّ الله أنزل طمأنينتهُ وسكونهُ على رسوله وقد قيل على(أبي بكرؓ)، (وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا) وقوّاه بجنودٍ من عندهِ من الملائكةِ لم تروها أنتم(٢٤٨)، وقال النحاس: هي السكون والطمأنينة، وقال أيضاً: القول عند أكثر أهل التفسير وأهل اللغة أن المعنى فأنزل الله على أبي بكرؓ، لأن النبي(ﷺ) قدعلم أنه معصوم، والله عزّوجلّ أمره بالخروج، وأنّه ينجيه، والدليل على هذا أنه قال لأبي بكر(لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا)،

(٢٤٧) الزحيلي، التفسيرالمنير:١٦٠/١٠ - ١٦٤. والحمصي، مفردات القرآن تفسيروبيان. ص:١٩٠.
(٢٤٨) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن:١٠ / ٩٦ .

فسكن أبوبكر(رضي الله عنه)، قال الله عزّوجلّ(فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ) ومعنى الفاء في العربية أن الثاني يتبع الأول، فكما قال رسول الله(ﷺ)،﴿ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾، سكن واطمأن وليس هذا مثل﴿ إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ﴾(الفتح: ٢٦/٤٨). لأن هذا في يوم حنين لما اضطرب المسلمون، خافَ النبي(ﷺ)، وقد علم أنه في نفسه معصوم، فلمّا أيدَ الله المؤمنين ورجعوا سكن النبي(ﷺ) لذلك، وزال خوفه الذي لحقه على المؤمنين[٢٤٩]، وقال آخرون أنّها تعني: الطمأنينة[٢٥٠]، وفي السكينة أربعة أقاويل:

أحدها: أنها الرحمة، قاله ابن عباس.

والثاني: أنها الطمأنينة، قاله الضحاك. والثالث: الوقار، قاله قتادة.

والرابع: أنها شيء يسكن الله به قلوبهم، قاله الحسن وعطاء[٢٥١].

و(سَكِينَتَهُۥ) ما أُلقي في قلبه من الأمَنَةِ التي سكن عندها، وعلم أنهم لا يصلون إليه، وكان(ﷺ)ساكن القلب[٢٥٢]، وقال الكلبي: الضمير للرسول(ﷺ)، وقيل لأبي بكر لأن النبي(ﷺ) لم تزل معه السكينة، ويضعف ذلك بأنّ الضمائر بعدها للرسول(ﷺ)[٢٥٣]، وعند ابن كثير تعني: تأييدهُ ونصرهُ، (عَلَيۡهِ): على الرسول(ﷺ) في أشهر القولين، وقيل على أبي بكر، لأن الرسول لم

---

(٢٤٩) النحّاس، أبوجعفر(ت٣٣٨هـ)، معاني القرآن للنحّاس: تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ : ٤٩٧/٦. والنحاس، اعراب القرآن. ص : ٣٦٨.

ومكي، تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم. ص: ٥٢.

(٢٥٠) السمرقندي، أبوالليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم(ت ٣٧٥هـ)، بحرالعلوم، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت: ٢٣٥/٢ . والجزائري، أيسرالتفاسير لكلام العلي الكبير: ٧٦/٢.

(٢٥١) الماوردي، النكت والعيون: ٢ / ١٠٧.

وابن عبدالسلام، أبومحمد عزالدين عبدالعزيزبن عبدالسلام(ت٦٦٠هـ). تفسير ابن عبدالسلام. مصدرالكتاب: موقع التفاسير،http://www.altafsir.com ،(الكتاب مرقم آلياغيرموافق للمطبوع): ٢ / ٢٧٤.

والاندلسي، البحر المحيط: ٦ / ١٥٩.

(٢٥٢) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٢٧٢/٢.

والنسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١٢٧/٢/١ .

(٢٥٣) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل. ص : ٢٧٠ .

تزل معه سكينة وهذا لاينافي تجدد سكينة خاصة بتلك الحال[٢٥٤]، وقال البيضاوي: أمنته التي سكن عندها القلوب، (عَلَيۡهِ) على النبي(ﷺ) أوعلى صاحبه، وهو الأظهرُ، لأنه كان منزعجاً(وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا) يعني: الملائكة، وأنزلهم لِيَحرِسُوهُ في الغار أولِيُعِينُوهُ على العدوّ يومَ بدرٍ والأحزابِ وحنين، فتكون الجملة معطوفة على قوله(نَصَرَهُ ٱللَّهُ)[٢٥٥]، وقال البقاعي: هي السكون المبالغ فيه المؤثر للنسك[٢٥٦]، وذهب الشوكاني إلى أنها: تسكينُ جأشهِ وتأمينه حتى ذهب روعه وحصل له الأمن، على أن الضمير في(عَلَيۡهِ) لـ(أبي بكر)، وقيل: هوللنبي(ﷺ)، ويكون المراد بالسكينة النازلة عليه عصمتهُ عن حصول سببٍ من أسبابِ الخوفِ له ويؤيد كونُ الضميرِ في(عَلَيۡهِ) للنبي(ﷺ)[٢٥٧]، وعند الآلوسي: الطمأنينة التي تسكن عندها القلوب[٢٥٨]، وقال سيد قطب: (إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ) والقوم على أثرهما يتعقّبون، والصديق (رضي الله عنه) يجزع، ولكن ليس على نفسه، ولكن على صاحبه أن يطّلعوا عليهما فيخلصوا إلى صاحبه(ﷺ)، وقد أنزل الله سكينته على قلبه، فيقول له: (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟) ثم ماذا كانت العاقبة، والقوة المادية كلها في جانب، والرسول(ﷺ)، مع صاحبه منها مجردة؟ كان النصر المؤزر من عند الله بجنود لم يرها الناس، وكانت الهزيمة للذين كفروا والذلّ والصّغار[٢٥٩]، وقال ابن عاشور: والسكينة: اطمئنان النفس عند الأحوال المخوفة، مشتقّة من السكون[٢٦٠]، وقيل: بينما هما فى الغار مختفين من المشركين الذين يتعقبونهما خشى أبو بكر(رضي الله عنه)على حياة الرسول(ﷺ)، فقال له الرسول(ﷺ) مطمئناً: لا تحزن فإن الله معنا بالنصر والمعونة، عند ذلك أنزل الله الطمأنينة فى قلب صاحبه[٢٦١]. وقال

---

(٢٥٤) ابن كثير، عماد الدين أبوالفداء إسماعيل بن عمر(ت٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم ويليه كتاب فضائل القرآن، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشروالتوزيع، بيروت، ٢٠٠٠م : ٣٥٨/٢ .

(٢٥٥) البيضاوي، أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل: ٤١٦/١ .

(٢٥٦) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٤٥٦/٣.

(٢٥٧) الشوكاني، فتح القدير: ٥٢٦/٢ .

(٢٥٨) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٧ / ٢٣١ .

(٢٥٩) سيدقطب، في ظلال القرآن: ٢٢٥/٤ .

(٢٦٠) ابن عاشور، التحريروالتنوير :١٠١/١٠. وفيروزآبادي، تنويرالمقباس من تفسير ابن عبّاس. ص:١٢٢. والسيوطي والمحلي، تفسيرالجلالين.ص: ٢٥. والحمصي، مفردات القرآن تفسيروبيان. ص: ١٩٣ .

(٢٦١) نخبة من علماء الازهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم. ص ١ / ٣٠٨ .

الزحيلي: فأنزل الله طمأنينته وتأييده ونصره، والسكينة: ما ألقي في قلبه من الأمن، وقال ابن العربي: عود الضمير على أبي بكر هو الأقوى، لأنه خاف على النبي(ﷺ) من القوم، فأنزل الله سكينته عليه بتأمين النبي(ﷺ)، فسكن جأشه، وذهب روعه، وحصل الأمن، ورجح الرازي هذا القول لأن الضمير يجب عوده إلى أقرب المذكورات، وأقرب المذكورات في هذه الآية: هو أبوبكر، ولأن الخوف والحزن كان حاصلاً لأبي بكرﷺ، لا للرسولﷺ، ولوكان الرسولﷺ خائفا لما أمكنه تسكين خوف أبي بكر بقوله(لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ)، وقال الجمهور: الضمير عائد على النبي(ﷺ)، لأن السكينة هنا بمعنى(الصون)، وخصائص النبوة[٢٦٢].

وفي الختام نرى أنّ(سَكِينَتَهُۥ) تأتي بمعنى اطمئنان النبيﷺ وتأييده وزوال الرعب عنه، وهناك رأي يقول ان السكينة تنزلت على قلب ابي بكرﷺ، ولكننا نرجح الرأي الأول، بأن السكينة تنزلت على قلب النبيﷺ.

رابعاً: تسكين قلب رسول اللهﷺ والمؤمنين يوم الحديبية:

قال تعالى﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(الفتح: ٤/٤٨).

و(ٱلسَّكِينَةَ) في هذه الآية الكريمة، والتي تأتي بعدة معاني منها السكون والطمأنينة، والوقار والثبات، أتت بعدها زيادة الإيمان إذ ذهب معظم العلماء في كتب العقيدة والمفسرين إلى أنّ الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، لذلك أنزل الله(ٱلسَّكِينَةَ) في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ويقينهم واستقامتهم على الطاعات وشعائر الاسلام، ويطمئن قلوبهم عليه، وسوف نذكر آراء المفسرين على معنى(ٱلسَّكِينَةَ) في هذه الآية الكريمة.

فقال الاخفش الاوسط السكينة تعني: السكون والطمأنينة[٢٦٣]، وقال الطبري: الله أنزل السكون والطمأنينة في قلوب المؤمنين بالله ورسوله إلى الإيمان، والحق الذي بعثك الله به يامحمد، ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ

(٢٦٢) الزحيلي، التفسيرالمنير: ٢١٨/١٠ . والصابوني، صفوة التفاسير: ٣٦٨/١ .

(٢٦٣) الأخفش الأوسط، معاني القرآن : ٤٩٦/٦.

إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ ﴾ ليزدادوا بتصديقهم بما جدد الله من الفرائض التي ألزمهموها ممّا لم تكن لهم لازمة﴿إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ ﴾: ليزدادوا إلى إيمانهم بالفرائض التي كانت لهم لازمة قبل ذلك[٢٦٤]، وقال النحاس: السكون: الطمأنينة[٢٦٥]، والسكينة فعيلة من السكون، ومن السكينة الحلم والوَقار وترك مالا يعني[٢٦٦]، وقال الجصّاص: المعنى سكون النفس إلى الإيمان بالبصائر التي بها قاتلوا عن دين الله حتى فتحوا مكة[٢٦٧]. وقال السمرقندي: يعني: السكون، والطمأنينة في البيعة، في قلوب المؤمنين[٢٦٨]، وقال الماوردي: فيها ثلاثة أوجه: أحدها: أنه الصبر على أمرالله. الثاني: أنها الثقة بوعد الله. الثالث: أنها الرحمة لعباد الله[٢٦٩]. وقال الواحدي: اليقين والطمأنينة ليزدادوا إيماناً بشرائع الدين مع إيمانهم تصديقهم بالله وبرسوله[٢٧٠]، وقال ابن المُلَقِّن: أي: السكون[٢٧١]، وقال السعدي: يُخبر تعالى عن منّتهِ على المؤمنين بانزال السكينة في قلوبهم وهي السكون والطمأنينة والثبات عند نزول المِحَنِ المقلقة والأمور الصعبة التي تشوّش القلوب وتزعجُ الألباب وتضعفُ النفوس، فمن نعمة الله على عبده في هذه الحال أن يثبتهُ ويربطَ على قلبه وينزل عليه السكينة ليتلقّى هذه المشقات بقلبٍ ثابتٍ ونفسٍ مطمئنةٍ فيستعدّ بذلك لاقامة أمرالله في هذه الحال فيزداد بذلك إيمانه ويتم اتقانه، فالصحابة(ﷺ) لِما جرى بين رسول الله(ﷺ) والمشركين من تلك الشروط التي ظاهرها أنها غضاضة عليهم وحطّ من أقدارهم وتلك لا تكاد تصبر عليها النفوس فلمّا صبروا عليها ووطّنوا أنفسهم لها ازدادوا بذلك إيماناً مع إيمانهم[٢٧٢]، وذهب البغوي إلى أنّ(ٱلسَّكِينَةَ) هي

---

(٢٦٤) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن:٤٥/٢٦ .

(٢٦٥) النحّاس، معاني القرآن : ٤٩٧/٦ .

(٢٦٦) النحّاس، إعراب القرآن. ص: ٣٣٨.

(٢٦٧) الجصاص، أحمد بن علي أبوبكر الرازي(ت٣٧٠هـ)، أحكام القرآن: تحقيق محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ : ٢٧٢/٥ .

(٢٦٨) السمرقندي، بحرالعلوم : ٤ / ١٦٤ .

(٢٦٩) الماوردي، النكت والعيون : ٤ / ١٣٩ .

(٢٧٠) الواحدي، أبوالحسن علي بن أحم(ت٤٦٨هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دار الشامية، دمشق ـ سوريا، بيروت ـ ١٤١٥هـ : ١٠٠٨/٢.

(٢٧١) ابن المُلَقِّن، تفسير غريب القرآن : ٣٨٧ .

(٢٧٢) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠ م : ٧٩١/١. والبقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٨ / ١١٦.

الطمأنينة والوقار، قال ابن عباس: كل سكينة في القرآن فهي طمأنينة إلا التي في سورة البقرة[٢٧٣]، وقال الزمخشري: السكون كالبهيتة للبهتان، أي: أنزل الله في قلوبهم السكون والطمأنينة بسبب الصلح والأمن، ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الأمن بعد الخوف، والهُدنة بعد القتال، فيزدادوا يقيناً إلى يقينهم، وأنزل فيها السكون إلى ما جاء به محمد(ﷺ) من الشرائع[٢٧٤]، وقال الرازي: أي تحقيقاً للنصر، وفي السكينة وجوه أحدها: هوالسكون. والثاني: الوقار لله ولرسول اللهﷺ وهومن السكون. والثالث: اليقين، والكل من السكون[٢٧٥]. وقال ابن عبد السلام: الصبرعلى أمرالله، أوالثقة بوعده، أوالرحمة لعباده[٢٧٦]، وعند القرطبي(ٱلسَّكِينَةَ) السكون والطمأنينة، أي: أنزل السكينة ليزدادوا إيماناً ثم تلك الزيادة يسبب إدخالهم الجنة[٢٧٧]، وقال النسفي(ٱلسَّكِينَةَ) للسكون كالبهيتة للبهتان، أي: أنزل الله في قلوبهم السكون والطمأنينة بسبب الصلح، ليزدادوا يقينا إلى يقينهم وقيل: (ٱلسَّكِينَةَ)الصبر على ما أمرالله والثقة بوعدالله والتعظيم لأمرالله[٢٧٨]، وعند الخازن: يعني الطمأنينة والوقار في قلوبهم لئلا تنزعج نفوسهم[٢٧٩]، وقال أبوحيّان: وهي الطمأنينة والسكون، قيل: بسبب الصلح والامن، فيعرفون فضل الله عليهم بتيسير الأمن بعد الخوف، والهدنة بعد القتال، فيزدادوا يقيناً إلى يقينهم. وقيل: السكينة إشارة إلى ما جاء به الرسول(ﷺ) من الشرائع، ليزدادوا إيماناً بها إلى إيمانهم، وهو التوحيد[٢٨٠]، وقال الكلبي: السكون والطمأنينة، يعني سكونهم في صلح الحديبية وتسليهم بفعل رسول الله(ﷺ)، وقيل معناه الرحمة[٢٨١]، وقال ابن كثير: جعل الطمأنينة. وقال قتادة: الوقارُ في قلوب المؤمنين، وهم الصحابة(رضي الله عنهم)، يوم الحديبية الذين استجابوا لله ولِرسوله

---

(٢٧٣) البغوي، معالم التنزيل: ٢٢٣/٤.

(٢٧٤) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٣٣٣/٤ و٣٣٤ .

(٢٧٥) فخرالدين الرازي، مفاتيح الغيب: ١٢٨/١٤. و ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: ١٤/ ٢٦٩.

(٢٧٦) ابن عبدالسلام، تفسير ابن عبد السلام: ٦ / ١٠٤ .

(٢٧٧) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ٢٦٤/١٦ .

(٢٧٨) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١٥٧/٢/٢ .

(٢٧٩) الخازن، علاءالدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبوالحسن(ت ٧٤١هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل: المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ : ٥ /٤٣٢ .

(٢٨٠) الاندلسي، البحر المحيط: ١٠/ ٨٤. والبيضاوي أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل : ٣٩٩/٢.
وفيروزآبادي، تنويرالمقباس من تفسير ابن عبّاس. ص: ٣١٨. والسيوطي والمحلي، تفسيرالجلالين. ص : ٦٧٧.

(٢٨١) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل.ص: ٦٤١.

وانقادوا لحكم الله ورسوله، فلما اطمأنت قلوبهم بذلك واستقرت زادهم إيمانا مع إيمانهم[٢٨٢].

وقيل: هي فعيلة من السكون الذي هو وقار لا الذي هو فقد الحركة[٢٨٣]، وقال السيوطي: هي الرحمة في قوله ليزدادوا إيماناًمع إيمانهم[٢٨٤]، ويرى الشوكاني أنها: السكون والطمأنينة بما يسره لهم من الفتح لئلاّ تنزَعِجَ نفوسهم لِما يردّ عليهم﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ﴾ أي: ليزدادوا بسبب تلك السكينة إيماناً مُنضمّاً إلى إيمانهم الحاصل لهم من قبل[٢٨٥]، وقال الآلوسي: والمراد بالسكينة الطمأنينة والثبات من السكون أي أنزلها في قلوبهم بسبب الصلح والأمن إظهاراً لفضله تعالى عليهم بتيسير الامن بعد الخوف، والمراد بإنزالها خلقها وإيجادها، وفي التعبير عن ذلك بالانزال إيماء إلى علو شأنها[٢٨٦]، وقال الشنقيطي: السكون والطمأنينة إلى الحق في قلوب المؤمنين ليزدادوا بذلك إيماناً لأجل أن يدخلهم بالطمأنينة إلى الحق وازدياد الإيمان جنات تجري من تحتها الأنهار، وإيضاح المعنى أنّه تعالى وفّق المؤمنين بإنزال السكينة وازدياد الايمان وأشقى غيرهم من المشركين والمنافقين فلم يوفّقهم بذلك ليجازي كلا بمقتضى عمله[٢٨٧]، وقال سيدقطب: والسكينة لفظ معبر مصور ذوظلال، والسكينة حين ينزلها الله في القلب، تكون طمأنينة وراحة، ويقيناً وثقة، ووقاراً وثباتاً، واستسلاماً ورضى، ولما كان الله يعلم من قلوب المؤمنين يومئذٍ، أنّ ما جاش فيها جاش عن الإيمان، والحميّة الإيمانية، لآ لأنفسهم، ولالجاهلية فيهم، فقد تفضّل عليهم بهذه السكينة﴿ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ ﴾ والطمأنينة درجة بعد الحمية والحماسة، فيها الثقة التي لا تقلق، وفيها الرضى المطمئن باليقين، و﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ ليحقّق لهم ما قدره من فوزٍ و نعيم[٢٨٨]، وقيل: قال الله عزّ وجلّ:﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾(الفتح:٧/٤٨)، وبعده عزيزاً حكيماً، لأنّ الأوّل متّصلٌ بإنزال السكينة وازدياد إيمان المؤمنين، فكان الموضع

---

(٢٨٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ١٧٩/٤ .

(٢٨٣) شهاب الدين المصري، التبيان في تفسير غريب القرآن : ٢٢٢/١.

(٢٨٤) السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ٥١٤/٧ .

(٢٨٥) الشوكاني، فتح القدير: ٥ / ٦٥ .

(٢٨٦) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١٩ / ١٨٤ .

(٢٨٧) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني(ت١٣٩٣هـ)، أضواء البيان: مكتب البحوث والدراسات، دارالفكر للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٩٥م : ٣٩٤/٧ و٣٩٥.

(٢٨٨) سيدقطب، في ظلال القرآن : ٤٩٤/٧.

موضع علم وحكمة وقد تقدّم ما اقتضاه الفتح عند قوله وينصرك الله نصرا عزيزا، وأمّا الثاني والثالث الذي بعده متّصلان بالعذاب والغضب وسلب الأموال والغنائم فكان الموضع موضع عزّ وغلبة وحكمة[٢٨٩]، وقال المنّاوي: السكينة مغنمٌ وتركها مغرمٌ، قال الدّيلمي: هي فعيلة من السكون وهو الوقار وقال غيره السكينة تطلق على الطمأنينة والسكون والوقار والتواضع[٢٩٠]، وقال ابن عاشور: فلما بيّن الرسول (ﷺ) لأصحابه ما في الصلح من الخير اطمأنت نفوسهم بعد الاضطراب، ورسخ يقينهم بعد خواطر الشك، فلولا ذلك الاطمئنان والرسوخ لبقُوا كاسفي البال شديدي البلبال، فذلك الاطمئنان هو الذي سماه الله بالسكينة، وسمّي احداثه في نفوسهم إنزالاً للسكينة في قلوبهم فكان النصر مشتملاً على أشياء من أهمها إنزال السكينة[٢٩١]، وقال الجزائري: أي الطمأنينة بعد ما أصابهم من الاضطراب والقلق من الصلح[٢٩٢]، وقيل: هوالله الذي أنزل الطمأنينة في قلوب المؤمنين بالله ورسوله يوم (الحديبية) فسكنت، ورسخ اليقين فيها[٢٩٣]، وقال الزحيلي: إنّ الله عزّوجلّ هو الذي خلق وأوجد السكون والطمأنينة والثبات في قلوب المؤمنين، وهم الصحابة(رضي الله عنهم) يوم الحديبية الذين استجابوا لله تعالى ولرسوله(ﷺ) وانقادوا لحكم الله ورسوله(ﷺ) واستعدّوا للقتال بإخلاص دون فرار، لئلاّ تضطرب نفوسهم في وقت المحنة، وليزيدهم الله يقيناً جديداً على يقينهم الحاصل من قبل، وهذا يسمّى حديثاً رفع روح المعنوية للجيش[٢٩٤]، وقال الصابوني: هوجلّ وعلاّ الذي جعل السكون والطمأنينة والثبات في قلوب المؤمنين[٢٩٥]، وقيل: الثبات والطمأنينة مأخوذ من السكون﴿فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾أوجد السكينة في القلوب في مواضع القلق والاضطراب[٢٩٦]، وقال الحلبي: قيل هو مَلَكٌ يسكن قلب المؤمن ويؤمنه، ومنه قول علي(رضي الله عنه): (أنّ السكينة تنطلق على لسان عمر)، قيل هو العقل[٢٩٧]، وفي النهاية: هو الله

---

(٢٨٩) الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر، أسرارالتكرار في القرآن. تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، دار الإعتصام، القاهرة، ط٢ ، ١٣٩٦هـ. ص : ١٩٤.

(٢٩٠) المنّاوي، زين الدين محمد بن تاج العارفين(ت: ١٠٣١هـ)، فيض القدير: المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٥٦هـ : ١٤١/٤.

(٢٩١) ابن عاشور، التحرير والتنوير: ٢٦ / ١٢٧ .

(٢٩٢) الجزائري، أيسر التفاسير : ٤ / ٩٩ .

(٢٩٣) نخبة من اساتذة التفسير، التفسير الميسر : ٥١١/١ .

(٢٩٤) الزحيلي، التفسيرالمنير: ١٥٥/٢٦.

(٢٩٥) الصابوني، صفوة التفاسير: ١٥٥/٣.

(٢٩٦) الزحيلي، التفسيرالمنير: ١٥٤/٢٦. والحمصي، مفردات القرآن تفسيروبيان. ص : ٥١١.

(٢٩٧) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ في في تفسير اشرف الالفاظ : ٢٣٩/٢.

الذى أنزل الطمأنينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا بها يقينا مع يقينهم، ولله وحده جنود السموات والأرض، يدبّر أمرها كما يشاء، وكان الله محيطا علمه بكل شئ، ذا حكمة بالغة فى تدبير كل شأن[٢٩٨]. وقال المصطفوي: السّكينة فعيلة من السكون وهو ما يتّصف بالإستقرار والثبات والسكون، كالشريفة والكريمة. والمراد نزول روح من الله تعالى فيه استقرار وثبات وسكون نفس وطمأنينة، بحيث يرتفع الاضطراب والتّشوّش عن الخاطر بالكلّية. ولايخفى أن السكون في النفس والقوة الروحية والشدة الباطنية أعظم بمراتب من القوة في البدن والظاهر، بل الظاهر تجلّي الباطن وعنوانه[٢٩٩].

وفي الختام نرى أن ٱلسَّكِينَةَ تأتي بمعنى الثبات والسكون والطمانينة، لأنّ النبيﷺ والمسلمون يومئذٍ كانوا في حرب مع المشركين في حرب الحديبية، وحالهم يتطلب ذلك.

خامساً: تسكين قلب رسول اللهﷺ والمؤمنين يوم حديبية:

قال تعالى﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾(الفتح: ١٨/٤٨).

في هذه الاية الكريمة تأتي كلمة(ٱلسَّكِينَةَ) بعدة معاني، وذلك حسب آراء المفسرين، فمنهم من يرى أنها تأتي بمعنى الطمأنينة والثبات والوقار والأمن، والصبر، وفتح خيبر، والثقة بتحقيق وعدالله سبحانه وتعالى. واليك آراء العلماء والمفسرين على معاني ٱلسَّكِينَةَ.

والسكينة في هذه الآية بشارة من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين الذين بايعوا رسول الله(ﷺ) تحت الشّجرة في الحديبية على الحرب مع قريش عندما نادى رسول الله(ﷺ) للبيعة، وذلك إثر تأخير (عثمان بن عفّان)(رضي الله عنه)، لمّا أرسله رسول الله(ﷺ) إلى مكة لإبرام هدنة مع قريش، وقد تأخّر عثمان(رضي الله عنه)، في العودة وظنّ رسول الله(ﷺ) أنّهم قتلوه، لذلك نادى رسول الله(ﷺ) للبيعة على نصرة دينه والحرب مع قريش لأنّهم قتلوا وفدَ رسول الله(ﷺ) على حسب ظنّه، ولكن بعد ذلك ظهر بأنّه ليس كذلك، ويبشّرهم الله بأنه رضي منهم وذلك كافٍ لكي تسكن قلوبهم ويهدأوا

---

(٢٩٨) لجنة من علماء الازهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم : ٢ / ٣٩٦ .

(٢٩٩) المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم : ٥ / ٢٠٠ .

ويطمئنّوا، ويبشّرهم أيضاً بنصرٍ آتٍ قريب وهو فتح خيبر كما قال المفسّرون.

وجاء في سبب نزول هذه الآية الكريمة أنّ ابن ابي حاتم أخرج عن سلمة بن الاكوع قال: بينما نحن قائلون اذ نادى منادي رسول اللهﷺ (يا ايها الناس البيعة البيعة نزل روح القدي) فسرنا الى رسول اللهﷺ وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه، فأنزل الله﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٣٠٠].

قال الطبري في تفسير(ٱلسَّكِينَةَ) في هذه الآية: فأنزل الطمأنينة والثبات على ما هم عليه من دينهم وحسن بصيرتهم بالحق الذي هداهم الله له. وقال قتادة: الصبر والوَقار[٣٠١]. وقال الفرّاء: جاءت السكينة هنا بمعنى الطمأنينة والوَقار[٣٠٢]، وأخبر أنه علم من قلوبهم صحّة البصيرة وصدق النّيّة وأنّ ما أبطنوه مثل ما أظهروه، وقوله تعالى:﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾يعني: الصبر بصدق نيّاتهم وهذا يدلّ على أنّ التوفيق يصحب صدق النيّة[٣٠٣]. وقال السمرقندي: يعني: أنزل الله تعالى الطمأنينة، والرضى عليهم[٣٠٤]، وقال الماوردي: فيه وجهان: أحدهما: فتح خيبر لقربها من الحديبية، قاله قتادة، الثاني: فتح مكة[٣٠٥]، ورأى الزّمخشري: أنّها الطمئنينة والأمن بسبب الصّلح على قلوبهم[٣٠٦]، وقال ابن الجوزي: يعني الطُّمأنينة والرّضى حتى بايَعوا على أن يقاتِلوا ولايَفِرُّوا[٣٠٧]، وقال ابن عبد السلام: الصبر، أوسكون النفس بصدق الوعد[٣٠٨]، وقال القرطبي: الطمأنينة وسكون النفس الى صدق الوعد، وقيل الصبر[٣٠٩]. وقال أبوحيّان: والسكينة تقرير قلوبهم وتذليلها لقبول أمرالله تعالى، وعلى الأقوال السابقة قيل هذا القول، لايظهر احتياج إلى إنزال السكينة إلا أن يجازي

---

(٣٠٠) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر(٩١١هـ)، اسباب النزول: دار ابن الهيثم، القاهرة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م. ص : ١٧٧.

(٣٠١) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن : ٥٥/٢٦.

(٣٠٢) الفرّاء، أبوزكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظو(ت٢٠٧هـ)، معاني القرآن للفرّاء: المحقق: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة: ٣ / ٦٧ .

(٣٠٣) الجصّاص، أحكام القرآن : ٢٧٣/٥.

(٣٠٤) السمرقندي، بحرالعلوم : ١٦٩/٤. وابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: ٢٨٠/١٤.
والبغوي، معالم التنزيل: ٢٢٩/٤. و ابن الجوزي، زاد المسير: ٥ / ٣٨٩ .

(٣٠٥) الماوردي، النكت والعيون: ٤ / ١٤٤ .

(٣٠٦) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : ٣٤٠/٤.

(٣٠٧) ابن الجوزي، زاد المسير: ٥ / ٣٨٩ .

(٣٠٨) ابن عبدالسلام، تفسير ابن عبد السلام : ٦ / ١١٢ .

(٣٠٩) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن : ٢٧٨/٤.

بالسكينة والفتح القريب والمغانم، وقال مقاتل: فعلم مافي قلوبهم من كراهة البيعة على أن يقاتلوا معه على الموت[٣١٠]، وعند البيضاوي: الطمأنينة وسكون النفس بالتشجيع أوالصلح[٣١١]، وقيل: هي الطمأنينة في موقف الحرب[٣١٢]، وقال البقاعي: أي بثبات القلوب وطمأنيتها في كل حالة ترضي الله ورسوله، ودل على عظمها بحيث إنها تغلب الخوف وإن عظم[٣١٣]، وقال السيوطي: أنّها الوَقار والصبر، وهم الذين بايعوا زمان الحُديبية وكانت الشجرة فيما ذُكرلنا سمرة، بايع النبي(ﷺ)تحتها وكانوا يومئذ خمس عشرة مائة[٣١٤]. قال أبوالسّعود:﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ ﴾: عطف على(رَضِىَ)، أي: فأنزل عليهم الطمأنينة والأمن وسكون النفس بالربط على قلوبهم وقيل بالصلح وأثابهم فتحاً قريباً[٣١٥]، وقال الشوكاني:﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ معطوف على يبايعونك، قال الفرّاء: علم مافي قلوبهم من الصدق والوفاء، وقال قتادة وابن جريح: من الرضى بأمر البيعة على أن لايفرّوا، وقال مقاتل: من كراهة البيعة على الموت ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ و(ٱلسَّكِينَةَ)الطمأنينة وسكون النفس، وقيل الصبر[٣١٦]، وقال الآلوسي: أي الطمأنينة والأمن وسكون النفس والربط على قلوبهم بالتشجيع[٣١٧]، وقال ابن عاشور: والسكينةهنا هي: الطمأنينة والثقة بتحقيق ما وعدهم الله من الفتح والارتياض على ترقبه دون حسرة فترتب على علمه مافي قلوبهم إنزاله السكينة عليهم، أي على قلوبهم فعبر بضمير(هم) عوضاً عن ضمير (قلوبهم) لأن قلوبهم هي نفوسهم[٣١٨]، وقال سيدقطب: بهذا التعبير الذي يرسم السكينة نازلة في هيّنةٍ وهدوء ووَقار، تضفي على تلك القلوب الحارّة

---

(٣١٠) الاندلسي، البحر المحيط: ١٠ / ٩٢ .

(٣١١) البيضاوي، أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل: ٤٠٢/٢. وفيروزآبادي، تنويرالمقباس من تفسيرابن عبّاس. ص:٣٢٠.

(٣١٢) ابن حجرالعسقلاني، أبوالفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد(ت٨٥٢)، فتح الباري شرح صحيح البخاري: دارالمعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ: ١١٨/٦.

(٣١٣) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٨ / ١٣١ .

(٣١٤) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت٩١١ هـ). الدر المنثور في التأويل بالمأثور، دار الفكر - بيروت، ١٩٩٣ : ٥٢٤/٧.

(٣١٥) ابوالسعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ١١٠/٨.

والنسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١٦/٢/٢. و ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ١٨٥/٤ .

(٣١٦) الشوكاني، فتح القدير: ٧٣/٥.

(٣١٧) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١٩ / ٢١٠ .

(٣١٨) ابن عاشور، التحرير والتنوير: ٢٦ / ١٤٨ . والجزائري، أيسرالتفاسير لكلام العلي الكبير: ٤ / ١٠٧ .

المتحمّسة المتأهّبة المنفعلة، برداً وسلاماً وطمأنينة وارتياحاً[٣١٩]، وقال إبن عجيبة: أي: اليقين والطمأنينة، فذهب عنهم، ثم قال: وفي الآية دليلٌ على أنه قد يخطر ببال الإنسان خواطر مشكِّكة، وفي الرَّيب مُوقعة، ثم لاعبرة، فإن الله تعالى إذا أراد بعبده خيراً ألزم التوحيد قلبَه، وقارن التحقيق سِرَّه، فلا يضرُّه كيدُ الشيطان[٣٢٠]، وقال الزحيلي: فأنزل الطمأنينة وسكون النفس عليهم، وجازاهم فتح خيبر بعد إنصرافهم من الحُديبية، ثمّ أتبعه بفتح مكة وفتح سائر البلاد والأقاليم، وقال أيضاً: هي الطمأنينة والأمن وسكون النفس بالتشجيع أوالصلح، وقد جازى الله تعالى أهل بيعة رضوان بجزاءين: مادّي ومعنوي، أمّا المعنوي: فهو إسباغ الرضى الإلهي، وإنزال السكينة والطمأنينة على قلوبهم، بسبب ما علمه في نفوسهم من الصّدق والوفاء والسمع والطاعة، أمّا المادّي: فهو فتحُ خيبر[٣٢١]، وقال الصابوني: رزقهم الطمأنينة وسكون النفس عند البيعة[٣٢٢]، وقيل: السكون والطمأنينة والثّبات[٣٢٣].

تبين للباحث أنّ ٱلسَّكِينَةَ تعني طمأنينة القلب وسكون النفوس والثبات في حالة الحرب.

سادساً: تسكين قلب النبيﷺ، والمؤمنين بعد صلح حديبية:

قال تعالى ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾(الفتح: ٢٦/٤٨).

وقد جازى الله الذين شاركوا في البيعة في الدنيا والآخرة، وظفرهم بالغنيمة في الخيبر، وإنزال السكينة والطمأنينة عليهم وتثبيت أقدامهم دليلٌ على رضى الله تبارك وتعالى عنهم، لذلك سمّيت هذه البيعة ببيعة الرضوان.

في هذه الاية الكريمة تأتي كلمة(سَكِينَتَهُۥ) تأتي بمعنى الطمأنينة والسكون والثبات والصبر

---

(٣١٩) سيدقطب، في ظلال القرآن : ٥٠٥/٧.

(٣٢٠) ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي، البحرالمديد في تفسير القرآن المجيد، دارالكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢ م : ٦ / ٨٧ .

(٣٢١) المصدر نفسه : ٢٦/ ١٨١ و ١٨٣ و ١٨٤ .

(٣٢٢) الصابوني، صفوة التفاسير: ١٥٨/٣.

(٣٢٣) الحمصي، مفردات القرآن تفسيروبيان. ص: ٥١٣.

والوقار، كما سنبينها ان شاء الله.

في هذه ألآية الكريمة وصف لموقف المشركين من أهل مكة في صلح الحديبية حيث أخذتهم حمية االجاهلية واستكبروا على أله ورسوله، ولكن الله سبحانه أنزل سكينته على رسوله ﷺ والمؤمنين فلم يتصرفوا كالمشركين بل كانوا طائعين لرسول اللهﷺ رغم الإجحاف بهم في بنود الصلح. لأنّ رسول اللهﷺ كان ذا نظر بعيد وهدف أسمى وأعظم من المواقف المؤقتة. ثم يبين سبحانه أنه ألزم المؤمنين كلمة التقوى وهي كلمة التوحيد لإنهم يستحقون ذلك لإيمانهم بالله ورسوله وهو سبحانه بكل شئ عليم[٣٢٤].

تدلّ لفظة ﴿سَكِينَتَهُۥ﴾ هنا على أنّه عندما وافق رسول الله(ﷺ) مع وفد قريش لإبرام الهدنة أوالصلح معهم قال رسول الله(ﷺ) لكاتب المقاضاة الذي كُتب بين رسول الله(ﷺ) والمشركين أن يكتب فيها (بسم الله الرحمن الرحيم) و(محمد رسول الله)، ولكن امتنع(سُهيل بن عمرو) رئيس وفد المشركين أن يكتب فيها ما قاله رسول الله(ﷺ)، لأنّ في قلبه حمية الجاهليّة، وقال: لوكنّا نعلم انّك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك، وطالب سُهَيل أن يكتب فيها(بسمك اللّهم)، و(من محمد بن عبدالله) بدلاً ممّا قال رسول الله(ﷺ)، فغضب أصحاب رسول الله(ﷺ) كثيراً ولكن أنزل الله سكينته وطمأنينته عليهم، ورضوا بما قال سهيل ابن عمرو.

قال الطبري: فأنزل الله الصبر والطمأنينة والوَقار على رسول اللهﷺ وعلى المؤمنين إذحمى الذين كفروا حميّة الجاهلية ومنعوهم من الطواف بالبيت وأبَوا أن يكتبوا في الكتاب بينه وبينهم (بسم الله الرحمن الرحيم) و(محمد رسول الله) وألزمهم كلمة التّقوى، يُقال ألزمهم كلمة(لاإله الاّالله) الّتي يتّقون بها النار وأليم العذاب[٣٢٥]. وقيل: يعني فأنزل الله طمأنينته على رسوله وعلى المؤمنين فثبتوا[٣٢٦]، وقال الماوردي: يعني الصبر الذي صبروا والإجابة إلى ماسألوا، والصلح الذي عقدوه حتى عاد إليهم في مثل ذلك الشهر من السنة الثانية قاضياً لعمرته ظافراً بطلبته[٣٢٧]، وقال الزمخشري: والمراد بحميّة الذين كفروا وسكينة المؤمنين(الحميّة: الألفة والسكينة: الوَقارُ) يعني

---

(٣٢٤) الجبوري، حسين علي خليف الجبوري، آيات التقوى في القرآن الكريم. موقع مكتبة صيد الفوائد، http://www.saaid.net/book/index.php . ص: ١٣١.

(٣٢٥) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن : ٦٦/٢٦ .

(٣٢٦) السمرقندي، بحرالعلوم : ٤ / ١٧١. ونخبة من العلماء، المنتخب في تفسير القرآن الكريم: ٤٠٠/٢. و نخبة من اساتذة التفسير، التفسير الميسر : ٣ / ٢٦٨ .

(٣٢٧) الماوردي، النكت والعيون: ٤ / ١٤٦. وابن عبدالسلام، تفسير ابن عبد السلام: ٦ ١١٨.

فأنزل الله سكينته فتوقّروا وحلموا[٣٢٨]، وقيل: في هذه الآية لطائف معنوية، وهو أنه تعالى أبان غاية البون بين الكافر والمؤمن، باين بين الفاعلين، إذ فاعل جعل هوالكفار، وفاعل أنزل هو الله تعالى، وبين المفعولين، إذ تلك حمية، وهذه سكينة، وبين الإضافتين، أضاف الحمية إلى الجاهلية، وأضاف السكينة إلى الله تعالى، وبين الفعل جعل وأنزل، فالحمية مجعولة في الحال في العرض الذي لايبقى، والسكينة كالمحفوظة في خزانة الرحمة فأنزلها، والحمية قبيحة مذمومة في نفسها وازدادت قبحاً بالإضافة إلى الجاهلية، والسكينة حسنة في نفسها وازدادت حسناً بإضافتها إلى الله تعالى[٣٢٩]. وعند القرطبي: الطمأنينة وَالوَقار، وقيل ثبّتهم على الرضا والتسليم، ولم يدخل قلوبهم ما أدخل قلوب أُلئك من الحميّة وألزمهم كلمة التقوى[٣٣٠]، وقال النسفي: وسكينة المؤمنين وهي الوَقار ما يُروى أنّ رسول الله(ﷺ) لمّا نزل بالحُديبيّة...فأنزل الله على رسوله السكينة فتوقّروا وحلموا[٣٣١]، وقال الكلبي:وهي سكون المسلمين ووَقارهم حين جرى ذلك[٣٣٢]، أي النّقاش بين رسول الله(ﷺ) ووفد قُريش، وذكر البيضاوي: فأنزل عليهم الثّبات والوَقار، بعد ما رأوا ما حدث بين وفد قُريش مع رسول الله(ﷺ)، فهمّ المؤمنون أن يأبوا ذلك ويبطشوا عليهم فأنزل الله السكينة عليهم فتوقّروا وتحمّلوا[٣٣٣]، وقال البقاعي: الشيء اللائق إضافته إليه سبحانه من الفهم عن الله والروح الموجب لسكون القلب المؤثر للاقدام على العدو والنصر عليه، إنزالاً كائناً[٣٣٤]، وقال السيوطي: فصالحوهم على أن يعودوا من قابل ولم يلحقهم من الحميّة ما لحق الكفّار حتّى يُقاتلوهم[٣٣٥]، وعند الشوكاني: أنزل الطمأنينة والوَقار على رسوله وعلى المؤمنين حيث لم يدخلهم ما دخل أهل الكُفر من الحميّة، وقيل ثبتهم على الرضا والتسليم[٣٣٦]، وقال الشنقيطي: ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنّه أنزل السكينة على رسوله وعلى المؤمنين، والسكينة تشمل الطمأنينة

---

(٣٢٨) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٤/ ٣٤٤ .

(٣٢٩) فخرالدين الرازي، مفاتيح الغيب: ١٥٤/١٤. والاندلسي، البحرالمحيط : ١٠/ ٩٦.
وابن عاشور، التحرير والتنوير: ٢٦ / ١٦٤ .

(٣٣٠) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ٢٨٩/٤ .

(٣٣١) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١٦٢/٢/٢ .

(٣٣٢) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل.ص: ٦٤٥ .

(٣٣٣) البيضاوي، أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل. ص: ٦٨١ .

(٣٣٤) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٨ / ١٣٨ .

(٣٣٥) السيوطي والمحلي، تفسيرالجلالين. ص: ٦٨١ .

(٣٣٦) الشوكاني، فتح القدير : ٧٨/٥. والحمصي، مفردات القرآن تفسيروبيان. ص: ١٦٠.

والسكون إلى الحقّ والثبات والشجاعة عند البأس[٣٣٧]. ويقول سيدقطب: السكينة الوَقورة الهادئة، كالتقوى المتحرّجة المتواضعة، كلتاهما تليق بالقلب المؤمن الموصول بربّه، الساكن بهذه الصلة المطمئن بما فيه من الثقة، المُراقب لربّه في كلّ خالجة وكلّ حركة، فلا يتبطّر ولايطغى، ولا يغضب لذاته، إنّما يغضب لربّه ودينه، فإذا أمر أن يسكن ويهدأ خشع وأطاع في رضى وطمأنينة[٣٣٨]. وقال ابن عجيبة: أي: أنزل في قلوبهم الطمأنينة والوقار، فلم يتضعضعوا من الشروط التي شرطت قريش[٣٣٩]. وقال الجزائري: فأنزل الله سكينته عليهم فرضوا ووافقوا فتم الصلح[٣٤٠]، وقال الزُّحيلي: أنزل عليهم الثّبات والوَقار، وصالحوا أهل مكّة، على أن يعودوا من قابل، ولم يلحقهم من الحميّة ما لحق الكفّار حتّى يُقاتلوهم، ويقول أيضاً: فأنزل الطمأنينة والثبات والصبر على رسوله وعلى المؤمنين، حيث لم يدخلهم ما دخل أهل الكفر من الحمية، وثبّتهم على الرضا والتسليم، وألزمهم كلمة الشّهادة أوالتوحيد، وهي(لاإله إلاّ الله محمد رسول الله)، أوألزمهم تعظيمُ الحرمِ، وترك القتال فيه، ولم يستفزّهم صنعُ الكَفَرَةِ، لينتهكوا حرمة الحرم[٣٤١].

وفي الختام نرى أنّ رأي العلماء الذين يقولون أن سَكِينَتَهُ تأتي بمعنى الطمأنينة والصبر والثبات والوقار، هي الأرجح لأنّ المسلون يومئذٍ كانوا يكرهون الصلح مع المشركين ولم يرضوا بذلك في بداية الامر، ولكن بعد ان نزل الله السكينة رضوا واطمأنوا وصبروا عليه.

---

(٣٣٧) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : ٣٩٣/٧. وفيروزآبادي، تنويرالمقباس من تفسير ابن عبّاس. ص: ٣٢١ . والآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ١٩ / ٢٢٤ .

(٣٣٨) سيدقطب، في ظلال القرآن : ٥١٠/٧ .

(٣٣٩) ابن عجيبة، البحرالمديد في تفسير القرآن المجيد: ٦ / ٩٣ .

(٣٤٠) الجزائري، أيسر التفاسير : ٤ / ١١١.

(٣٤١) الزحيلي، التفسيرالمنير:١٩٣/٢٦و١٩٥. والصابوني، صفوة التفاسير: ١٦٠/٣.

المبحث الثاني

السكينة في حالة القلق والاضطراب

الإيمان بالله تبارك وتعالى أول باعث للطمأنينة والسكينة والهدوء النفسي والروحي للمؤمنين مقابل كل مغريات الدنيا واسباب القلق والإضطراب والبواعث التي تحيط قلب المؤمن من مؤامرات الشيطان وأعوانه، لذلك سخرالله سبحانه وتعالى كل مخلوقاته التي خلقها في الكون للإنسان، وجعلها سببا للهدوء والإطمئنان، ويؤكد الله سبحانه وتعالى ذلك في كثير من آياته البينات.

لذلك نرى كُلّما اضطرب حال المؤمنين سكن الله قلوبهم برحمته لِكي يعيشوا في أمان واستقرار مهما كانت الظروف، وهذه هبة إلهيّة عظيمة لِمن اتّقى وآمن بِقضائهِ وقدَرِهِ، وقد وردت(السكينة) في(ثمان) مواضع يتحدّث فيها سبحانه وتعالى عن السكون والهدوء والاطمئنان في حالة القلق والاضطراب والتعب، وسببها نِعَمُ اللهِ الكثيرة التي لاتُعد ولاتُحصى، من الليل والنهار والصلاة والبيت....الخ.

أوّلاً: الليل سكينة للناس:

في بداية هذا المبحث نذكر ما جاء في سورة (الانعام)، حيث يتحدث سبحانه وتعالى عن نعمة الليل كيف جعله هادئاً للسكون، مظلماً للراحة والأمن، وقد تحدّث سبحانه وتعالى عن نعمة الليل في كتابه العزيز في ستة مواضع، ولكن نظراً لعدم لتسلسل السور التي وردت فيها، لم نذكر كلها جملة معاً، بل وردت بينهما آية كريمة تتحدّث عن صلوات الرسولﷺ، كيف تسكن قلوب أصحابهرضي الله عنهم، وتطمئنّهم، ومرة أخرى يتحدّث عن نعمة البيت، والتي بدورها وسيلة للسون والراحة بعد العمل والكدّ.

قال تعالى﴿ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾(الأنعام: ٩٦/٦).

في هذه الاية الكريمة تأتي كلمة(سَكَنًا) بمعنى افستقرار والسكون والإطمئنان، ومحلاً للسكون، أوساجيا هادئاً مظلماً للسكون، وكلها واحدة تقريباً لاتختلف اختلافا يجدر بالذكر. وهذه آراء المفسرين على ذلك:

فقال الطبري في تفسير(سَكَنًا) والمعنى أخبر جلَّ ثناؤهُ أنّهُ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا ﴾ لأنهُ يسكنُ فيه كلُّ متحركٍ بالنهارِ ويهدأُ فيهِ فيستقرُّفي مسكنِهِ ومأواهُ[٣٤٢]، وقال النحاس: جعله يصلحُ أنْ يسكنَ فيهِ[٣٤٣]، وقال الماوردي: فيه قولان: أحدهما: أنه سُمِّي سكناً لأن كل متحرك بالنهار يسكن فيه، والثاني: لأن كل حي يأوي فيه إلى مسكنه[٣٤٤]، ويرى البغوي أنه: يسكن فيه خلقه[٣٤٥]، وعند الزمخشري: السكن: ما يسكنُ إليه الرجلُ و يطمئنُّ إستئناساً بهِ واسترواحاً إليه من زوجٍ أوحبيب، ومنه قيل لِلنارِ سكنٌ، لأنهُ يُستأنسُ بها، ألآتراهم سمُّوها المُؤنسة، والليل يطمئنُّ إليه التعب بالنهار، لاستراحتهِ فيه، ويجوز أن يُراد: وجعل الليل مسكوناً فيه من قوله لتسكنوا فيه[٣٤٦]، وقال ابن الجوزي: فأما السكن: فهو ما سكنْتَ إليه، والمعنى: أن الناس يسكنون فيه سكون راحة[٣٤٧]، وقال الرازي: إن الليل يطمئن إليه الانسان لأنه أتعب نفسه بالنهار واحتاج إلى زمان يستريح فيه[٣٤٨]، وقال ابن عبد السلام: يسكن فيه كل متحرك بالنهار، أولأن كل حي يأوي إلى مسكنه[٣٤٩]. ويقول القرطبي: أي محلاً للسكون[٣٥٠]، وفسّرها النسفي بـ(مسكوناً فيه، من قوله لتسكنوا فيه، أي: ليسكنَ فيه الخلقُ عن كدِّ المعيشةِ إلى نومِ الغفلةِ ويستراح، أومن وحشة الخَلقِ إلى الأنسِ بالحقِّ)[٣٥١]، ويقول ابن كثير: فبين تعالى قدرته على خلق الأشياء المتضادة المختلفة الدالة على كمال عظمته وعظيم سلطانه، فذكر أنّه فالق الاصباح، وقابل ذلك بقوله﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا ﴾أي: ساجيامظلما، لتسكن فيه الأشياء، كماقال تعالى﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾(الضحى: ٢/٩٣)، وقال تعالى﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴾(الليل: ١/٩٢)، و﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴾(الشمس: ٤/٩١)[٣٥٢]، وقال البيضاوي: يسكن إليه التعب بالنهار

(٣٤٢) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن : ٧ /١٨٨ .
(٣٤٣) النحّاس، إعراب القرآن.ص : ٢٧٧ .
(٣٤٤) الماوردي، النكت والعيون : ١ / ٤٢٥ .
(٣٤٥) البغوي، معالم التنزيل : ١٤٦/٢ .
(٣٤٦) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : ٤٩/٢ .
(٣٤٧) ابن الجوزي، زاد المسير : ٢ /٣٨٠ .
(٣٤٨) فخرالدين الرازي، مفاتيح الغيب: ٦ / ٣٩١ .
(٣٤٩) ابن عبدالسلام، تفسير ابن عبد السلام : ٢ / ٦٣ .
(٣٥٠) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن : ٧ /٤٥ .
(٣٥١) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ٣٥/١ و٣٤. وابن جزي،التسهيل لعلوم التنزيل. ص: ٢١٠.
(٣٥٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ١٦٢/٢ .

لاستراحتهِ فيه، مِنْ: سكن إليه إذا اطمأن إليه، استئناساً به، أويسكنُ فيه الخلقُ[٣٥٣]. وقال البقاعي: يسكن الناس فيه وإليه ويستريحون فيه[٣٥٤]، وقال السيوطي: يسكن فيه كل طير ودابة[٣٥٥]، أمّا الشوكاني فيقول: والسكن محلُّ السكونِ، من سكنَ إليه: إذا اطمأنّ إليه، لأنهُ يسكنُ فيه الناسُ عن الحركةِ في معاشِهم ويَستريحونَ من التعب والنصب[٣٥٦]، وقيل: يسكن إليه من يتعب بالنهار ويستأنس به لاستراحه فيه وكل ما يسكن إليه الرجل ويطمئن استئناساً به واستراحاً إليه من زوج أوحبيب يقال له: سكن[٣٥٧]، وقيل: وَجَعَلَ الليل سَكَناً لخلقه يسكنون فيه لراحة أجسادهم[٣٥٨]، وقال القشيري: وكما جعل الليل سَكَناً لِتَسْكَنَ فيه النفوس من كدِّ التصرف عن أسباب المَعَاش كذلك جعل الليلَ سَكَناً للأحباب يَسْكَنونَ فيه إلى روح المناجاة إذا هدأت العيونُ من الأغيار[٣٥٩]. وقال ابن عاشور: والسكَن بالتَّحريك ما يسكن إليه، أي تسكن إليه النّفس ويطمئنّ إليه القلب، والسّكون فيه مجاز، وتسمّى الزّوجة سكَناً والبيتُ سكناً، فمعنى﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا﴾ أنّه جعل لتحصل فيه راحة النّفس من تعب العمل[٣٦٠]، وقيل: وجعل الليل مستقرًا، يسكن فيه كل متحرك ويهدأ[٣٦١]. وقال سيدقطب: إن فالق الحب والنوى هو فالق الاصباح أيضاً، وهوالذي جعل الليل للسكونِ، وبين انفلاق الحب والنوى وانفلاق الاصباح وسكون الليل صلة أخرى، إنّ الاصباح والامساء، والحركة والسكون في هذا الكون أو في هذا الأرضِ ذات علاقة مباشرة بالحياة[٣٦٢]. وقال الزحيلي: أي

---

(٣٥٣) البيضاوي، أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل : ٣٢٢/١. والسيوطي والمحلي، تفسيرالجلالين. ص: ١٨٥ .

(٣٥٤) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٣/ ٩٥ .

(٣٥٥) السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ٤ / ١٠٤ .

(٣٥٦) الشوكاني، فتح القدير: ٢٠٧/٢ .

(٣٥٧) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٥ / ٤٥. وحقّي، تفسيرحقي : ٣ / ٤٩٥.
وابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: ٧١/٧.
وأبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ٤٠٤/٢.

(٣٥٨) مقاتل، تفسيرمقاتل :٤٥٧/١. وابن عجيبة، البحرالمديدفي تفسير القرآن المجيد : ١٧٧/٢.
ونخبة من العلماء، المنتخب في تفسير القرآن الكريم : ٢٢١/١.
والجزائري، أيسرالتفاسير لكلام العلي الكبير:٤٢٠/١.

(٣٥٩) القشيري، عبدالكريم بن هوازن بن عبد الملك(ت: ٤٦٥هـ)، لطائف الإشارات، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣ : ٢ / ٢٧٦ .

(٣٦٠) ابن عاشور، التحرير والتنوير: ٦ / ٢٣٣ .

(٣٦١) نخبة من اساتذة التفسير، التفسير الميسر: ٢ / ٣٩١ .

(٣٦٢) سيدقطب، في ظلال القرآن: ٣ / ٣١٩ .

ساجياً هادئاً مُظلِماً لتسكن فيه الأشياءِ ويستريحُ فيه المتعب من عمل النهار، كماقال تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾(النبأ: ١٠/٧٨)، والسكن: ما تسكن إليه الخلائق من التعب[٣٦٣]، وقال الكفوي: السكن كل ما يسكن إليه وفيه ويستأنس به فهو سكن[٣٦٤]. وقيل: يسكن الناس فيه عن الحركات ويستريحون[٣٦٥]، ويقول الصابوني: مايسكن إليه الانسان ويأنس به، والسكن: الرحمة[٣٦٦].

وفي الختام تبين للباحث أنّ سَكَنًا تعني السكون في الليل والراحة والاستقرار، لأن الليل ساكن في نفسه هادىء مظلم مهيء لذلك.

ثانياً: صلوات رسول اللهﷺ سكينة لأصحابه الكرامرضي الله عنهم :

ويبين الله سبحانه وتعالى كيف كان صلاة النبيﷺ تسكن قلوب الأصحابرضي الله عنهم، وتطمئنهم بأن زكاتهم مقبولة عندالله تبارك وتعالى، ويقبل توبتهم ايضاً.

قال تعالى﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(الفتح: ١٠٣/٩). في هذه الاية الكريمة تأتي كلمة﴿سَكَنٌ ﴾ بمعنى رحمة وبركة، أو طمأنينة وثبات، أوقربة ووقار. وذلك حسب آراء المفسرين.

قال الطبري في تفسير﴿سَكَنٌ ﴾ واختلف أهل التأويلِ في تأويله، فقال بعضُهم رحمةٌ لهم، وقال آخرون بل معناه: إنّ صلاتك وقارٌ لهم، والمقصود منه الخبر عن دعاء النبي(ﷺ) وصلواته أنّه سكنٌ لِهؤلاءِ القوم[٣٦٧]، وقال السمرقندي: دعاءك واستغفارك سكن لهم يعني: طمأنينة لهم بأنّ الله تعالى قد قبل منهم الصدقة، ويقال: إن الله قبل منهم التوبة[٣٦٨]، وفيه خمسة تأويلات: أحدها: قربة لهم، قاله ابن عباس في رواية الضحاك. الثاني: رحمة لهم، قاله ابن عباس. الثالث: وقار لهم، قاله

---

(٣٦٣) الزحيلي، التفسيرالمنير: ٧ / ٣٠٣ ـ ٣٠٦ .

(٣٦٤) الكفوي، الكليات. ص: ٤١٦.

(٣٦٥) فيروزآبادي، مفردات ألفاظ القرآن الكريم. ص : ١٤٠ .

(٣٦٦) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني : ٢٧٩/١ .

(٣٦٧) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن:١١ / ١٣ و ١٤ .

(٣٦٨) السمرقندي، بحرالعلوم: ٢ / ٢٦٣ .

قتادة. الرابع: تثبت لهم، قاله ابن قتيبة. والخامس: أمن لهم[٣٦٩]. وقال الرازي: قال الفراء: إذا استغفرت لهم سكنت نفوسهم إلى أن الله تعالى قبل توبتهم، وأقول: إن روح محمدﷺ كانت روحاً قوية مشرقة صافية باهرة، فإذا دعا محمد لهم وذكرهم بالخير فاضت آثار من قوته الروحانية على أرواحهم، فأشرقت بهذا السبب أرواحهم وصفت أسرارهم، وانتقلوا من الظلمة إلى النور، ومن الجسمانية إلى الروحانية[٣٧٠]. وقال الخازن: والمعنى إن صلواتك توجب سكون نفوسهم إليها والمعنى أن الله قد قبل توبتهم أو قبل زكاتهم[٣٧١]. وعند الكلبي: تسكنُ بهِ نفوسُهم فهو عبارةٌ عن صحّةِ الاعتقاد أوعن طمأنينةِ نفوسهم، إذا عَلِمُوا أنّ الله تابَ عليهم[٣٧٢]. وعند القرطبي: إذا دعوتَ لهم حين يأتون بصدقاتهم سكنَ ذلك قلوبهم وفرحوابه[٣٧٣]. وقال النسفي: يسكنون إليه وتطمنّ قلوبهم بأن الله قدتاب عليهم[٣٧٤]. وعند البيضاوي: تسكن إليها نفوسُهم وتطمئنُ بها قلوبُهم، وجمعها لِتعدّدِ المدعوّ لهم[٣٧٥]، ويقول القيرواني﴿ وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ ﴾ يقول للنَّبيّ: استغفر لهم﴿ إِنَّ صَلَوٰتَكَ ﴾يعني إنَّ استغفارك﴿ سَكَنٞ ﴾ يعني طمأنينة قلوبهم. وقال فيها أيضا:﴿ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ﴾ يعني استغفار النَّبيّ[٣٧٦]. وألمح البقاعي أنّها تعني: تطمئن بها قلوبهم بعد قلق الخوف من عاقبة الذنب لما يعلمون من أن القبول لايكون إلا مِمن حصل له الرضى عنهم ومن أن الله سمع قولك إجابة لك ويعلم صدقك في صلاحهم[٣٧٧]، ولخّص السيوطي بأنّها: رحمة لهم، وقيل: طمأنينة بقبولِ توبتِهم[٣٧٨]، وقال أبو السعود: تسكُن نفوسُهم إليها وتطمئن قلوبُهم بها ويثقون بأنه سبحانه قبل توبتَهم، والجملةُ تعليلٌ للأمر بالصلاة عليهم[٣٧٩].

---

(٣٦٩) الماوردي، النكت والعيون:١٤٠/٢. والبغوي، معالم التنزيل:٣٥٧/١.
وابن الجوزي، زاد المسير: ٣/ ٢٢٨. والاندلسي، البحر المحيط:٢٢٣/٦. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٤٠٦/٢.

(٣٧٠) فخرالدين الرازي، مفاتيح الغيب: ٨ / ١٤١ .

(٣٧١) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل: ٣ / ٣٣٨ .

(٣٧٢) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل.ص: ٢٧٨. والزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:٣٠٨/١.

(٣٧٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ٢٥٠/٨ .

(٣٧٤) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١ / ٢ / ١٤٤ .

(٣٧٥) البيضاوي، أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل: ٢٦٦ .

(٣٧٦) القيرواني، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة التيمي(ت٢٠٠هـ)، التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه، قدمت له وحققته: هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٩م . ص: ١٦٦.

(٣٧٧) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٤ / ١٢ .

(٣٧٨) السيوطي والمحلي، تفسيرالجلالين.ص: ٢٦٦ . والزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس : ٢٨٥/١٨ .

(٣٧٩) أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ٣ / ٢٠٧ .

وذكر الشوكاني: والسكنُ ما تسكنُ إليه النفسُ وتطمئنُّ بهِ[٣٨٠]. وقال الآلوسي: والسكن: السكون وما تسكن النفس إليه من الأهل والوطن مثلا وعلى الأول جعل الصلاة نفس السكن، والاطمئنان مبالغة وعلى الثاني يكون المراد تشبيه صلاتهﷺ في الالتجاء إليها بالسكن والأول أولى، أي إن دعاءك تسكن نفوسهم إليه وتطمئن قلوبهم به إلى الغاية ويثقون بأنه سبحانه قبلهم[٣٨١]. وقال سيدقطب: في تطوعهم بالصدقات بأموالهم تطهيرٌ لهم وتزكيةٌ في دعاءِ الرسولِ (ﷺ) لهم طمأنينة وسكن[٣٨٢]. وقال ابن عادل: والسَّكَنُ: الطمأنينة، وقال أبو عبيدة: تَثْبِيتاً لقلوبهم[٣٨٣]، وقال ابن عاشور: والسكن: بفتحتين ما يُسكَن إليه، أي يُطمأن إليه ويُرتاح به، وهو مشتق من السكون بالمعنى المجازي، وهوسكون النفس، أي سلامتها من الخوف ونحوه، لأن الخوف يوجب كثرة الحذر واضطراب الرأي فتكون النفس كأنها غير مستقرة، ولذلك سمي ذلك قلقاً لأن القلق كثرة التحرك[٣٨٤]. وقال ابن عجيبة: تسكن إليها نفوسهم، وتطمئن بها قلوبهم، لتحققهم بقبول دعائهﷺ[٣٨٥]. وقيل: فإن دعاءك تسكن به نفوسهم، وتطمئن به قلوبهم[٣٨٦].وقال المصطفوي: السّكن في هذه الآية هو بمعنى الاستقرار والسكون والاطمينان، وهو مصدر ويدلّ عليه كونه خبراً، عن الصلاة وهو مصدر[٣٨٧]. وقال الجزائري: دعاءك رحمة[٣٨٨]، وقيل: وادع لهم بالمغفرة لذنوبهم واستغفرلهم منها، إن دعاءك واستغفارك رحمة وطمأنينة لهم[٣٨٩]، وقال الزحيلي: فانّ دعاءَك واستغفارك سكنٌ لهم يسكنون إليه وتطمئنُّ قلوبهم بأنّ الله قد تاب عليهم، والصلاة مِن الله على عباده: الرَّحمةُ، ومِن الملائكة: الاستغفارُ، ومِن النبيّ والمؤمنينَ: الدعاءُ[٣٩٠]، وقال آخرون: رحمةٌ لهم أ وطمأنينةٌ وتثبيتٌ لهم[٣٩١].

---

(٣٨٠) الشوكاني، فتح القدير: ٥٨٠/٢ .

(٣٨١) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٧ / ٣٥١ .

(٣٨٢) سيدقطب، في ظلال القرآن: ١١/٤/ ٣٠٠ .

(٣٨٣) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: ٨ / ٣٦١ .

(٣٨٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير: ١٠ / ١٦٩ .

(٣٨٥) ابن عجيبة، البحرالمديد في تفسير القرآن المجيد: ٢ / ٤٤٤ .

(٣٨٦) نخبة من العلماء، المنتخب في تفسير القرآن الكريم: ١ / ٣٢٢ .

(٣٨٧) المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ١٩٦/٥- ٢٠٠.

(٣٨٨) الجزائري، أيسرالتفاسير لكلام العلي الكبير: ٢ / ١٠٣ .

(٣٨٩) نخبة من اساتذة التفسير، التفسير الميسر : ٣ / ٣٤٥ .

(٣٩٠) الزحيلي، التفسيرالمنير: ٢٩/١١ .

(٣٩١) الصابوني، صفوة التفاسير: ٣٨٤/١. والحمصي، مفردات القرآن تفسيروبيان. ص: ٢٠٣.
ومخلوف، كلمات القرآن تفسيرو بيان. ص : ١٣٥.

وفي النهاية نرى أنّ سَكَنٌ تاتي بمعاني متقاربة حسب آراء المفسرين، منها الطمأنينة

والتثبيت أوالرحمة والبركة والأمن، وهذه المعاني كلها تشير الى تسكين وتهدئة قلوب الأصحاب، واستقرارهم وتثبيتهم على انّ الله قبل توبتهم وزكاتهم.

ثالثاً: الليل سكينة للناس، مرة ثانية:

ذكر سبحانه وتعالى نعمة والليل التي هي سبب تسكين الانسان بصورة عامة وليسس للمؤمنين فقط، بل لكل المخلوقات، وليس للانسان فقط، وقد تكررت في عدة آيات، وذكرت كل هذه الآيات على حده، ولم يجمعهم في نقطة واحدة لأنها ليست في سورة واحدة، بل في سور مختلفة، وسرت على ذلك المنوال.

قال جلّ وعلا:﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَسۡمَعُونَ ﴾(يونس: ٦٧/١٠).

ومرة ثانية يتحدَّثُ سبحانه وتعالى عن آية من آياته وهي الليل ويجعلها نعمة أنعمها على بني آدم ليتفكروا في هذه الآية المرئية بجانب الآية السمعية التي أنزلها الله للقراءة والتدبُّر والتفكُّر والمتعبد بِتلاوته، والتي لايقرأها كثير من الناس، ولكن ينبغي أن يتفكر في الآية المرئية كل من له قلب حي، مؤمن بعظمة الله وقدرته، لأنه يُشاهدها يوميا ويعمل فيها، ويسكن ويستريح فيها أيضاً. وفي هذه الاية الكريمة تأتي كلمة(لِتَسۡكُنُواْ) بمعنى لتهدأوا، وتقروا، ويزول العب والكلال، أولتستريحوا، أوتستقروا. كما يقول المفسرون.

يقول الطبري في تفسير(لِتَسۡكُنُواْ) في هذه الآية: إنّ ربكم أيها الناس الذي استوجب عليكم العبادة هو الرب الذي جعل لكم الليل وفصّله من النهار، لتسكنوا فيه مماكنتم فيه من نهاركم من التعب والنصب وتهدأوا فيه من التصرف والحركة للمعاش والعناء الذي كنتم فيه بالنهار[٣٩٢]. وعند السمرقندي: خلق لكم اللَّيل، لتقروا فيه من النَّصَبِ والتعب[٣٩٣]، وقال الرازي: والمعنى أنه تعالى جعل الليل ليزول التعب والكلال بالسكون فيه[٣٩٤]، وفسّرها الزمخشري بقوله: ليسكنوافيه مما

(٣٩٢) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن:١١ / ٩٧. و ابن الجوزي، زاد المسير: ٣ / ٢٩٧.

(٣٩٣) السمرقندي، بحرالعلوم: ٢ / ٣٠٤ .

(٣٩٤) فخرالدين الرازي، مفاتيح الغيب: ٨ / ٣١٩ .

يقاسون في نهارهم من تعب التردُّدِ في المعاش[٣٩٥]، ويقول القرطبي: بيّن أن الواجب عبادة من يقدر على خلق الليل والنهار، لاعبادة من لايقدر على شيء ﴿لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾ أي مع أزواجكم وأولادكم ليزول التعب والكلال بكم[٣٩٦]، وجعل لكم الليل مظلما لتستريحوا فيه من تعب التردد في النهار[٣٩٧]، وقال الخازن: يعني هو الله ربكم الذي خلق لكم الليل راحة لتسكنوا فيه وليزول التعب والكلال بالسكون فيه، وأصل السكون الثبوت بعد الحركة[٣٩٨]، وقيل: هو من السكون، وهوضد الحركة[٣٩٩]، وقال أبوحيّان: هذا تنبيه منه تعالى على عظيم قدرته وشمول نعمته لعباده، فهو المستحق لأنْ يفرد بالعبادة لتسكنوا فيه مما تقاسون من الحركة والتردّد في طلب المعاش وغيره بالنهار، وأضاف الابصار إلى النهار مجازاً، لأن الابصار تقع فيه[٤٠٠]، وعند ابن كثير: الذي جعل لعباده ﴿ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾ يستريحون من نصبهم وكلّهم وحركاتهم[٤٠١]. وذكر الفيروزآبادي أنّ إبن عباس(رضي الله عنه) قال في تفسيرها: لتستقروا فيه[٤٠٢]. وقال البقاعي: راحة لكم ودلالة على قدرته سبحانه على الايجاد والاعدام وأنساً للمحبين لربهم[٤٠٣]، وقال الشوكاني: ثم ذكر سبحانه طرفا من آثار قدرته مع الامتنان على عباده ببعض نِعَمِهِ، قال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ﴾ جَعَلَ لِعِبَادِهِ الزَّمَانَ مُنْقَسِمًا إِلَى قِسْمَيْنِ أَحَدُهُمَا مُظْلِمٌ، وَهُوَ اللَّيْلُ، لِأَجْلِ يَسْكُنُ الْعِبَادُ فِيهِ عَنِ الْحَرَكَةِ وَالتَّعَبِ، وَيُرِيحُونَ أَنْفُسَهُمْ عَنِ الْكَدِّ وَالْكَسْبِ[٤٠٤]، وقال الحلبي في تفسير هذه الآية: أي تستريحون من التعب لأن السكون ضد الحركة، والحركة: مظنة التعب لأن فيها انتقالات بالأعضاء وأعمالاً بالجوارح، والنهار ظرف ذلك[٤٠٥].

---

(٣٩٥) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٣٥٨/٢ .

(٣٩٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ٣٦٠/٨.

(٣٩٧) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١٧٠/٢/١ .

(٣٩٨) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل: ٣ / ٤١٢ .

(٣٩٩) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل.ص: ٢٩٠ .

(٤٠٠) الاندلسي، البحر المحيط: ٦ / ٣٣٧ .

(٤٠١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٤٢٢/٢ .

(٤٠٢) فيروزآبادي، تنويرالمقباس من تفسير ابن عبّاس. ص: ١٣٥ .

(٤٠٣) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٤ / ٩٠ .

(٤٠٤) الشوكاني، فتح القدير : ٢/ ٥٢٣.

(٤٠٥) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ في في تفسير اشرف الالفاظ: ٢ / ٢٣٨.

وفي الختام نرى أنّ لِتَسۡكُنُواْ تعني الإستقرار والإستراحة والهدوء بعد تعب النهار.

رابعاً: في البيت سكينة للناس:

قال تعالى﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴾(النحل: ٨٠/١٦).

في هذه الاية الكريمة تأتي كلمة(سَكَنًا) بمعنى مأوى ومسكناً، راحة واستقرارا، أوالإطمئنان الشعوري، أو السكينة النفسية. واليك آراء المفسرين بالتفصيل على ذلك.

قال الطبري في تفسير(سَكَنًا) في هذه الآية والله جعل لكم أيّها الناس من بيوتكم التي هي من الحجر والمدر سكناً تسكنون فيها أيّام مقامكم في دوركم وبلادكم وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً وهي البيوت من الأنطاع والفساطيط من الشعر والصوف والوبر[٤٠٦]. وقال السمرقندي: خلق لكم البيوت قراراً ومأوًى لكم، ويقال: معناه سخر لكم الأرض، لتبنوا فيها البيوت، ويقال: معناه وفقكم لبناء البيوت لسكناكم، وقراركم، فذكر النعم، والمنن، والدلائل لوحدانيته[٤٠٧]. وقال الزمخشري: والسكن: فعل بمعنى مفعول، وهوما يسكن إليه وينقطع إليه من بيت أو إلف[٤٠٨]. وعند ابن الجوزي: أنّها تعني موضعاً تسكنون فيه، وهي المساكن المتَّخَذة من الحجر والمدر تستر العورات والحُرَم، وذلك أن الله تعالى خلق الخشب والمدر والآلة التي بها يمكن بناء البيت وتسقيفه[٤٠٩]، وقال الرازي: والسكن ما سكنت إليه وما سكنت فيه، وهو مايسكن إليه وينقطع إليه من بيت أوإلف، واعلم أن البيوت التي يسكن الانسان فيها على قسمين: القسم الأول: البيوت المتخذة من الخشب والطين والآلات التي بها يمكن تسقيف البيوت، وهذا القسم من البيوت لايمكن نقله، بل الانسان ينتقل إليه. والقسم الثاني: القباب والخيام والفساطيط، وهذا القسم من البيوت يمكن نقله وتحويله من مكان إلى مكان[٤١٠]، ويقول القرطبي: تسكنون فيها وتهدأ جوارحكم من الحركة، وقد تتحرك فيه و

---

(٤٠٦) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن:١٤ / ١٠٣ .

(٤٠٧) السمرقندي، بحرالعلوم: ٢ / ٤٧٧ .

(٤٠٨) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٢ /٦٢٥. والنسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٢٩٥/٢/١. و ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل.ص: ٣٥٣ .

(٤٠٩) ابن الجوزي، زاد المسير: ٤ / ١١٨ .

(٤١٠) فخرالدين الرازي، مفاتيح الغيب: ٩ / ٤٤٣ .

تسكن في غيره، إلا أنّ القول خرج عن الغالب، وعدَّ هذا في جملة النِعَمِ، فإنّه لوشاء خلق العبد مضطرباً أبدا كالأفلاك لكان ذلك كما خلق وأراد، ولوشاء خلقه ساكناً كالأرض، لكان كما خلق وأراد، ولكنّه أوجده خلقاً يتصرف للوجهين، ويختلف حاله بين الحالتين، وردّده كيف وأين؟[٤١١]، ويتحدث ابن كثير عن نِعَمِ الله التي أعطاها الله عبادهُ منها البيت حيث ينتفع ويستريح فيها، ويذكر تبارك وتعالى تمام نعمه على عبيده بما جعل لهم من البيوت التي هي سكنٌ لهم يأوونَ إليها ويستترون بها وينتفعون بها بسائر وجوه الانتفاع وجعل لهم أيضا من جلود الانعام بيوتا، أي من الأدم ويستخفّون حملها في أسفارهم، ليضربوها لهم في إقامتهم في السفر والحضر[٤١٢]، ويرى البيضاوي أنها: موضعٌ تسكنون فيه وقت إقامتكم كالبيوت المتّخذة من الحجر والمدر(فعل بمعنى مفعول)، ووافقه السيوطي في ذلك[٤١٣]، وقيل: موضعاً تسكنون فيه وقت إقامتِكم أوتسكنون إليه من غير أن ينتقل من مكانه، أي جعل بعضَ بيوتكم بحيث تسكنون إليه وتطمئنون به[٤١٤]. وقال الشوكاني: والسكن مصدر يوصف به الواحد والجمع، وهوبمعنى مسكون، أي تسكنون فيها، وتهدأ جوارحكم من الحركة، وهذه نعمةٌ من الله[٤١٥]. وقال ابن عاشور: والسَكَن: اسم بمعنى المسكون، والسكنى: مصدر سكن فلان البيتَ، إذا جعله مقرّاً له، وهو مشتقّ من السكون، أي القرار[٤١٦]. ويتحدث سيدقطب عن نعمة البيت وحرمته وسلامته وحصانته في الاسلام بالتفصيل ولاسيَّما بيت المسلم ويقول: والسكن والطمأنينة في البيوت نعمة لايقدرها حق قدرها الا المشردون الذين لابيوت لهم، ولا سكن ولا طمأنينة، والتذكير بالسكن يمسُّ المشاعر الغافلة عن قيمة هذه النعمة...، ونستطرد هنا إلى شيء عن نظرة الاسلام الى البيت، بمناسبة هذا التعبير الموحي﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا﴾ إذ يصفُ الاسلام البيت مكانا للسكينة النفسية والاطمئنان الشعوري، هكذا يريده مريحا تطمئن إليه النفس، وتسكن وتأمن، سواء بكفايته المادية للسكنى والراحة، أوباطمئنان من فيه بعضهم لبعض، وبتسكين من فيه كل الى الآخر، فليس البيت مكاناً للنزاع والشقاق والخصام، إنّما هومَبيت وسكن أمن واطمئنان وسلام، ومن ثم يضمن الاسلام للبيت حرمته، ليضمن له أمنه

(٤١١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ١٥٢/١٠.

(٤١٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٢ / ٥٧٧ .

(٤١٣) البيضاوي، أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل: ٥٦٥/١. والسيوطي والمحلي، تفسيرالجلالين.ص: ٣٦٢.

(٤١٤) أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : ١٤٤/٤.

والآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:٢٥٨/١٠.

(٤١٥) الشوكاني، فتح القدير: ٣ / ٢٦٤ .

(٤١٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير: ٨ / ٩٩ .

وسلامته واطمئنانه، فلا يدخله داخل إلا بعد الاستئذان، ولا يقتحمه أحد بغير حق، باسم السلطان، ولا يتطلّع أحدٌ على من فيه لسبب من الاسباب، ولا يتجسّس أحد على أهله في غفلةٍ منهم، أوغيبةٍ فيروّعُ أمنهم، ويخلُّ بالسكن الذي يريدُه الاسلام للبيوت، ويعبّر عنه ذلك التعبير الجميل العميق[٤١٧]، وقيل: والله سبحانه وتعالى هو الذى جعلكم قادرين على إنشاء بيوت لكم تتخذون منها مساكن، وجعل لكم من جلود الإبل والبقر والغنم وغيرها أخبية تسكنون فيها وتنقلونها فى حلكم وترحالكم[٤١٨]، وقال الجزائري: مكاناً تسكنون فيه وتخلدون للراحة[٤١٩]، وقيل: والله سبحانه جعل لكم من بيوتكم راحة واستقرارًا مع أهلكم، وأنتم مقيمون في الحضر[٤٢٠]. ويقول الزحيلي: واللهُ جعل لكم بيوتا هي سكن لكم تأوُونَ إليها وتستترون بها وتنتفعون بها بسائر وجوه الانتفاع، وتسكنون فيه[٤٢١]، ويقول الصابوني: هذا تعداد لنعم الله على العباد، أي جعل لكم هذه البيوت من الحجر والمدر لتسكنوا فيها أيام مقامكم في أوطانكم[٤٢٢].

ويبدو مما سبق أنّ جمهور المفسرين والعلماء يرونَ أنّ البيت الذي يتحدث الله عنها هي نعمة من الله للاستراحة الجسدية والبدنية، والهدوء النفسي، واطمئنان القلب، وهدوء العقل، ونرى اتفاقا بين العلماء في هذا المفهوم، لأنّ الموضوع لا يحتملُ الاختلاف في المحتوى والمفهوم، مع وجود بعض الاختلاف في الالفاظ.

نرى أنّ(سَكَنًا)تأتي بمعنى مكاناً للإستراحة والإطمئنان والإستقرار الجسدي والنفسي.

خامساً: الليل سكينة للناس، مرة ثالثة:

قال تعالى:﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(النمل: ٨٦/٢٧).

ومرّة أُخرى يتحَدّثُ سبحانه وتعالى عن الليل ويجعلها آية من آياته لمن يريد أن يؤمن بأن الله هو رب الكون كلِّه ومليكه وهوالذي يُحوّلُ الليل إلى النهار، ويحول النهار إلى الليل، وجعل أحدهما

---

(٤١٧) سيدقطب، في ظلال القرآن : ٥ / ٢٦٨ و ٢٦٩ .

(٤١٨) نخبة من العلماء، المنتخب في تفسير القرآن الكريم: ١ / ٤٥٥ .

(٤١٩) الجزائري، أيسرالتفاسير لكلام العلي الكبير: ٢ / ٣١٥ .

(٤٢٠) نخبة من اساتذة التفسير، التفسير الميسر: ٤ / ٤٥٠ .

(٤٢١) الزحيلي، التفسيرالمنير: ١٤/ ١٩٦ و ١٩٨ .

(٤٢٢) الصابوني، صفوة التفاسير: ٢ / ٩٦ .

صالحا للعمل وكسب العيش والأسفار، وهوالنهار، وجعل الآخر للاستراحة والإستتار وهوالليل، وقد تحدَّث المفسرون عن هذا المفهوم في هذه الآية واتفقوا على تفسيرها.

وفسر المفسرون كلمة(لِيَسۡكُنُواْ) في هذه الاية الكريمة بـِ(يسكنون فيه، سكناً، يستريحون فيه، النوم والقرار)، وكلّها معاني متقاربة، ولافرق بينها.

ذكرالطبري في معنى(لِيَسۡكُنُواْ) في هذه الاية الكريمة: ألم يَرَ هؤلاءِ المكذِّبون بآياتنا تصريفَنا الليل والنهار ومخالفتنا بينهما بتصييرنا هذا سكناً لهم يسكنون فيه، ويهدأون راحة أبدانهم من تعب التصرف والتقلب نهاراً[٤٢٣]، ويقول الزمخشري: جعل الابصار للنهار ولأهله، فان قلت: ما للتقابل لم يراع في قوله (لِيَسۡكُنُواْ) و(مُبۡصِرًاۚ)، حيث كان أحدهما علة، والآخر حالاً؟ قلتُ: هو مُراعى من حيث المعنى، وهكذا النظم المطبوع غيرالمُتكلف لأنّ معنى مبصراً، ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب[٤٢٤]، وعند القرطبي: يستقرون فينامون[٤٢٥]، وقال أبو حيّان: أي لأن يقع سكونهم فيه مما يلحقهم من التعب في النهار واستراحة نفوسهم[٤٢٦]، وقال ابن كثير(لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ) في ظلام الليل لتسكن حركاتهم بسببه وتهدأ أنفاسهم ويستريحون من نصب التعب في نهارهم[٤٢٧]، وقال البيضاوي: ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم إلى تجويز الحشر وبعثة الرسل، لأنّ تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غيرُ متعيّن بذاته لايكون إلا بقدرة قاهر، وإنّ من قدرَ على إبدال الظلمة بالنور في مادة واحدة قدر على إبدال الموت بالحياة في مواد الأبدان، وإنَّ من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من أسباب معاشِهم لعَلَّهُ لايخلّ بما هو مناطُ جميع مصالحهم في معاشهم ومعادهم﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ ﴾ بالنوم والقرار[٤٢٨]، وقال الشّوكاني: جعلنا الليل للسكون والاستقرار والنوم، وذلك بسبب مافيه من الظلمة، فانهم لايسعون فيه للمعاش[٤٢٩]، وقال ابن عاشور: والرؤية

---

(٤٢٣) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن:٢٠ / ١٢.

(٤٢٤) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٣ / ٣٨٦.

(٤٢٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ١٣ / ٢٩٣.

(٤٢٦) الأندلسي، البحرالمحيط : ٨ / ٤٩٧ .

(٤٢٧) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٣ / ٣٨١ .

(٤٢٨) البيضاوي، أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل : ٢ / ١٨٤ .

(٤٢٩) الشوكاني، فتح القدير: ٢٢١/٤.

يجوز أن تكون قلبية، أي كيف لم يعلموا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً مع أن ذلك واضح الدلالة على هذا الجعل، واختير من أفعال العلم فعل الرؤية لشبه هذا العلم بالمعلومات المبصرة، ويجوز أن تكون الرؤية بصرية والمصدر المنسبك من الجملة مفعول الرؤية والمعنى: كيف لم يبصروا جعل الليل للسكون والنهار للابصار مع أن ذلك بمرأى من أبصارهم، والجعل مراد منه أثره وهو اضطرار الناس إلى السكون في الليل وإلى الانتشار في النهار، فجعلت رؤية أثر الجعل بمنزلة رؤية ذلك الجعل وهذا واسع في العربية أن يجعل الأثرمحل المؤثر، والدال محل المدلول[٤٣٠]. وقال سيد قطب: ومشهدُ الليل الساكن، ومشهد النهار المبصر، خليقان أن يوقظا في الانسان وجداناً دينياً يجنحُ إلى الاتصال بالله، الذي يقلِّب الليل والنهار، وهما آيتان كونيَّتان لِمَن استعدَّت نفسه للايمان، ولكنهم لايؤمنون[٤٣١]، وقيل: لقد شاهدوا أن الله جعل الليل ليستريحوا فيه[٤٣٢]. وقال الجزائري: وسكونهم هو موتهم على فرشهم بالنوم فيه[٤٣٣]، وقيل: ألم ير هؤلاء المكذبون بآياتنا أنا جعلنا الليل يستقرُّون فيه وينامون[٤٣٤]، وقال الزحيلي: جعلنا الليل مظلما ليسكنوا فيه، والنهار مبصرا ليتصرفوا فيه...، وقال أيضاً: ألم يعلم هؤلاء المكذبون بآياتنا أنّا خلقنا الليل للسّكنِ والنّومِ والراحةِ والقرارِ بعد عناء التعب في النهار[٤٣٥]، وقال الصابوني: ألم يرَوا قدرة الله فيعتبروا أنّه تعالى جعل الليل مُظلِماً لينامو ويستريحوا من تعب الحياة[٤٣٦]، وقيل: هومن السكون وهو ضد الحركة[٤٣٧].

وفي الختام نرى أنّ(لِيَسۡكُنُواْ) تأتي بمعنى الإستراحة والإستقرار والنوم والقرار والسكون. وكلها معاني متقاربة.

سادساً: الليل سكينة للناس، مرة رابعة:

قال تعالى ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ

(٤٣٠) ابن عاشور، التحرير والتنوير: ١٩ / ٣١٥ .

(٤٣١) سيدقطب، في ظلال القرآن : ٦ / ٣١٠ .

(٤٣٢) نخبة من العلماء، المنتخب في تفسير القرآن الكريم: ٢ / ١٧١ .

(٤٣٣) الجزائري، أيسرالتفاسير لكلام العلي الكبير: ٣ / ١٥١ .

(٤٣٤) نخبة من اساتذة التفسير، التفسيرالميسّر : ٧ / ٣٢ .

(٤٣٥) الزحيلي، التفسيرالمنير: ٢٠/ ٣٤، ٣٧ .

(٤٣٦) الصابوني، صفوة التفاسير: ٢ / ٢٨٦ .

(٤٣٧) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل.ص: ٤٩٩ .

تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾(القصص: ٧٢/٢٨).

لقد أنعم الله على بني آدم بتقسيم الزمن إلى قسمين يعمل ويتعب في احداهما وهي النهار، وينام ويستريح ويهدأ ويسكن في الأخرى وهي الليل.

في هذه الاية الكريمة تأتي كلمة(تَسۡكُنُونَ) بتستقرّون وتستريحون، وتهدئون.

قال الطبري في تفسير(تَسۡكُنُونَ)أي: تستقرّون، وتهدأون فيه[٤٣٨]، وقال السمرقندي: يعني: تقرّون وتريحون فيه[٤٣٩]، وقال الزمخشري: (وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ) زواجٌ بين الليلِ والنهارِ لأغراضٍ ثلاثة: لتسكنو في احدهما وهو الليل، ولتبتغوا من فضلِ اللهِ في الآخر وهو النهارُ، ولارادة شكركم[٤٤٠]، وقال ابن الجوزي: تستريحون من الحركة والنَّصَب[٤٤١]، وفسّر القرطبيّ بأنها تعني: تستقرون فيه من النصب[٤٤٢]، وتابع النّسفيُّ الزّمخشريّ بقوله: ولم يقل بنهار تتصرفون فيه كما قال بليل تسكنون فيه لأنّ غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه[٤٤٣]. ولخّص ابن كثير بقوله: يقول تعالى ممتنا على عباده بما سخّر لهم من الليل والنهار اللذينِ لا قوام لهم بدونِهما، وبين أنه لو جعل الليل دائما عليهم سرمدا إلى يوم القيامة لأضرَّ ذلك بهم، ولَسَئِمَتْهُ النفوس وانحصرت منه، ولهذا قال تعالى﴿ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ﴾ (القصص: ٧١/٢٨)، أي تبصرون به وتستأنسون بسببه، ثم أخبر تعالى: أنه لو جعل النهر سرمدا أي: دائما مستمرا الى يوم القيامة، لأضر ذلك بهم، ولَتَعِبَت الأبدان وكلَّتْ من كثرة الحركات والأشغال، ولِهذا قال تعالى:﴿مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ ﴾ أي: تستريحون من حركاتكم وأشغالكم[٤٤٤]، ورأى البيضاوي أنها: استراحة عن متاعب الاشغال، ولعلّه لم يصف الضياء بما يقابلهُ، لأنّ الضوءَ نعمةٌ في ذاتهِ مقصودٌ بنفسهِ، وكذلك الليل حيث قال﴿تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ ﴾، ولأن

(٤٣٨) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن:٢٠ / ٦٦ .

(٤٣٩) السمرقندي، بحرالعلوم: ٣ / ٣٢٧ .

(٤٤٠) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٤٢٨/٣ و٤٢٩ .

(٤٤١) ابن الجوزي، زاد المسير: ٥ / ٥٨ .

(٤٤٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن:٣٠٨/١٣ .

(٤٤٣) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٢٤٤/٢ .

(٤٤٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٤٠٢/٣ .

منافع الضوء أكثر مما يقابله، ولذلك قرن به(افلا تسمعون)[٤٤٥]. وقال السيوطي: تستريحون من التعب[٤٤٦]، وأما الشوكاني فيقول: تستقرون فيه من النصب والتعب وتستريحون مما تزاولون من طلب المعاش والكسب[٤٤٧]. وقال ابن عاشور: ووصف الليل بـ﴿تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ﴾ إدماج للمنة في أثناء الاستدلال للتذكير بالنعمة المشتملة على نعم كثيرة وتلك هي نعمة السكون فيه فإنها تشمل لذة الراحة، ولذة الخلاص من الحَرِّ، ولذة استعادة نشاط المجموع العصبي الذي به التفكير والعمل، ولذة الامن من العدوّ[٤٤٨]. وقال سيد قطب: والناس يستروحون الظلال حين يجول عليهم الهجير ساعات من النهار ويحنّون إلى الليل حين يطولُ النهارُ بعض ساعات في الصيف، ويجدون في ظلام الليل وسكونه الملجأ والقرار، والحياة كلها تحتاج إلى فترة الليل لتجدد ما تنفقه من الطاقة في نشاط النهار[٤٤٩]، وقيل: قل يا أيها الرسول للناس: إن جعل الله عليكم النهار متتابعاً دون ليل إلى يوم القيامة، فهل لكم إله سوى الله يأتيكم بليل تستريحون فيه من عمل النهار؟ ليس لكم ذلك، فلماذا لا تبصرون آيات الله فتؤمنوا وتهتدوا؟[٤٥٠]، وقال الجزائري: أي تنامون فتسكن جوارحكم فتستريح من تعب الحياة[٤٥١]، وفسّرهُ الزحيلي بقوله: تستقرون وتستريحون فيه من متاعب الاشغال، ويقول أيضا: فَمَن ذلكَ الالهُ غيرُ اللهِ يستطيع الاتيان بليل تستقرّون وتستريحون فيه من عناء التعب[٤٥٢].

وفي الختام نرى أنّ في هذه الايةالكريمة تأتي كلمة(تَسۡكُنُونَ)بمعنى تستقرّون وتستريحون، وتهدئون. وذلك لأنّ مناط الليل المظلم الدامس هو الإستقرار والسكون والإستراحة والنوم والقرار بعد التعب والعمل الكثير في النهار.

---

(٤٤٥) البيضاوي، أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل: ٢٠٠/٢ .

(٤٤٦) السيوطي والمحلي، تفسيرالجلالين.ص:٥٢١.

والآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١٥ / ١٨٠ .

(٤٤٧) الشوكاني، فتح القدير: ٢٦٣/٤ .

(٤٤٨) ابن عاشور، التحرير والتنوير: ٢٠ / ١٠٠ .

(٤٤٩) سيدقطب، في ظلال القرآن : ٣٧٠/٦ .

(٤٥٠) نخبة من العلماء، المنتخب في تفسير القرآن الكريم: ٢ / ١٨٧.

ونخبة من اساتذة التفسير، التفسير الميسر: ٧ / ١٠٦ .

(٤٥١) الجزائري، أيسرالتفاسير لكلام العلي الكبير: ٣ / ١٨٢ .

(٤٥٢) الزحيلي، التفسيرالمنير: ٢٠/ ١٥٢و١٥٤ . والصابوني، صفوة التفاسير: ٣٠٣/٢ .

سابعاً: الليل سكينة للناس، مرة خامسة:

قال تعالى﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(القصص: ٧٣/٢٨).

تأتي كلمة(لِتَسْكُنُوا۟) في هذه آية الكريمة بمعنى تستقرّوا وتستريحوا، ولتسكنوا فيه، وذلك حسب آراء المفسرين.

لقد منّ الله سبحانه وتعالى علينا بنِعَم كثيرة لاتعدّ ولا تُحصى رحمة بنا ولكي نشكروه على هذه النِّعَم، ومن هذه النعم هي تقسم الزمان على قسمين، قسم يصلح للعمل وكسب المعيشة، والبحث عن مصادر العيش، وهي اليوم أي النهار، والآخر تصلح للإستراحة فيها والنوم والقرار والسكون، وهي الليل، ولامتحاننا أيضاً، هل نشكرالله على هذه النعم، أم لا؟

قال الطبري:﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ﴾بكم أيها الناس﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾، فخالف بينهما فجعل هذا الليل ظلاما ﴿لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ وتهدأوا وتستقرّوا لراحة أبدانكم فيه من تعب التصرف الذي تتصرّفون نهاراً لمعايشكم(٤٥٣)، وقيل: في﴿لِتَسْكُنُوا۟ ﴾ قولان: أحدهما: أنّ المعنى ليسكنوا في الليل، ولتبتغوا من فضله بالنهار، والآخر: أن يكون المعنى لتسكنوا فيها، وقال فيه لأنّ الليل والنهار ضياء وظلمة(٤٥٤). وقال الزمخشري:﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ زواجٌ بين الليل والنهار لأغراض ثلاثة: لتسكنو في أحدهما وهو الليل، ولتبتغوا من فضل الله في الآخر وهو النهار، ولإرادة شكركم(٤٥٥)، وقيل: التقدير جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار لتبتغوا من فضله، ولكن مزَجَ اعتماداً على فهم المعنى(٤٥٦)، وقال القرطبي: الضمير للزمان، وهوالليل والنهار(٤٥٧)، وقال بعضُهم: لتسكنوا بالليل ولتبتغوا من فضل الله في النهار ويجوز أنْ يكون معناه لتسكنوا فيها، ولتبتغوا من فضل الله فيها ويكون المعنى

---

(٤٥٣) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن:٢٠ / ٦٦

(٤٥٤) النحّاس، معاني القرآن : ٥ / ١٩٥

(٤٥٥) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٣ / ٤٢٨ و ٤٢٩.

ونخبة من العلماء، المنتخب في تفسير القرآن الكريم: ٢ / ١٨٧ .

(٤٥٦) العكبري، التبيان في اعراب القرآن : ١٠٢٥/٢

(٤٥٧) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ١٣ / ٣٠٨

جعل لكم الزمان ليلاًونهارا لتسكنوا فيه، ولتبتغوا من فضله فيه[٤٥٨]، وعند ابن كثير: من فاته شيء بالليل استدركه بالنهار، أوبالنهار استدركه بالليل[٤٥٩]، وقال البقاعي: فلاتسعوا في معاشكم[٤٦٠]، وهكذا قال الشوكاني: واعلم أنّه وإن كان السكون في النهار ممكناً، وطلب الرزق في الليل ممكناً وذلك عند طلوع القمر على الأرض، أوعند الاستضاءة بشيء بما له نور كالسراج، لكن ذلك قليلٌ نادرٌ مخالفٌ لِما يألفُه العباد فلا اعتبار به[٤٦١]، وقال سيد قطب: فالليل سكينة وقرار، والنهار نشاط وعمل، والمتّجه فيه إلى فضل الله، فما يعطي الناس شيئاً إلاّمن فضله[٤٦٢]، وقال الزحيلي: ومن رحمته بكم أيّها الخلق تعاقب الليلل والنهار وتفاوتهما، فجعل لكم الليل ظلاما للراحة والسكن والاستقرار وهدوء النفس من عناء العمل النهاري[٤٦٣]. وقال ابن عادل: نبَّه بذلك على كون الليل والنهار نعمتان متعاقبتان على الزمان، ووجهه أن المرء في الدنيا مضطرٌّ إلى أن يتعب لتحصيل مايحتاج إليه ولايتم ذلك إلا براحة وسكون بالليل ولابدمنهاوالحالة هذه[٤٦٤] وقيل:ومن رحمته بكم أيهاالناس أن جعل لكم الليل والنهار فخالف بينهما،فجعل هذاالليل ظلامًا لتستقروا فيه وترتاح أبدانكم[٤٦٥]، وقال الصابوني: لتستريحوا بالليل من نصب الحياة وهمومها وأكدارها، ولتلتمسوا من رزقه بالمعاش والكسب في النهار[٤٦٦].

وفي الختام تبين للبحث أنّ كلمة(لِتَسۡكُنُواْ) في هذه آية الكريمة تأتي بمعنى تستقرّوا وتستريحوا، ولتسكنوا فيه، وذلك حسب آراء المفسرين.

ثامناً: الليل سكينة للناس، مرة سادسة:

يقول سبحانه وتعالى﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى

(٤٥٨) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل:٢٤٤/٢. و ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل.ص: ٥٠٠.
والبيضاوي، أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل: ٢٠٠/٢. والسيوطي والمحلي، تفسيرالجلالين.ص:٥٢١.
(٤٥٩) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٣ / ٤٠٢ .
(٤٦٠) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٦ / ٢٠٧ .
(٤٦١) الشوكاني، فتح القدير: ٤ / ٢٦٤ .
(٤٦٢) سيدقطب، في ظلال القرآن : ٦ / ٣٧٠ .
(٤٦٣) الزحيلي، التفسيرالمنير: ٢٠ / ١٥٤ .
(٤٦٤) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: ١٢ / ٤٠١ .
(٤٦٥) نخبة من اساتذة التفسير، التفسير الميسر: ٧ / ١٠٧ .
(٤٦٦) الصابوني، صفوة التفاسير: ٢ / ٣٠٣ .

ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾(غافر: ٦١/٤٠).

مرّة أخرى يُذَكِّرُنا الله ﷻ بنعمة الليل الذي جعله لنا كي نسكن فيها، ويُجيب ﷻ بنفسه ويقول ولكن الاكثرية من ذرية آدم الذي أنعم الله عليهم لا يشكرونه على نعمائه ولا يذكرونه ولا يعترفون بأنه نعمة من الله الخالق الأحد.

في هذه الاية الكريمة تأتي كلمة(لِتَسۡكُنُواْ) بمعنى لتستقرّوا او تستريحوا، لأن الله سبحانه وتعالى جعل الليل للسكون والراحة والاستقرار. وندرج رأي المفسرين على ذلك.

قال الطبري: يعني الله الذي لاتَصلُحُ الألُوهةُ إلاّ لَهُ، ولا تنبغي العبادة لغيره، الذي صفته أنه جعل لكم أيها الناس سكنا لتسكنوا فيه، فتهدأوا من التصرف والاضطراب للمعاش، والاسباب التي كنتم تتصرفون فيها في نهاركم[٤٦٧]، وقال السمرقندي: أي لتستقروا فيه، وتستريحوا فيه[٤٦٨]، وقال الماوردي: فيه ثلاثة أوجه: أحدها: لتستريحوا فيه من عمل النهار. الثاني: لتكفوا فيه عن طلب الأرزاق. الثالث: لتحاسبوا فيه أنفسكم على ما عملتم بالنهار[٤٦٩]. ورأى الزمخشري أنها: لو قيل ساكنا والليل يجوز أن يوصف بالسكون على الحقيقة من المجاز، ألا ترى إلى قولهم: (ليل ساجٍ)، (وساكن لاريح فيه) لم تتميَّز الحقيقة من المجاز[٤٧٠]. وقال النسفي: قَرَنَ الليلَ بالمفعولِ لهُ والنهار بالحالِ ولم يكونا حالين أومفعولاً لهما رعاية لِحقِّ المقابلة لأنهما متقابلان معنى، لأن كل واحدٍ منهما يؤدي مؤدّى الآخر، ولأنه لوقيل لِتبصروا فيه فأتَت الفصاحة التي في الاسناد المجازي، ولو قيل ساكناً لتتميز الحقيقة من المجاز، إذ الليل يوصف بالسكون على الحقيقة[٤٧١]. وقال الخازن: أي لتحصل لكم الراحة فيه بسبب النوم والسكون[٤٧٢]. وقال ابن كثير: يقول تعالى ممتنا على خلقه بما جعل لهم من الليل الذي يسكنون فيه يستريحون من حركات تردُّدِهم في المعايش بالنهار[٤٧٣]. وعند البيضاوي: لتستريحوا فيه، بأن خلقه بارداً مظلماً لِيودي إلى ضعف الحركات وهدوء الحواس[٤٧٤]،

---

(٤٦٧) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن: ٢٤ / ٥٢ .

(٤٦٨) السمرقندي، بحرالعلوم: ٤ / ٦٣ .

(٤٦٩) الماوردي، النكت والعيون: ٤/ ٤٣ . وابن عبدالسلام، تفسير ابن عبد السلام: ٥/ ٣٨٦.

(٤٧٠) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٤ / ١٧٦ .

(٤٧١) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٢ / ٨٣ .

(٤٧٢) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل: ٥ / ٣٤١ .

(٤٧٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٨٤/٤ .

(٤٧٤) البيضاوي، أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل: ٣٤٠/٢ .

وذكر الفيروزآبادي أنّ ابن عباس(ﷺ) قال في تفسيرها: لتستقروا في الليل[٤٧٥]. وقال البقاعي: راحة ظاهرية بالنوم الذي هو الموت الاصغر، وراحة حقيقية بالعبادة التي هي الحياة الدائمة[٤٧٦]، وذهب الشوكاني إلى أنّ مِن الحركات في طلب الكسب لكونه جعله مظلماً بارداً تُناسِبُه الراحة بالسكون والنوم[٤٧٧]، وقال الآلوسي: لتستريحوا فيه بأن اغاب سبحانه فيه الشمس فجعله جل شأنه بارداً مظلماً وجعل عز وجل برده سبباً لضعف القوى المحركة وظلمته سبباً لهدو الحواس الظاهرة إلى أشياء أخرى جعلها أسباباً للسكون والراحة[٤٧٨]، وقال ابن عاشور: ومن مصالح سكان العالم سكون الانسان والحيوان في الليل، لاسترداد النشاط العصبي الذي يُعييه عمل الحواس والجسد في النهار، فيعود النشاط إلى المجموع العصبي في الجسد كله وإلى الحواس، ولولا ظلمة الليل لكان النوم غير كامل فكانَ عود النشاط بطيئاً وواهناً ولعاد على القوة العصبية بالانحطاط والاضمحلال في أقرب وقت فلم يتمتع الانسان بعمر طويل[٤٧٩]، وقال سيد قطب: إنّ السكون بالليل ضرورة لكل حيّ، ولابدَّ من فترة من الظلام تسكنُ فيه الخلايا الحية وتسكن لِتزاول نشاطها في النور، ولايكفي مجرد النوم لتوفير هذا السكون، بل لابدَّ من ظلام، فالخلية الحية التي تتعرض لِضوءٍ مُستمرٍ تصل إلى حد من الاجهاد تتلفُ معه أنسجتها، لأنها لم تتمتَّع بقسطٍ ضروري لها من السكون، وتقلُّبُ الليل والنهار على هذا النحو نعمة في طيّها نِعم[٤٨٠]، ويرى ابن عادل أنّ الله بيّن أن الحكمة في خلق الليل حصولُ الراحة بالنوم والسكون[٤٨١]، وقال السيد طنطاوي: الله تعالى هو وحده الذى جعل لكم أيها الناس الليل لتسكنوا فيه، وتستريحوا من عناء العمل بالنهار وهيأه لهذه الاستراحة بأن جعله مظلما ساكنا[٤٨٢]. وقيل: الله وحده الذى جعل لكم الليل لتهدأوا فيه وتستريحوا من العمل، والنهار مضيئاً لتعملوا فيه، إن الله لصاحب فضل عظيم على الناس، ولكن أكثرهم لا يشكرونه على نعمه[٤٨٣]، وقال الجزائري: لتنقطعوا عن الحركة فتستريحوا[٤٨٤]، وذكر الزحيلي: أنّ الله تعالى

---

(٤٧٥) فيروزآبادي، تنويرالمقباس من تفسير ابن عبّاس. ص: ٢٩٤ .

(٤٧٦) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٧ / ٣٣٥ .

(٤٧٧) الشوكاني، فتح القدير: ٤/٧١٠ .

(٤٧٨) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١٨ / ١٢١ .

(٤٧٩) ابن عاشور، التحرير والتنوير: ٢٤ / ٢٣١ .

(٤٨٠) سيدقطب، في ظلال القرآن : ٧/٢١٠ .

(٤٨١) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: ١٤ / ١١ .

(٤٨٢) محمد سيدطنطاوي، الوسيط: ١ / ٣٧١٤ .

(٤٨٣) نخبة من العلماء، المنتخب في تفسير القرآن الكريم: ٢ / ٣٢٦ .

(٤٨٤) الجزائري، أيسرالتفاسير لكلام العلي الكبير: ٣ / ٤٦١ .

أوجد تعاقب الليل والنهار، فجعل الليل بارداً مظلما للسكون والنوم والراحة وتجديد النشاط والحيوية من عناء النهار[٤٨٥].

وفي الختام نرى أنّ (لِتَسۡكُنُواْ) تأتي بمعنى: لتستريحوا، أو تسكنوا وتستقرّوا، أو تنقطعوا عن الحركة، لأن الله سبحانه وتعالى جعل الليل ساكناً مظلماً لكي نستريح ونستقرّ ونهدأ.

(٤٨٥) الزحيلي، التفسيرالمنير: ٢٤/ ١٥١ و ١٥٢. والصابوني، صفوة التفاسير: ٣ / ٧٧ .

المبحث الثالث

السكينة في الحياة الزوجية والحياة العادية

يريدالله سبحانه وتعالى حياة هادئة مطمئنة لعباده لذلك اوجد لهم كل وسائل الراحة والسكينة والإطمئنان في الدنيا، وقد تحدّث الله سبحانه وتعالى في موضعين في القرآن الكريم عن السكينة بسبب التقارب والتعايش بين الرجل والمرأة، وذلك بسبب ميل كل جنس الى جنسه، وشرع الله تبارك وتعالى التزاوج بينهمالتتمّ ذلك الإسكان والاطمئنان.

نحن نعلم أنّ الله عندما خلق الانسان لم يخلقه عبثا، بل خلق له كل مايحتاجه في حياته وأنعم عليه بأنواع النعم من جميع نواحي الحياة، يتحدث سبحانه وتعالى في هذه الآية عن نعمة أخرى، وهي النصف الآخر للرجل الذي يحتاجه في حياته، بل شريكه في إدامة الحياة، من حيث الانجاب والنسل، وفي إدارة البيت أوفي اطمئنان أحدهما وتسكين بعضهما عند بعض، وتفكيك عُقَد الحياة بعضهما لبعض، وذلك نعمة أنعمها الله على بني آدم، ولولا هذه النعمة لما أدام الحياة هكذا.

وقد سَنَّ اللهُ سبحانه وتعالى التزاوج بين الذكر والأُنثى، لِدَيمومة الحياة على هذا الكوكب، وأشار إلى هذه الآية أكثر من مرّة في كتابه العزيز، منها ماجاء في سورة الاعراف عندما يتحدث سبحانه وتعالى عن وسيلة للسكون والراحة والهدوء النفسي والبدني للانسان، وهي مخلوق من جنسه، ولحمه ودمه، ليذهب عنه الحزن والتعب والارهاق والتوتُر العصبي، ومشاق العمل اليومي من العناء والكدّ، ألا وهي الزوجة، التي تحمل مع الرجل أعباء الحياة وتربية الاولاد ولذلك تُعَدُّ نعمة من نِعَمِ الله تعالى علينا.

أوّلاً: الزوجة سكينة لقلب الرجل، وهي أمُّ الأولاد:

قال تعالى﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٨/٧).

في هذه الاية الكريمة تأتي كلمة(لِيَسْكُنَ) بعدة معاني، منها الميل والالف والسكون، أو الطمأنينة والإستئناس، أوالجماع. وسنأتي على ذكر آراء العلماء والمفسرين.

يقول الطبري: قال قتادة:﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ ليأوي إليها لقضاء حاجته ولذّته[٤٨٦]، وقال السمرقندي: (آدم) هوالمرادبـ(النفس) هنا، ولما كان الزوج هنا هوالمرأة أنث الضمير فقال﴿إِلَيْهَا﴾ وتنقلكم من ذلك السكون منه إليها لأن النفس إلى الجنس أميل وعليه أقبل، ولاسيما إن كان بعضاً، ألاترى إلى محبة الوالد لولده والقريب لقريبه، وإنما منع سبحانه من نكاح الاصل والفرع لما في ذلك من الضرار وغيره من الحكم الكبار، فيغشاها عند ما يسكن إليها فيحصل الحبل والولادة فتتفرع النفوس من تلك النفس، والسكون: هنا كناية عن الجماع[٤٨٧]. قال السعدي: خلق من(آدم) زوجته(حواء) لأجل أن يسكن إليها لأنها إذا كانت منه حصل بينهما من المناسبة والموافقة مايقتضي سكون أحدهما إلى الآخر، فانقاد كل منهما إلى صاحبه بزمام الشهوة[٤٨٨]، وقال ابن الجوزي: ليأنس بها ويأوي إليها[٤٨٩]، وقال الزمخشري: لِيطمئنَّ إليها، ويميل ولاتنفر، لأنّ الجنس إلى الجنس أمْيَلُ وبه آنسُ، وإذا كانت بعضاً منه كان السكون والمحبة أبلغ، كما يسكن الإنسان إلى ولده ويحبه محبة نفسه، لكونه بضعة منه، وقال﴿لِيَسْكُنَ﴾ فذكّر بعدما أنّثَ في قوله (واحدة)، ﴿مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ ذهاباً إلى معنى النفس لِيبين أنّ المراد بها آدم، ولأن الذّكَرَ هوالذي يسكن إلى الأُنثى ويتغشّاها، فكان التذكير أحسن، طباقا للمعنى[٤٩٠]، وقال ابن عبد السلام: ليأوي، أو ليألفها ويعطف عليها[٤٩١]، ويقول القرطبي: ليأنس بها ويطمئنَّ، وكان هذا كلُّهُ في الجنة، ثمّ ابتدأ بحالة أُخرى هي في الدنيا بعد هبوطهما[٤٩٢]. وعند الكلبي: ليميل إليها ويستأنس بها[٤٩٣]، وقال أبوحيّان: ليطمئن ويميل ولاينفر لأنّ الجنس إلى الجنس أمْيَل وبه آنس وإذا كان منها على حقيقته فالسكون والمحبة أبلغ[٤٩٤].

---

(٤٨٦) ابن عبدالسلام، تفسير ابن عبد السلام ٩ / ٩٧ .

(٤٨٧) السمرقندي، بحرالعلوم: ٢ / ١٧١. والبقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٣ / ٣٢٠ .

(٤٨٨) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ١ / ٣١١ .

(٤٨٩) ابن الجوزي، زاد المسير: ٦٧/٣. والبغوي، معالم التنزيل: ٢٥٧/٢.

والسيوطي والمحلي، تفسيرالجلالين.ص: ٢٣١ .

(٤٩٠) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ١٨٦/٢.

(٤٩١) ابن عبدالسلام، تفسير ابن عبد السلام: ٢ / ١٩٤ .

(٤٩٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ٣٣٧/٧. والنسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٨٩/٢/١ .

(٤٩٣) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل.ص: ٢٥١ .

(٤٩٤) الأندلسي، البحرالمحيط: ١٠/٦.

وقال البيضاوي: لِيستأنس بها ويطمئنّ إليها اطمئنان الشيء إلى جزئه أوجنسه[٤٩٥]، وقال أبوالسعود: أي ليستأنسَ بها ويطمئِنّ إليها اطمئناناً مصححاً للازدواج[٤٩٦]. وقال الشوكاني﴿لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ ﴾ علة لـ﴿وَجَعَلَ ﴾أي: جعله منها لأجل أن يسكن إليها، يأنس إليها ويطمئنّ بها فإن الجنس بجنسه أسكن وإليه آنس[٤٩٧]، وقال الآلوسي: ليستأنس بها ويطمئن إليها، والضمير المستكن للنفس، وكان الظاهر التأنيث لأن النفس من المؤنثات السماعية ولذا أنثت صفتها إلا أنه ذكر باعتبار أن المراد منها آدم ولو أنث على الظاهر لتوهم نسبة السكون إلى الأنثى والمقصود خلافه[٤٩٨]، وقال ابن عاشور: والسكون مجاز في الاطمئنان والتأنس، أي: جعل من نوع الرجل زوجه ليألفها ولايجفو قربها، ففي ذلك منة الايناس بها، وكثرة ممارستها لينساق إلى غشيانها، فلوجعل الله التناسل حاصلاً بغير داعي الشهوة لكانت نفس الرجل غير حريصة على الاستكثار من نسله، ولو جعله حاصلاً بحالة ألم لكانت نفس الرجل مقلة منه، بحيث لا تنصرف إليه إلاّ للاضطرار بعد التأمل والتردد، كما ينصرف إلى شرب الدواء ونحوه، وفُرع عنه بفاء التعقيب مايحدث عن بعض سكون الزوج إلى زوجه وهو الغشيان[٤٩٩]، ويقول مقاتل: يعنى خلق من ضلع آدم زوجه حواء، يوم الجمعة وهو نائم، فاستيقظ آدم وهى عند رأسه، فقال لها: من أنت؟ فقالت بالسريانية: أنا امرأة، فقال آدم: فلم خلقت؟ قالت: لتسكن إلىَّ، وكان وحده فى الجنة، قالت الملائكة: يا آدم، ما اسمها؟ قال: حواء، لأنها خلقت من حي، وسمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض كلها، من العذبة، والسبخة من الطينة السوداء، والبيضاء، والحمراء، كذلك نسله طيب وخبيث، وأبيض وأسود وأحمر[٥٠٠]، وقال ابن عادل: ليأنس بها ويأوي إليها، قالوا: والحكمة في كونها مخلوقة من نفس آدم: أنَّ الجنسَ أميل إلى جِنْسهِ[٥٠١]، وقال بعض المفسرين: هو اللَّه الذى أنشأكم من نفس واحدة، وجعل من جنسها زوجها، واستمرت سلالتهما فى الوجود، وكنتم زوجاً وزوجة، فإذا تغشاها حملت محمولاًخفيفا هوالجنين عند كونه علقة ومضغة، فلما ثقل الحمل فى بطنها دعا الزوج والزوجة ربهما قائلين:

---

(٤٩٥) البيضاوي، أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل:٣٨٠/١.

وابن عجيبة، البحرالمديد في تفسير القرآن المجيد : ٢ / ٣٢٢ .

(٤٩٦) أبوالسعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ٣ / ٨١. وحقي، تفسيرحقي: ٣٤٥/٤.

(٤٩٧) الشوكاني، فتح القدير: ٣٩٩/٢ .

(٤٩٨) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٦ / ٤٧٥ .

(٤٩٩) ابن عاشور، التحرير والتنوير: ٨ / ٢٣٤ . والثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن. : ٢ / ٨٦ .

(٥٠٠) مقاتل، تفسيرمقاتل: ٢ / ١٩ .

(٥٠١) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: ٨ / ٨٤ .

والله لئن أعطيتنا ولدا سليما من فساد الخلقة، لنكوننّ من الشاكرين لنعمائك[٥٠٢]، وقال سيدطنطاوي: ليطمئن إليهاويميل ولاينفر، لأن الجنس إلى الجنس أميل وبه آنس، وإذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة أبلغ، كما يسكن الانسان إلى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه[٥٠٣]، وعند الجزائري: ليألفها ويأنس بها لكونها من جنسه[٥٠٤]، وقيل: ليأنس بها ويطمئن[٥٠٥]. وقال المصطفوي: انّ المادة اذا استعملت بحرف الى وتعدّيت به: تكون بمعنى الاطمينان والاتّكاء، أي استقرار مرتبطا اليه ومتعلّقا به ومستنداً اليه، في حياته ومعيشته[٥٠٦].

وفي الختام نستحسن رأي العلماء الذين يقولون بأن﴿لِيَسۡكُنَ﴾ تأتي بمعنى ليستأنس بها ويطمئنّ وذلك لأن من سنّة الله في الخلق أنّ الرجل يستأنس الى زوجته ويطمئن اليها.

ثانياً: الزوجة الودودة الحنونة سكينة لقب زوجها:

يقول سبحانه وتعالى:﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةٗۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(الروم: ٢١/٣٠).

في هذه الاية الكريمة تأتي كلمة(لِّتَسۡكُنُوٓاْ) بمعنى ليسكن اليها، أولتستقرّ قلوبكم، وتستأنس أويطمئنّ، أوليأووا اليها، أومال اليه، أوتألفوا. وسنأتي على ذكر آراء المفسرين.

قال الطبري في تفسير ﴿لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا ﴾ ومن حُجَجِهِ وأدلّتِه على ذلك أيضاً خلقه لأبيكم آدم من نفسه زوجة ليسكن إليها، وذلك أنّهُ خلق حواء من ضلع من أضلاع آدم، وقوله﴿إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةٗ﴾جعل بينكم بالمصاهرة و الختونة مودة تَتَوادّون بها وتَتَواصلونَ من أجلها

---

(٥٠٢) نخبة من العلماء، المنتخب في تفسير القرآن الكريم: ١ / ٢٧٨ .

(٥٠٣) محمد سيد طنطاوي، الوسيط: ١ / ١٧٥٢ .

(٥٠٤) الجزائري، أيسرالتفاسير لكلام العلي الكبير: ٢ / ٢٥ .

(٥٠٥) نخبة من اساتذة التفسير، التفسير الميسر: ٣ / ١٥٠. والزحيلي، التفسيرالمنير: ٢٠٠/٩.
والصابوني، صفوة التفاسير: ٣٣٣/١ .

(٥٠٦) المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم : ٥ / ١٩٩ .

ورحمة رحمكم بها، فعطف بعضكم بذلك على بعض[٥٠٧]، وقال النحاس﴿لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا﴾فيه قولان،

أحدهما: أنّ حواء خُلِقَت من آدم، والآخر: أنّ المعنى خلق لكم من جنسكم أزواجاً، لأنّ الانسان بِجِنسِهِ آنسُ وإليه أسكن[٥٠٨]، وقال السمرقندي: يعني: لتستقر قلوبكم عندها، لأن الرجل إذا طاف البلدان، لا يستقرقلبه، فإذا رجع إلى أهله، اطمأنّ واستقرّ، ويقال أنّها تعني: لتوافقوها[٥٠٩]، وذهب الخطيب الاسكافي إلى القول بأنّه خلق لكم مِن جنسكم وشكلكم نساء، وهذا أدعى إلى الأُلفة والمحبّة، لِوجود المشاكلةِ، إذ يطمئنُّ القلب إليها، ونعمة الهدوءِ والسكينة التي يشعرون بها عند وصولهم إلى البيت[٥١٠]، وعند الماوردي: لتأنسوا إليها لأنه جعل بين الزوجين من الانسية مالم يجعله بين غيرهما[٥١١]، ويقول البغوي: جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادّان ويتراحمان، وما شيء أحبّ إلى أحدهما من الآخر غير رحم بينهما[٥١٢]، وقال الزمخشري: وذلك لِما بين الاثنين من جنس واحد من الالف والسكون، ومابين الجنسين المختلفين من التنافُر...، ويقال: سكن إليه إذا مال إليه، كقولهم: انقطع إليه واطمأن إليه، ومنه السكن، وهوالالف المسكون إليه[٥١٣]، وقال ابن الجوزي: لتأووا إلى الازواج[٥١٤]، ويقول الرازي: يعني أن الجنسين الحيين المختلفين لايسكن أحدهما إلى الآخر أي لا تثبت نفسه معه ولايميل قلبه إليه، ويقال سكن إليه للسكون القلبي ويقال سكن عنده للسكون الجسماني، لأن كلمة عند جاءت لظرف المكان وذلك للاجسام وإلى للغاية وهي للقلوب[٥١٥]، وذهب القرطبي إلى أنّ: أول ارتقاء الرجل بالمرءة سكونه إليها مما فيه من غليان القوة، وذلك أن الفرج إذا تحَمّلَ فيه هيّج ماء الصلب إليه، فإليها يسكن وبها يتخلّص من الهياج، وللرجال خلق البضع منهن، إنّ الرجل أصله من الأرض، وفيه قوة الأرض، وفيه الفرج الذي منه

---

(٥٠٧) الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن: ٢١ / ٢١ .

(٥٠٨) النحاس، معاني القرآن : ٥ / ٢٥٢ .

(٥٠٩) السمرقندي، بحرالعلوم: ٣ / ٣٥٦ .

(٥١٠) الخطيب الإسكافي، محمد بن عبدالله(ت٤٢٠هـ)، درّة التنزيل وغرّة التأويل، دارالآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٣م. ص: ٣٦٨ .

(٥١١) الماوردي، النكت والعيون: ٣/ ٣١٥. وابن عبدالسلام، تفسير ابن عبد السلام: ٤/ ٤٣٩.

(٥١٢) البغوي، معالم التنزيل: ٣ / ٥٧٥ .

(٥١٣) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٣ / ٤٧٢ و ٤٧٣ .

و النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٢ / ٢٦٩ .

(٥١٤) ابن الجوزي، زاد المسير: ٥ / ٩٤ .

(٥١٥) فخرالدين الرازي، مفاتيح الغيب: ١٢ / ٢٢٥ .

بديء خلقه فيحتاج إلى سكن، وخلقت المرأة سكناً للرجل[٥١٦]، وقال أبوحيّان: وعلل خلق الازواج بالسكون إليها، وهو الالف، فمتى كان من الجنس، كان بينهما تآلف، بخلاف الجنسين، فإنه يكون بينهما التنافر، وهذه الحكمة في بعث الرسل من جنس بني آدم، سكن إليه: مال، ومنه السكن: فعل بمعنى مفعول[٥١٧].

وقال الخازن: لتميلوا للازواج وتألفوهن[٥١٨]، وقال ابن كثير: خلق لكم من جنسكم إناثا يكن لكم أزواجا﴿لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا﴾.كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ﴾(الأعراف: ١٨٩/٧). يعني بذلك حواء، خلقها الله من آدم من ضلعه الأقصر الأيسر، ولو أنه تعالى جعل بني آدم كلهم ذكوراً وجعل إناثهم من جنس آخر إما من جان أوحيوان، لَماحصل هذا الائتلاف بينهم وبين الازواج، بل كانت تحصل نفرة لوكانت الازواج من غير الجنس، ثم من تمام رحمته ببني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم، وجعل بينهم وبينهنّ مودة وهي المحبة، ورحمة وهي الرأفة، فانّ الرجل يمسك المرأة إنما لمحبته لها أولِرحمة بها بأن يكون لها منه ولد، أومحتاجة إليه في الانفاق أوللالفة بينهما وغير ذلك[٥١٩]، وقال البيضاوي: لأن حواء خلقت من ضلع آدم وسائر النساء خلقن من نُطَف الرجال، أولأنهنّ من جنسهم لامِن جنس آخر، ﴿لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا﴾لتميلوا إليها وتألفوا بها فانّ الجنسية علة للضّمّ، والاختلاف سبب للتنافر[٥٢٠]، وذكرالفيروزآبادي أنّ ابن عباس(رضي الله عنه) قال أنّها تعني: ليسكن الرجل إلى زوجته[٥٢١]، وعند البقاعي: مائلين(إليها) بالشهوة والالفة، من قولهم: سكن إليه إذا مال وانقطع واطمأنّ إليه، ولم يجعلها من غير جنسكم لئلا تنفروا منها[٥٢٢]، وقال ابو السعود: لتألفُوها وتميلُوا إليها وتطمئنُّوا بها فإنَّ المُجانسةَ من دَوَاعي التَّضامِّ والتَعارفِ كما أنَّ المخالفةَ من أسبابِ التفرُّقِ والتَّنافرِ[٥٢٣]، وعند الشوكاني:﴿لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا﴾تألفوها

---

(٥١٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ١٤ / ١٧ .

(٥١٧) الاندلسي، البحر المحيط: ٩ / ٧٦ .

(٥١٨) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل: ٥ / ١٣٧ .

(٥١٩) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٣ / ٤٣٤ .

(٥٢٠) البيضاوي أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل: ٥٣٦. والسيوطي والمحلي، تفسيرالجلالين.ص:٥٣٦ .

(٥٢١) فيروزآبادي، تنويرالمقباس من تفسير ابن عبّاس. ص: ٢٥١ .

(٥٢٢) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٦ / ٣٠٠ .

(٥٢٣) أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ٢٧٧/٥.

والآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٣٤٨/١٥.

وتميلوا إليها، فان الجنسين المختلفين لايسكن أحدهما إلى الآخر ولا يميل قلبه إليه[٥٢٤]، وقال ابن عاشور: والسكون: هنا مستعار للتأنّس وفرح النفس، لأن في ذلك زوال اضطراب الوحشة والكمد بالسكون الذي هو زوال اضطراب الجسم كما قالوا: اطمأنّ إلى كذا وانقطع إلى كذا، وضمن﴿لِّتَسۡكُنُوٓاْ ﴾معنى (لتميلوا)[٥٢٥]، وقال سيدقطب: والناس يعرفون مشاعرهم تجاه الجنس الآخر، وتشغلُ أعصابهم ومشاعرهم تلك الصلة بين الجنسين، وتدفع خُطاهم وتحركُ نشاطهم تلك المشاعر المختلفة الانماط والاتجاهات بين الرجل والمرأة، ولكنهم قلّما يتذكرون يدالله التي خلقت لهم من أنفسهم أزواجا، وأودعت نفوسهم هذه العواطف والمشاعر، وجعلت في تلك الصلة سكناً للنفس والعصب، وراحة للجسم والقلب واستقراراً للحياة والمعاش، وأنساً للأرواح والضمائر، واطمئناناً للرجل والمرأة على السواء، والتعبير القرآني اللطيف الرفيق يُصَوِّر هذه العلاقة تصويراً موحياً، وكأنما يلتقط الصورة من اعماق القلب واغوارالحسّ[٥٢٦]، وقال ابن عادل: يعني أن الجنسين المختلفين لايسكن أحدهما إلى الآخر، أي لايثبت نفسه معه، ولايميل قلبه إليه[٥٢٧]، وقيل: ومن دلائل رحمته أن خلق لكم أيها الرجال زوجات من جنسكم لتألفوهن، وجعل بينكم وبينهن مودة وتراحماً، إن فى ذلك لدلائل لقوم يفكرون فى صنع الله تعالى[٥٢٨]، وقال الجزائري: لتسكن نفوسكم إلى بعضكم بعضاً بحكم التجانس في البشرية[٥٢٩]، وقيل: لتطمئن نفوسكم إليها وتسكن، وجعل بين المرأة وزوجها محبة وشفقة، إن في خلق الله ذلك لآيات دالة على قدرة الله ووحدانيته لقوم يتفكرون، ويتدبرون[٥٣٠]، وقال الزحيلي: ومن آياته الدالّة على قدرته ورحمته أن خلق النساء لكم من جنس الرجال، وجعل بدء خلق المرأة من جسد الرجل، ليتحقّق الوِفاق ويكتمل الأنس، وجعل بين الجنسين المودة أي المحبة، والرحمة، أي الشفقة، ليتعاون الجنسان على أعباء الحياة، وتدوم الاسرة على أقوى أساس وأتم نظام، ويتم السكن والاطمئنان والراحة والهدوء، فإن الرجل يمسك المرأة ويتعلق بها إمّالمحبته لها، أولرحمة بها بأن يكون لها منه ولد، أومحتاجة إليه في الانفاق،

---

(٥٢٤) الشوكاني، فتح القدير: ٤ / ٣١٢ .

(٥٢٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير: ٢١ / ٣٣ .

(٥٢٦) سيدقطب، في ظلال القرآن : ٦ / ٤٤٧ و ٤٤٨ .

(٥٢٧) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: ١٢ / ٤٨١ .

(٥٢٨) نخبة من العلماء، المنتخب في تفسير القرآن الكريم: ٢ / ٢٠٧ .

(٥٢٩) الجزائري، أيسرالتفاسير لكلام العلي الكبير: ٣ / ٢٢٥ .

(٥٣٠) نخبة من اساتذة التفسير، التفسيرالميسر : ٧ / ٢٠٤ .

أوللالفة بينهما وغيرذلك، فإن اتحاد الجنس علة للضم والاجتماع، والاختلاف سبب للتنافر[٥٣١]، ويقول الصابوني: يعني لتميلوا اليهنّ وتألفوهنّ[٥٣٢].

وفي النهاية توصلنا الى أن (لتسكنوا) في هذه الاية تأتي بمعنى (مال اليه، وليسكن اليها ويطمئن ويستقرّ، وتستأنس اليها)، لأن الله جعل الزوجة للإستئناس والإطمئنان والإستقرار في حياة الرجل.

وختاماً نستخلصُ أنّ هذه اللفظة، أي(السكينة) وردت في القرآن الكريم بمعان كثيرة ومختلفة، ولكنّها تكاد تقترب كلها على (الطمأنينة والاستقرار) في الحياة الزوجية، فالطمأنينة الدنيوية وهي عند العزيز الحكيم يهبها لِمن استقام وسلك طريق الرّشاد، وتؤدّي إلى الوِفاق الاجتماعي في الحياة الزوجية، وتزيل الخوف والاضطراب والقلق في نفوس ذوي الايمان الراسخ، وتؤدّي إلى النصر المؤزّر في ساحات القتال بِزوال الرعب عن نفوس المقاتلين المؤمنين.

ملحق بالأحاديث الواردة في السكينة:

اقتصرنا بذكر الأحاديث الصحيحة التي وردت فيها لفظة السكينة فقط، ولا نتطرق الى معانيها، خوفاً من الاطالة أولاً، وثانيا موضوعنا هو بحث السكينة في القرآن الكريم وليس في القرآن والسنة.

١- عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا أقيمت الصّلاة فلا تأتوها تسعون، وأتوها تمشون، عليكم السّكينة فما أدركتم فصلّوا، وما فاتكم فأتمّوا)[٥٣٣].

٢- عن جعفر بن محمّد عن أبيه، قال: دخلنا على جابر بن عبد الله، فسأل عن القوم حتّى انتهى إليّ، فقلت: أنا محمّد بن عليّ بن حسين ... : (ويقول بيده اليمني: أيّها النّاس، السّكينة السّكينة)[٥٣٤]. أي الزموا السكينة وهي الرفق والطمأنينة.

---

(٥٣١) الزحيلي، التفسيرالمنير: ٢١ /٦٩ .

(٥٣٢) الصابوني، صفوة التفاسير:٣٢٥/٢. والحمصي، مفردات القرآن تفسيروبيان. ص:٤٠٦.
والزحيلي، التفسيرالمنير:٦٧/٢١. و مخلوف، كلمات القرآن تفسيرو بيان.ص: ٢٩٣.

(٥٣٣) البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة(ت٢٥٦هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه(مختصر صحيح البخاري)، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دارطوق النجاة، ١٤٢٢هـ، الرقم(٦٣٥/٣٨): ١٤/١. و مسلم، مسلم بن الحجاج أبوالحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت. ص: ٦٠٢ .

(٥٣٤) مسلم، صحيح مسلم. ص: ١٢١٨ .

٣- عن البراء ﷺ قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف، وعنده فرس مربوط بشطنين فتغشّته سحابة، فجعلت تدور وتدنو، وجعل فرسه ينفر منها. فلمّا أصبح أتى النّبيّ ﷺ فذكر ذلك له. فقال (تلك السّكينة، تنزّلت للقرآن)[٥٣٥].

٤- عن البراء ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم الأحزاب ينقل التّراب وقد وارى التّراب بياض بطنه وهو يقول:

والله! لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدّقنا ولا صلّينا

فأنزلن سكينة علينا ..... وثبّت الأقدام إن لا قينا

إنّ الألى قد بغوا علينا ..... إذا أرادوا فتنة أبينا)[٥٣٦].

٥- عن الفضل بن عبّاس (رضي الله عنهما) وكان رديف رسول الله ﷺ أنّه قال، في عشيّة عرفة وغداة جمع، للنّاس حين دفعوا: (عليكم بالسّكينة) وهو كافّ ناقته. حتّى دخل محسّرا (وهو من منى) قال (عليكم بحصى الخذف الّذي يرمى به الجمرة) [٥٣٧].

٦- عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الفخر والخيلاء في الفدّادين، أهل الوبر والسّكينة في أهل الغنم، والإيمان يمان والحكمة يمانية)[٥٣٨].

٧- عن أبي قتادة ﷺ عن النّبيّ ﷺ، قال: (لا تقوموا حتّى تروني وعليكم السّكينة)[٥٣٩].

٨- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدّنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ... (وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلّا نزلت عليهم السّكينة، وغشيتهم الرّحمة وحفّتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده)[٥٤٠].

٩- عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (يسّروا ولا تعسّروا، وسكّنوا ولا تنفّروا)[٥٤١]

---

(٥٣٥) البخاري، صحيح البخاري، أبوعبدالله البخاري. الفتح: ٩: ٥٠١١، ومسلم، صحيح مسلم. ص: ٧٩٥ .

(٥٣٦) البخاري، صحيح البخاري، الفتح : ٦: ٢٨٣٦. ومسلم، صحيح مسلم. ص: ١٨٠٣ واللفظ له فيما عدا الشطر الرابع فإنه في البخاري فقط.

(٥٣٧) مسلم، صحيح مسلم. ص: ١٢٨٢.

(٥٣٨) البخاري، صحيح البخاري، البخاري. الفتح. ص: ٦ :٣٤٩٩، ومسلم، صحيح مسلم. ص:٥٢ .

(٥٣٩) البخاري، صحيح البخاري، الفتح : ٢ : ٩٠٩ .

(٥٤٠)مسلم، صحيح مسلم. ص: ٢٦٩٩.

(٥٤١) البخاري، صحيح البخاري، الفتح : ١٠/ ٦١٢٥. ومسلم، صحيح مسلم. ص: ١٧٣٤.

الفصل الثالث

المدخل:

الطمأنينة لغة:

هي الاسم من الاطمئنان الذي هو مصدر قولهم: اطمأنّ الشيء يطمئن إذا سكن، وذلك مأخوذ من مادة(ط م ن) بزيادة الهمزة، يقال فيه اطمأن المكان إذا ثبت واستقر، واطمأن الرجل اطمئناناً وطمأنينة أي سكن، قال ابواسحاق في قوله تعالى:﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾(النساء: ١٠٣/٤).أي: اذا سكنت قلوبكم، يقال اطمأن الشيء اذاسكن وطأمنته اذاسكنته. وقوله تعالى﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾(الرعد: ٢٨/١٣).. معناه: إذا ذكرالله بوحدانيته آمنوا به غير شاكين. وقيل في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴾(الفجر: ٢٧/٨٩). هي التي قد اطمأنت بالايمان وأخبتت لربها، وقال الراغب: معناه: هي ألاّ تصير أمّارة بالسوء، واطمأنّ وتطامن متقاربان لفظا ومعنى[٥٤٢]، وقيل:هي(الهدوء والسكون على سواء الخلقة واعتدال الخلق)[٥٤٣]، وقال السعدي: اطمأن: سكن، واطبأن كذلك[٥٤٤]، وقال الرازي: (اطمأن) الرجل (اطمئناناً) و(طَمَأنينَةً) أي: سكن، وهو(مُطْمَئِنٌّ) إلى كذا، وذلك مطمئن اليه واطمأن ظهره و(طامَنَهُ) بمعنى القلب[٥٤٥]، وقال ابن القيم: الطمأنينة: (سكون القلب إلى الشيء، وعدم اضطرابه

---

(٥٤٢) الجوهري، معجم الصحاح :٦/ ٢١٥٨ .

والأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن: تحقيق: صفوان عدنان داوودي، مطبعة: سليمان زاده، قُم ـ إيران، الناشر: طليعة النور، ١٤٢٦هـ . ص: ٣٠٧.

وابن منظور، لسان العرب: ٢٦٨/١٣. و ابن فارس، معجم مقاييس اللغة : ٤٢٢/٣.

(٥٤٣) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف : ٢٢٨ .

(٥٤٤) ابن القطّاع الصقلي، علي بن جعفر بن علي السعدي، أبوالقاسم(ت: ٥١٥هـ)، كتاب الأفعال، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، عالم الكتب : ٣١٦/٢ .

(٥٤٥) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي(ت٦٠٦هـ)، مختارالصحاح: دارالكتاب العربي، بيروت، ١٩٨١م. ص: ٣٩٨ .

وقلقه، ومنه الأثر المعروف: (الصدق طمأنينة والكذب ريبة)[٥٤٦] أي: الصدق يطمئنُّ إليه قلبُ السامع، ويجد عنده سكوناً إليه، والكذب يوجب له اضطراباً وارتياباً)[٥٤٧]، وقال الحنبلي: وهي في اصطلاح الفقهاء:(السكون وإن قل في كل ركن فعلي)[٥٤٨]. وقيل: الطمأنينة: الاطمئنان، والثقة وعدم القلق[٥٤٩]، وقال الكفوي: الطمأنينة: بالضم اسم من الاطمئنان وهولغة: السكون[٥٥٠]. وقال الزبيدي(اطمأن الى كذا إطمئناناً وطُمأنينة بالضم: سكن إليه ووثق به، ووزنُ اطمأنّ (إفْلَعَلَّ)، لأنّ أصل الميم أن تكون بعد الألف، لأنه من (تَطامَنَ)، وإنما قدّموها لِتباعد الهمزة التي هي عينُ الفعل من همزة الوصل فيكون أخفّ لفظا)[٥٥١]، وقيل: الطمأنينة: الاطمئنان، والثقة، وعدم القلق، وطَمْأَنَهُ: سكّنهُ وخفضهُ وحناهُ، واطمأن: سكن وثبت واستقرّ، ويقال: اطمأن به القرار، واطمأنّ جالسا، واطمأن القلب: سكن بعد انزعاج ولم يقلق[٥٥٢]، وجاء في معجم المترادفات والأضداد انها تأتي بعدة معان، منها: سكينة، هدوء، إطمئنان، سكونٌ، وأمان[٥٥٣]. والطُّمأنينة: السكونُ اسمٌ من اطمأنّ إذا سكن[٥٥٤]، وقال نورالدين الوسيط: الطمأنينة: الإطمئنان وانتفاء القلق، والثقةُ[٥٥٥]، ويقول جرجي شاهين: الطُمأنينة: سكون النفس وثقتها بالشيء[٥٥٦]. وقال المصطفوي: اطمأنّ

---

(٥٤٦) احمد بن حنبل، أبوعبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني(ت:٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: أحمد محمد شاكر، دارالحديث، القاهرة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م : ٣٤٥/٢.

(٥٤٧) ابن قيم الجوزية، تهذيب مدارج السالكين. ص : ٧٩٧ .

(٥٤٨) المقدسي، مرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكرمى(ت: ١٠٣٣هـ)، دليل الطالب لنيل المطالب، المحقق: أبوقتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م : ٣٥/١.

(٥٤٩) اللحام وآخرون، محمد هادي، محمد سعيد، زهيرعلوان، القاموس عربي عربي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٨م. ص: ٤٥٧.

والبخاري، علاءالدين عبدالعزيز بن أحمد البخاري(٧٣٠هـ)، كشف الأسرار: تحقيق: عبدالله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ : ٥٢٨/٢ .

(٥٥٠) الكفوي، الكلّيّات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : ٤٩٢ .

(٥٥١) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس : ٣٥٩/١٨ .

(٥٥٢) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط : ٥٨٧/٢ .

(٥٥٣) ضناوي، ومالك، معجم المترادفات والأضداد. ص: ٤٠٧.

(٥٥٤) البركتي، محمد عميم الاحسان المجدّدي، التعريفات الفقهية، دارالكتب العلمية، ٢٠٠٣م. ص: ١٣٧.

(٥٥٥) نور الدين الوسيط، معجم نورالدين الوسيط. ص: ٨٢٧ .

(٥٥٦) عطية، معجم المعتمد. ص: ٤٠٨.

القلب: سكن ولم يقلق، والاسم الطمأنينة. واطمأنّ الموضع: أقام به واتخذه موطناً. وموضع مطمئن: منخفضٌ. قال بعضهم: والاصل في اطمأنّ الألف مثل احمارّ واسوادّ، لكنّهم همّزوا فراراً من الساكنين على غير قياس، وقيل الاصل طأمن الرجل ظهره على فأعلَ، واخّرت على الميم. ويجوز تسهيل الهمزة فيقال طامنَ، ومعناهُ حناه وخفضهُ. ويقول أيضاً: أصيل بزيادة همزة، يقال اطمأنّ المكان يطمئنّ طُمأنينة. وطامنت منه: سكّنتُ[٥٥٧]، ويقول ابن زكريا: الطاء والميم والنون أُصَيْلٌ بزيادةهمزة.يقال: اطمأنَّ المكان يطمئنّ طمَأنينة.وطامنت مِنه:سَكَّنت[٥٥٨].ويقول جبل:وطامن ظهره (بلاهمز).حناه.واطمأنّت الأرضُ، وتطأمنت: انخفضت. وأرض مطمئنّة. ومتطامنة: منخفضة[٥٥٩].

ويقول الكفوي: والطمأنينة شرعاً: وشرعاً القرار مقدار التسبيحة في أركان الصلاة وقد شدد صدر الإسلام تشديدا بليغا فقال إنها واجبة عند الطرفين فيلزم السهو بتركها ويكره أشد الكراهة عمدا ويلزمه الاعادة كما في المنية وغيره والمطمئن صح بفتح الهمزة على أنه اسم مكان بمعنى موضع الطمأنينة لا اسم مفعول لأن (اطمأنّ) لازم وقد يروى بكسرها على أنه اسم فاعل بمعنى النسب أوعلى الاسنادالمجازي مثل﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾(القارعة: ٧/١٠١)[٥٦٠].

مما سبق يتبين للبحث ان الطمانينة أصله(طمأنّ)، وتدل على السكون والقرار والثقة والثبات والإستقرار وعدم القلق والإضطراب.

معاني الطُّمأنينة:

وجاءت هذه اللفظة في النص القرآني الكريم عندالمفسرين على معان عدة، وقد اتّضحت هذه المعاني من خلال الآيات الكريمة التي ذكرت فيها هذه اللفظة، وهي:

أ- أمِنَ: كما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ (النساء: ٤/ ١٠٣).

ب- سَكنَ: في قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا ﴾ (يونس:٧/١٠).

ت- استقَرَّ، وثبت : كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ﴾(الحج: ٢٢/ ١١).

---

(٥٥٧) المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن: ٧ / ١٤٦ .

(٥٥٨) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة. ص: ٥٩٩ .

(٥٥٩) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل لألفاظ القرآن الكريم: ٣ / ١٣٨٩.

(٥٦٠) الكفوي، الكلّيّات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. ص: ٤٩٢.

ويقول أيضاً انّ لفظة(مطمئنّ)،جاءت في النص القرآني الكريم عندالمفسرين على معان عدة، وقد اتّضحت هذه المعاني من خلال الآيات الكريمة التي ذُكِرت فيها هذه اللفظة، وهي:

أ- غير منزعج: كما في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ ﴾(النحل: ١٦/ ١١٢).

ب- مستوطن، وساكن: كما في قوله تعالى:﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾(الاسراء: ١٧/ ٩٥).

ت- الآمنة: كما في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾(الفجر:٨٩/ ٢٧و٢٨).

درجات الطمأنينة

وقد وردت لفظة الطمأنينة في القرآن الكريم بالمعاني التي تخصّ موضوعنا في(إثني عشر) موضعاً[٥٦١]، وقد قسّمنا هذا الفصل على ثلاثة مباحث، وذلك حسب المعاني التي وردت بها هذه الآيات في السياق القرآني، وهذه المعاني هي: أولها: بمعنى السكون والقرار.

ثانيها: بمعنى الميل و الرضى. ثالثها: بمعنى الاقامة التي هي ضد السفر[٥٦٢].

وهذه المواضع التي ورد فيها في السياق القرآني، هي: (سورة البقرة، آية رقم٢٦٠)، (سورة المائدة، آية رقم١١٣)، (سورة الرعد، آية رقم٢٨)، (سورة آل عمران، آية رقم١٢٦)، (سورة الأنفال، آية رقم١٠)، و(سورة يونس، آية رقم٧)، (سورة الحج، آية رقم١١)، (سورة النحل، آية رقم١٠٦)، (سورة الفجر، آية رقم٢٦)، و(سورة النساء، آية رقم١٠٣)، (سورة الاسراء، آية رقم٩٥)، (سورة النحل، آية رقم١١٢).

وسنتحدث عن هذه المعاني ضمن تفسير هذه الايات وسرد آراء المفسرين وعلماء اللغة بالتفصيل، ونقوم باظهار المعاني التي نراه مناسبا في هذه السياق وفقا للحالة التي أُنزِلَت فيها. ان شاءالله تعالى.

---

(٥٦١) عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بِحاشية القرآن الكريم. ص: ٥٤٣ و ٥٤٤ .
والزحيلي وآخرون، وهبة الزحيلي ومحمد عدنان سالم ومحمد بسّام رشدي الزين والكتور محمد وهبي سليمان، الموسوعة القرآنية الميسرة، دار الفكر: دمشق، ودار الفكر المعاصر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤م. ص: ٧١٩ .

(٥٦٢) فيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز: ١٦٥/٢. وأبوهلال العسكري، الوجوه والنظائر. ص: ٢٩٨.

المبحث الأول

الطمأنينة بمعنى السكون والقرار

الطمأنينة هي السكون والاستقرار، هكذا قال كثيرٌ مِن المفسرين في تفسير(الطمأنينة) في الآيات التي وردت في سياقها لفظة(الطمأنينة) في القرآن الكريم، وسنركِّز عليها إلاّ أنّنا لاننوقف عند آراء الذين قالوا بهذا المعنى، وإنّما يأتي بآراء المخالفين لِهذا الرأي، وعندما يرى القاريء بعض الاختلاط في الآراء بين مؤيّد ومخالف لِهذا المعنى، فذلك ليس إلاّ لِمراعاة التسلسل الزمني لِلوفيات التي نراعيها.

قال ابن القيم: وحقيقة الطمأنينة السكون والاستقرار، فهي التي قد سكنت إلى ربها وطاعته وأمره وذكره، ولم تسكن إلى سواه، فقد اطمأنت إلى محبته وعبوديته وذكره، واطمأنت إلى أمره ونهيه وخبره، واطمأنت إلى لقائه ووعده، واطمأنت إلى التصديق بحقائق أسمائه وصفاته، واطمأنت إلى الرضى به رباً، وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولا، واطمأنت إلى قضائه وقدره، واطمأنت إلى كفايته وحسبه وضمانه، فاطمأنت بأنه وحده ربها وإلهُها ومعبودها ومليكها ومالك أمرها كله، وأن مرجعها إليه، وأنها لاغنى لها عنه طرفة عين[٥٦٣]، ويقول أيضاً: ولايمكن حصول الطمأنينة الحقيقية إلاّ بالله وبذكره، وهو كلامه الذي أنزله على رسوله، ولو اطمأنّ العبد إلى علمه وحاله وعمله، سلَبَهُ وزايله، وقد جعل سبحانه نفوس المطمئنين إلى سِواه أغراضها بِسهام البلاء، لِيعلم عباده وأوليائه أنّ المتعلِّق بغيره مقطوع، والمطمئنُّ إلى سِواه عن مصالحهِ ومقاصده مصدود وممنوع[٥٦٤]، وسبب الطمأنينة: نوريفيضه الله تعالى على قلب المؤمن بسبب ذكره، فيذهب مافيها من القلق والوحشة[٥٦٥].

وقد وردت في السياق القرآني آيات فيها الطمأنينة بمعنى السكون والقرار وزيادة اليقين والإيمان، وذلك في خمس مواضع في القرآن الكريم، وهذه المواضع هي: في (سورة البقرة، آية

---

(٥٦٣) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب بن سعد شمس الدين(ت٧٥١هـ)، إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان: تحقيق: محمد عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، ودار الخاني، بيروت، ط٢، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م : ١٢٧/١ .

(٥٦٤) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب بن سعد شمس الدين(ت٧٥١هـ)، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، دارالكتب العلمية، بيروت، د.ت، د.ط : ١ / ٢٢١ .

(٥٦٥) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١٣ / ١٥٠ .

رقم٢٦٠)، (سورة المائدة، آية رقم١١٣)، (سورة الرعد، آية رقم٢٨)، (سورة آل عمران، آية رقم١٢٦)، (سورة الأنفال، آية رقم١٠).

أوّلاً: اطمئنان ابراهيم عليه السلام من الإيمان بالله تبارك وتعالى:

وذلك في سورة البقرة حيث يتحدث فيها سبحانه وتعالى عن نبي الله ابراهيم عليه السلام عندما طلب ابراهيم عليه السلام أن يريه كيف يحي الله الموتى ليطمئن قلبه.

قال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٦٠/٢). وردت لفظة(ليطمئن) في هذه الآية بعدة معاني وكلها مختلفة لفظاً ولكن في المعنى واحد تقريباً، وهي الإطمئنان وازياد الإيمان وسكون القلب برؤية دلائل تؤكد وترسخ بها الإيمان بالله تبارك وتعالى.

قال الحلبي: يقال: اطمأنّ يطمئنّ اطمئناناً وطُمأنينة، ووزن اطمأنّ افعلّ كالإقشعرار والقُشَعريرة. وقيل اصله طأمنَ، والهمزة قبل الميم فَقُلِبَت الكلمة. وقيل بل هما أصلان متقاربان لفظاً ومعنىً[٥٦٦]. وقال الأخفش الأوسط: يعني(قلبي يُنازِعُني إلى النظرِ، فإذا نظرتُ اطمأنّ قلبي)[٥٦٧]، وجمع الطبري آراء المُفَسِّرين ويقول: لِيسكن ويهدأ باليقين الذي يستقينهُ، وقال بعضُهُم: لِيُوَفِّقَ، وقال آخرون: لِيزداد يقيناً، وعند آخرين: لأزدادَ إيماناً مع إيماني، وقيل: لِيطمئِنَّ قلبي بأنّي خليلُك، وعند قوم: لأعلم أنّك تُجيبني إذا دعوتك وتعطيني إذا سألت[٥٦٨]، وقال النحّاس: فيه قولان: الأوّل: لِيطمئِنَّ قلبي للمشاهدة، كأنّ نفسه طالبته برؤيةِ ذلك فإذا رآهُ اطمأنّ، والانسان قد يعلم الشيء مِن جِهة ثُمّ يطلبُ أن يعلمهُ من غيرها، والثاني: ليطمئنَّ قلبي بأنّي إذا سألتك أجبتني[٥٦٩]، وقال القيرواني: تفسير الطمأنينة على ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: تطمئن يعني تسْكن، وذلك قوله في البقرة: ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ إذا نظرتُ إليه. وقال في

---

(٥٦٦) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ في في تفسير اشرف الالفاظ: ٢ /٤٨١.

(٥٦٧) الأخفش الاوسط، أبوالحسن سعيد بن مسعمة المجاشعي(ت٢١٥هـ) معاني القرآن، تحقيق: فائز فارس، دارالبشير، دارالأمل، ط٢، ١٩٨١م : ١ / ١٨٣ .

(٥٦٨) الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن: ٣ / ٣٣ - ٣٥ .

(٥٦٩) النحاس، معاني القرآن: ٢٨٤/١ و ٢٨٥ . والنحّاس، إعراب القرآن.ص: ١٠٨ .

المائدة: ﴿ وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا ﴾ إذا رأينا المائدة. وقال في الرّعد﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ يعني تسكن القلوب. وقال في آل عمران: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ ﴾ يعني مدد الملائكة يوم أحد، ﴿ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ﴾ أي ولتسكن، ﴿ قُلُوبُكُم بِهِۦ ﴾. وقال في الأنفال: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ ﴾ يعني المدد من الملائكة يوم بدر، ﴿ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ ﴾ يعني ولتسكن.

الوجه الثاني: الطمأنينة يعني الإقامة، وذلك قوله في النِّساء:﴿ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ ﴾ يقول: فإذا أقمتم، ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾يعني فأتموا الصَّلاة. وقال في بني إسرائيل: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ ﴾ يعني مقيمين في الأرض.

الوجه الثالث: الطمأنينة يعني الرضى، وذلك قوله في الحجِّ: ﴿ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ﴾يقول: رضي به. وقال في النَّحل:﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ أي راض.

﴿ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾. وقال في الفجر: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ يعني الرّاضية ثواب الله[٥٧٠]. وقال جبل: ليسكن الى المعاينة بعد الايمان بالغيب. وكل ما في القرآن من التركيب هو الاطمئنان بمعنى سكون النفس والقلب أي الاستقرار النفسي وعدم القلق والخوف والحذر[٥٧١].

وقال السمرقندي: أي ليسكن قلبي، ويقال: إنما قال له: أولم تؤمن؟ لكي يظهر اقراره، لكي لا يظن أحد بعده أنه لم يكن مقراً بذلك في ذلك الوقت، فظهر إقراره بقوله: بلى، وقال سعيد بن جبير: ليسكن قلبي أنك اتخذتني خليلاً[٥٧٢]، وعند الزمخشري: (ليزيد سكوناً وطمأنينة بِمضامة علم الضرورة علم الإستدلالِ، وتظاهر الأدلّةِ أسكن للقلوبِ وأزيدُ للبصيرةِ، واليقينِ، ولأنّ علمَ الاستدلالِ يجوز معه التشكيك بِخلاف العلم الضروري ، فأراد بطمأنينة القلبِ العلم الذي لامجال فيهِ

---

(٥٧٠) ابن سلام، التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه. ص: ٢١٧.

(٥٧١) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل لألفاظ القرآن الكريم: ٣ / ١٣٩٠.

(٥٧٢) السمرقندي، بحرالعلوم: ١ / ٢١٦ .

للتشكيكِ، فإن قُلتَ: بِمَ تعلَّقت (اللامُ) في (لِّيَطْمَئِنَّ)؟ قلتُ: بِمحذوفٍ تقديرهُ: ولكن سألتُ ذلك إرادة طمأنينة القلب)[٥٧٣]، وفسّرها القرطبي بِقولهِ: سألتُكَ لِيطمئِنَّ قلبي بِحصول الفرقِ بين المعلومِ برهاناً والمعلوم عياناً، والطمأنينة: اعتدالٌ وسكونٌ، فطمأنينة الأعضاءِ معروفة، وطمأنينة القلب هي أن يسكنَ فكره في الشيءِ المُعتقد، والفكر في صورة الحياءِ غيرُ محظور، قال ابن عطية: ولازيادة في هذا المعنى تمكن إلاّ السكون عن الفكر وإلاّ فاليقينُ لا يتَبَعَّض[٥٧٤]. ومعناهُ عند البيضاوي: بلى آمنتُ، ولكن سألتُ ذلك لأزيدَ بصيرة وسكن قلبٍ بِمضامة العيانِ إلى الوحي والاستدلال[٥٧٥]، وقال الفيروزآبادي أنّ ابن عباس فسّره بقولهِ: لِتسكنَ حرارة قلبي، وأعلم بأنّي خليلُك مُستجاب الدعوة[٥٧٦]، وعند الشوكاني: (ولكن سألت لِيطمئِنَّ قلبي بإجتماع دليل العيانِ إلى دلائل الايمانِ، وقد ذهب الجمهورُ إلى أنّ ابراهيمَ لم يكن شاكّاً في احياءِ الموتى قطُّ، وإنّما طلب المعاينة لِما جبلّت عليهِ النفوس البشرية مِن رؤية ما أُخبِرت عنه)[٥٧٧]، وقال الآلوسي: الطمأنينة هنا العلم الذي لامجال للتشكيك فيه وهو علم الضرورة المخالف لعلم الإستدلال حيث يجوز معه ذلك واعترض بأن العلم الموقوف على سبب لايتصور فيه تشكيك مادام سببه مذكورا في نفس العالم وإنما الذي قيل التشكيك قبولا مطلقا هوالاعتقاد وإن كان صحيحا وسببه باق في الذكر وبهذا ينحط الاعتقاد الصحيح عن العلم وأجيب بأن هذا مبني على تفسيرالعلم بأنه صفة توجب تمييزا لايحتمل النقيض[٥٧٨]، ويقول سيد قطب: لقدكان ينشد اطمئنان الانس إلى رؤيةِ يد اللهِ تعمل، واطمئنان التّذوُّقِ للسِرّ المحجبِ، وهو يجلي ويتكَشَّف، ولقد كان اللهُ يعلمُ ايمان عبدهِ وخليلهِ، ولكنّهُ سؤال الكشفِ والبيان، والتعريفِ بهذا الشّوقِ واعلانه، والتلطُّفُ من السّيّدِ الكريمِ الوَدودِ الرحيمِ، مع عبدهِ الأوّاه الحليم المُنيب[٥٧٩]، وقال النيسابوري: بِنَجاتي من القتل، أوليطمئن قلبي بقوة حجتي

---

(٥٧٣) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:٣٠٩/١.

والنسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل:١/ ١٣٢ .

(٥٧٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ٣ /٣٠٠ .

(٥٧٥) البيضاوي أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل: ١٣٦/١. والصابوني، صفوة التفاسير:١١٤/١.

(٥٧٦) فيروزآبادي، تنويرالمقباس من تفسير ابن عبّاس. ص: ٣٠. والسيوطي والمحلي، تفسيرالجلالين.ص: ٥٨.

(٥٧٧) الشوكاني، فتح القدير: ٤٢٥/١ .

(٥٧٨) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٣ / ٢٨ .

(٥٧٩) سيدقطب، في ظلال القرآن: ٤٤٢/١ .

وبرهاني، وأنّ عَدولي إلى غيرها كان بسبب جهل المستمع[٥٨٠]، وقال مقاتل: ليسكن قلبى بأنك أريتنى الذى أردت[٥٨١]، وقال ابن عاشور: معناه لينبت ويتحقّق علمي وينتقل من معالجة الفكر والنظر إلى بساطة الضرورة بيقين المشاهدة وانكشاف المعلوم انكشافاً لايحتاج إلى معاودة الاستدلال ودفع الشُبه عن العقل، وذلك أنّ حقيقة يَطمئن: يسكن، ومصدره الاطمئنان، واسم المصدر الطُّمَأنِينَة، فهوحقيقة في سكون الأجسام، واطلاقه على استقرار العلم في النفس وانتفاء معالجة الاستدلال أصله مجاز بتشبيه التردّد وعلاج الاستدلال بالاضطراب والحركة، يقال اطمأنّ بَالَهُ واطمأنّ قلبه، والقلبُ مراد به العلم، إذ القلب لا يضطرب عند الشك ولايتحرك عند إقامة الدليل وإنّما ذلك للفكر، وأراد بالاطمئنان العلم المحسوس وانشراح النفس به وقد دلّه الله على طريقة يرى بها إحياء الموتى رأي العين[٥٨٢]، وقال الجزائري: يسكن ويهدأ من التطلع والتشوق إلى الكيفيّة[٥٨٣]، وقال الزُحَيلي: سألتُك لِيسكنَ قلبي بالمُعاينةِ المضمومةِ إلى الاستدلال، ويقولُ: ثُمَّ إنّه طلب طمأنينة القلبِ، وهي: أن يسكن فكرهُ في الشيءِ المعتقدِ، لِيتبيّنَ الفرقُ بين المعلومِ برهاناً والمعلومِ عياناً[٥٨٤]. وقال المصطفوي: أي: ليسكن الى المعاينة بعد الايمان بالغيب. والاسم الطُّمأنينة . ويقال طامن ظهرهإذا حناه، بغير همز، لأنّ الهمزة التي حلّت في اطمأنّ انّما حلّت فيها حذار الجمع بين الساكنين، ومنهم من يقول: طأمن بالهمز[٥٨٥].

وختاماً لسرد الآراء حول هذه الآية الكريمة، ارى أنّ المفسرين والعلماء اتفقوا على أنّ (لِّيَطْمَئِنَّ) تأتي بمعنى الإطمئنان، أي اطمئنان قلب ابراهيمعليه السلام، وازدياد ايمانه ويقينه بأن يريه دليلاً يراه بالعين المجردة على استطاعة الله وكيفية احيائه للموتى.

ثانياً:اطمئنان حواريي عيسىعليه السلام بانزال المائدة من السماء،بأنّ الله أرسل لهم رسولاً:

وذلك في سورة (المائدة) حيث يذكّر فيها سبحانه وتعالى نعمه على عيساعليه السلام بأنّه أعطاه معجزات كثيرة، وبعد ذلك اوحى الى حواريه بأن يؤمنوا به، وهم دعوه ان الله ان ينزل

---

(٥٨٠) النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان : ٢ / ١٣٠ .

(٥٨١) مقاتل، تفسيرمقاتل: ١ / ١٦٢ .

(٥٨٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير: ٥١١/٢ .

(٥٨٣) الجزائري، أيسرالتفاسير لكلام العلي الكبير: ١ / ١٣٣ .

(٥٨٤) الزحيلي، التفسيرالمنير: ٣ / ٣٧ و ٣٩ . وابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل.ص: ٩١.

(٥٨٥) المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن: ٧ / ١٤٦ .

مائدة من السماء لسببين: أولاً: أن يأكلوا من شيء لم ولن يأكله احد بعدهم لأنه ينزل من السماء. ثانياً: تطمئنّ قلوبهم بأنّ الله ارسل لهم رسولاً، وهو رسولهم، ويزداد ايمانهم ويقينهم.

قال تعالى﴿ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾(المائدة: ١٠٣/٥).

نرى انّ (تَطۡمَئِنَّ)في هذه الآية الكريمة تأتي بمعنى الإطمئنان وازدياد الإيمان واليقين بأنّ الله قد اختارهم(حواريي عيسا﵇) لدعوته، لذلك طلبوا منه ان يريهم اية يحسون به.

قال الطبري: (وتستكن قلوبنا وتستقرّعلى وحدانيّتهِ وقُدرتهِ على كلِّ ما شاء وأرادَ وفَعَلَ)[٥٨٦]، وعند القرطبي: يحتملُ ثلاثة أوجُه: أحدها: تطمئنّ إلى أنّ الله تعالى بعثَكَ إلينا نبيّا، الثاني: تطمئنّ إلى أنّ الله تعالى قد اختارنا لِدعوتِنا، الثالث: تطمئنّ إلى أنّ الله تعالى قد أجابنا إلى ماسألنا، وقال المهدوي: تطمئنّ بِأنّ الله قد قبِلَ صَومنا وعملَنا[٥٨٧]، وقال آخرون في تفسير هذه الآية: إنَّا وإنْ عَلِمْنَا قُدْرةَ الله تعالى بالدَّليل، ولكنَّا إن شاهدنا نُزُولَ هذه المَائِدة ازداد اليقين، وقويت الطُّمَأنِينَةُ[٥٨٨]، ويقول الكلبي: نُعاينَ الآية فيصير إيماننا بالضرورة والمشاهدة، فلا تعرض لنا الشكوك التي تعرض في الاستدلال[٥٨٩]، وقال أبوحيّان: وذلك للشرف لاللشبع واطمئنان قلوبهم بسكون الفكر، إذا عاينوا هذا المعجزالعظيم النازل من السماء وعلم الضرورة والمشاهدة بصدقه فلاتعترض الشبه اللاحقة في علم الاستدلال وكينونتهم من المشاهدين بهذه الآية الناقلين لها إلى غيرهم، القائمين بهذا الشرع أو من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالنبوّة[٥٩٠]، وقال البيضاوي: (بِإنضمام علم المشاهدة إلى علم الإستدلال بِكمال قدرتهِ (ﷻ))[٥٩١]، وقال الشوكاني والمعنى: تطمئنّ قلوبنا بِكمال قدرة الله، أوبأنّك مرسلٌ إلينا من عندهِ أوبأنّ الله قد أجابنا إلى ما سألناه ونعلم علماً يقيناً بأنّك قد صدقتنا في نبوَّتك،

---

(٥٨٦) الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن: ٧ / ٨٥ .

(٥٨٧) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ٦ / ٣٦٦. والسيوطي والمحلي، تفسيرالجلالين.ص: ١٦٦ .
وابن الجوزي، زاد المسير: ٢ / ٢٨٦.

(٥٨٨) فخرالدين الرازي، مفاتيح الغيب: ٦ /١٩٧. وابن عادل، اللباب في علوم الكتاب : ٦ /٣١١.
والنسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١ / ٣٠٩ .

(٥٨٩) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل.ص: ١٩٤ .

(٥٩٠) السمرقندي، بحرالعلوم: ٥٨/٥. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٢ / ١٢١ .

(٥٩١) البيضاوي أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل: ١ / ٢٩٩ .

ونكون عليها من الشاهدين عند من لم يحضرها من بني إسرائيل، أومن سائر الناس، أومن الشاهدين لله بالوحدانيّةِ، أومن الشاهدين: أي الحاضرين دون السامعين[٥٩٢]، وقال ابن عاشور: بمشاهدة هذه المعجزة فإنّ الدليل الحسي أظهر في النفس[٥٩٣]، وقالل الهرري:﴿ وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا ﴾أي: تسكن قلوبنا، وتستيقن بكمال قدرة الله تعالى؛ لأنا - وإن علمنا قدرة الله بالدليل - إذا شاهدنا نزول المائدة .. ازداد اليقين، وقويت الطمأنينة بأنك مرسل إلينا من عنده تعالى، أو بأن الله قد أجابنا إلى ما سألناه[٥٩٤]. ويقول سيد قطب: فَهُم يُريدون أن يأكلوا مِن هذا الطعام الفريد الذي لانظيرَ لهُ عند أهل الأرضِ، وتطمئنّ قلوبهم بِرؤية هذه الخارقة، وهي تتحَقَّقُ أمام أعيُنِهم ويستيقنوا أنّ عيسى(عليه السلام) قدصدقهم، ثُمَّ يكونوا شُهوداً لدى بقيّةِ قومِهم على وقوعِ هذه المعجِزة، وكلُّها أسبابٌ تُصوّر مستوى مُعيّناً دون مستوى أصحاب محمد(صلى الله عليه وسلم) فهؤلاءِ طِرازٌ آخَر بالموازنة مع هذا الطِراز[٥٩٥]، ويقول الزحيلي: وتزدادَ قلوبُنا اطمِئناناً ويقيناً بِقُدرة اللهِ، وبِصِدقِ نبوَّتِك، لأنّ علم الحسّ والمُشاهدةِ أقوى دِلالة على المطلوب مِن العلم النظري القائم على التسليم بالبراهين، ويرى الزحيلي أنّ هناك أربعة أسباب دفع الحواريّينَ إلى سؤال إنزال المائدة، فأحد هذه الأسباب: اطمئنان القلب إلى أنّ الله تعالى بعثَ عيسى(عليه السلام) إليهم نبيّاً[٥٩٦]، وقال الصابوني: قال الحواريّون نُريدُ بِسؤالنا المائِدةَ، أن نأكُلَ مِنها تَبَرُّكاً، وتسكنَ نفوسنا بِزِيادة اليقين[٥٩٧].

وفي الختام تبين للبحث أنّ (تَطْمَئِنَّ) في هذه الآية الكريمة تأتي بمعنى تسكن، أي تطمئن قلوبهم بسكون الفكر، اذا شاهدوا هذه المعجزة عياناً.

---

(٥٩٢) الشوكاني، فتح القدير: ٢ / ١٣٥ .

(٥٩٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير: ٥ / ٢٦٥ .

(٥٩٤) الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، إشراف ومراجعة: هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، ٢٠٠١ م : ٨ / ١٤٦.

(٥٩٥) سيدقطب، في ظلال القرآن: ٣ / ٧٣ و ٧٤ .

(٥٩٦) الزحيلي، التفسيرالمنير: ٧ / ١١٦ و ١١٨ .

(٥٩٧) الصابوني، صفوة التفاسير: ١ / ٢٥٦ .

ثالثاً: اطمئنان المؤمنين بذكرالله تبارك وتعالى:

وذكر الله عزّوجلّ ذلك في سورة الرعد حيث يتحدّث الله سبحانه وتعالى عن انّ ايمان المؤمنين هو الذي يطمئن قلوبهم، لا بالدنيا ولاملذّاتها.

قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾(الرعد: ٢٨/١٣).

وفي هذه الآية الكريمة يتحدّث سبحانه وتعالى كيف ذكره وثوابه وقرآنه يسكين ويستأنس قلوب المؤمنين وارضائهم بذكرالله تبارك وتعالى، بخلال الكفار ومَن لا ايمان له.

قال الطبري في تفسير هذه الآية : وقوله﴿وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾، وتسكن قلوبهم وتستأنس بذكرالله، وعن قتادة: يقولُ سكنت إلى ذكرِ اللهِ واستأنست بهِ وقوله﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ ألآ بذكرِ اللهِ تسكنُ وتستأنسُ قلوبُ المؤمنينَ، وقيل أنّه عنى بذلك قلوبُ المؤمنينَ من أصحابِ رسولِ الله(ﷺ)(٥٩٨).

وقال السمرقندي: يعني تسكن وترضى قلوبهم(٥٩٩) ، وقال الماوردي: ﴿وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾، فيه أربعة أوجه: أحدها: بذكرالله بأفواههم، قاله قتادة. الثاني: بنعمةالله عليهم. الثالث: بوعدالله لهم. الرابع: بالقرآن قاله مجاهد. و﴿تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾، يحتمل ثلاثة أوجه: أحدها: بطاعةالله. الثاني: بثواب الله. الثالث: بوعدالله تعالى لهم(٦٠٠). وعندالزمخشريّ: بذكر رحمته ومغفرته بعدالقلقِ والاضطراب من خشيتهِ، أوتطمَئِنّ بذكر دلائلهِ الدّالة على وحدانيّتهِ، أوتطمئنُّ بالقرآنِ لأنّهُ معجزةٌ بيّنةٌ تسكنُ القلوبَ وتثبتُ اليقينَ فيها(٦٠١)، وقال ابن الجوزي: وفي معنى هذه الطمأنينة قولان: أحدهما: أنها الحُب له والأنس به. والثاني: السكون إليه من غير شك. بخلاف الذين إذا ذُكر الله اشمأزت قلوبهم(٦٠٢)، وقال الحلبي: أي: تسكن وتستقرُّ، قيل: والإطمئنان: سكون بعد انزعاج، وفي

---

(٥٩٨) الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن: ٩٧/١٣ و ٩٨ .

(٥٩٩) السمرقندي، بحرالعلوم: ٢ / ٤١٦ .

(٦٠٠) الماوردي، النكت والعيون: ٢ / ٣١٢ .

(٦٠١) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٥٢٨/٢.

(٦٠٢) ابن الجوزي، زاد المسير: ٤ / ٣ .

ذلك تنبيه على انّ أكثر العبادة تُكسب اطمئنان النفس[٦٠٣]. وقال الرازي: إنّ القلب كلما وصل إلى شيء فإنّه يطلب الانتقال منه إلى حالة أخرى أشرف منها، لأنه لاسعادة في عالم الاجسام إلاّ وفوقها مرتبة أخرى في اللذة والغبطة، أمّا إذا انتهى القلب والعقل إلى الاستسعاد بالمعارف الالهية والاضواء الصمدية، بقي واستقرّ فلم يقدر على الانتقال منه البتة، لأنّه ليس هناك درجة أخرى في السعادة أعلى منها وأكمل، فلهذا المعنى قال﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾(الرعد: ٢٨/١٣)[٦٠٤]، وقيل: طمأنينةٌ تحصلُ لهم بذكر الله ويجوزُ أنْ يكونَ حالاً من القلوبِ، أي: تطمئنُّ وفيها ذكرالله[٦٠٥]، وعند القرطبي: تسكنُ وتستأنسُ بتوحيد الله فتطمئنُّ وهم تطمئنُّ قلوبُهمْ على الدوامِ بذكرِ اللهِ بألسنتِهم وقال مجاهد وقتادة وغيرُهما بالقرآنِ، وقال سُفيانُ بن عُيَيْنَةُ: بأمرهِ، وقال مقاتل: بوعدهِ، أوتطمئنُّ بذكر فضلهِ وانعامهِ كما توجّل بذكر عدلهِ وانتقامهِ وقضائهِ، تطمئنُّ القُلوبُ: أي قلوبُ المؤمنينَ فإذاحَلَفَ خَصمَهُ باللهِ سَكَنَ قلبهُ، وقيل بذكرِ اللهِ أي بطاعتهِ، وقيلَ: بِثوابِ اللهِ، وقيلَ: بِوعدِالله [٦٠٦]، وقال الأندلسي: أنه بذكره تعالى تطمئن القلوب لابالآيات المقترحة، بل ربماكفر بعدها، فنزل العذاب كما سلف في بعض الأمم[٦٠٧]، وقال ابن القيّم: فإنّ طمأنينة القلبِ سُكونُهُ واستقرارهُ بِزوال القَلَقِ والانزِعاجِ والاضطرابِ عنهُ، وهذا لايتأتّى بِشيءٍ سِوى اللهِ تعالى وذكرهِ البتّةَ، وأمّا ما عداهُ غُرورٌ والثّقةُ بهِ عجزٌ، قضى الله سبحانهُ وتعالى قضاءً لامردّ لهُ أنّ من اطمأنّ إلى شيءٍ سِواهُ أتاهُ القلَقُ والانزِعاجُ والاضطرابُ من جِهَتِهِ كائناً من كان[٦٠٨]، وعند ابن كثير: (تطيب وتركن إلى جانب اللهِ وتسكن عند ذكرهِ وترضى بهِ مَولى ونصيراً)[٦٠٩]، وقال الفيروزآبادي أنّ ابنُ عبّاس قال في تفسيرها: ترضى وتسكُنُ قلوبُهم[٦١٠]،

---

(٦٠٣) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ في في تفسير اشرف الالفاظ: ٢ / ٤٨١.

(٦٠٤) فخرالدين الرازي، ماتيح الغيب: ٩ / ١٧٩.

(٦٠٥) العكبري، التبيان في إعراب القرآن : ٦٤/٢.

(٦٠٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ٣١٥/٩. والنسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٢٤٩/١.
والبيضاوي أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل: ٣٣٢.

(٦٠٧) السمرقندي، بحرالعلوم : ٧ / ١١٣ .

(٦٠٨) إبن قيّم الجوزية، الروح : ٢٩٩ .

(٦٠٩) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٢ / ٥٠٨ .

(٦١٠) فيروزآبادي، تنويرالمقباس من تفسير ابن عبّاس. ص: ١٥٨.
والسيوطي والمحلي، تفسيرالجلالين. ص: ٣٣٢.

وقال البقاعي: أي تسكن وتستأنس إلى الدليل بعد الاضطراب بالشكوك لايجادهم الطمأنينة بعد صفة الايمان ايجاداً مستمراً دالاً على ثبات ايمانهم لترك العناد، وهذا المضارع في هذا التركيب مما لايراد به حال ولااستقبال، إنما يراد به الاستمرار على المعنى مع قطع النظر عن الأزمنة[٦١١]، أي يريد الله سبحانه ان يكون عباده في طمأنينة دائمة. وقيل تكونُ بإنشراحِ الصدرِ بمعرفةِ التوحيدِ، والوَجَلُ: يكونُ عندَ خوف الزَيْغِ والذهاب عن الهُدى فتوجه القلوبُ لِذلك[٦١٢]، وقال الشّنقيطيّ: ووجه الجمع بينهم الثناء عليهم بالوَجَلِ الذي هو الخوفُ عند ذكرهِ جلّ وعلا مع الثناءِ عليهم بالطمأنينةِ بذكره، والخوفُ والطمأنينةُ مُتَنافيانِ، وأنّ الطمأنينةَ بذكر اللهِ تكونُ بانشراحِ الصدرِ بمعرفة التوحيد وصدق ما جاءَ بهِ الرسولُ(ﷺ) فطمأنينتُهُم بذاكَ قويّةٌ لأنّها لم تتطرقها الشُّكوكُ ولاالشُبهةُ، والوَجَلُ عند ذكرالله تعالى يكونُ بسببِ خوفِ الزّيغِ عن الهُدى وعدم تقبُلِ الأعمالِ[٦١٣]، وقال النيسابوري: القلوب أربعة: قلب قاس كقلوب الكفار والمنافقين فاطمئنانه بالدنيا وشهواتها رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها، وقلب ناس وهو قلب المسلم المذنب، فاطمئنانه بالتوبة فتاب عليه وهدى، وقلب مشتاق وهوقلب المؤمن فاطمئنانه بذكرالله كما في الآية، وقلب وحداني وهو قلب الانبياء وخواص الأولياء فاطمئنانه بالله وصفاته، وإذا صار القلب مطمئناً انعكس نور الاطمئنان من مرآة قلبه على نفسه فتصير مطمئنة ثم أشار إلى أنّ الاطمئنان ثمرة غرس شجرة الايمان والعمل الصالح في أرض القلب[٦١٤]، وقال سيدقطب: تطمئنّ بإحساسها بالصلةِ باللهِ، والأنسِ بجوارهِ، والامنُ في جانبهِ وفي حِماهُ، وتطمئنُ من قلقِ الوَحدَةِ، وحيرةِ الطريقِ بادراك الحكمةِ في الخلقِ والمبدأ والمصير، وتطمئنُّ بالشُعورِ بالحمايةِ من كلِّ اعتداءٍ ومن كُلّ ضرّ ومن كُلِّ شرّ إلاّ بِما يشاءُ مع الرضى بالابتلاءِ والصبرِ على البلاءِ، وتطمئنّ برحمتهِ في الهدايةِ والرزقِ والسِّتْرّ في الدُنيا والآخرةِ[٦١٥]، وقال الزُّحَيلي: والمعنى أنّ قلوبَ المُؤمنينَ تسكنُ وتستأنسُ بتوحيدِ اللهِ وتذكُر وعده وتَعتمِدُ عليهِ وترجو منهُ، فتطمئِنُّ[٦١٦]، وقال أيضاً: ألآ بِتذكّرِاللهِ، وتأمُّلِ آياتِهِ، ومعرفةِ كمالِ

---

(٦١١) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٤ / ٣٤٩ .

(٦١٢) العزّي، محمد بن محمد بن محمد العزي(ت١٠٦١هـ)، إتقان مايحسن من الأخبار الدائرة على الألسن: تحقيق: خليل محمد العربي، مطبعة الفاروق الحديثة، القاهرة، ١٤١٥هـ : ٧٨/٢ .

(٦١٣) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٢٥٩/٥ .

(٦١٤) النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان : ٤ / ٤٢٩ .

(٦١٥) سيدقطب، في ظلال القرآن: ٩٤/٥و٩٥.

(٦١٦) الزحيلي، التفسيرالمنير: ١٦٢/١٣.

قُدرتهِ عن بصيرةٍ، تطمئنّ القلوبُ ويذهبُ القلقُ والاضطرابُ عنهم، بما وقرَ في تلكَ القلوبِ من نورِ الايمان[٦١٧]، وعند ابن عاشور: الاطمئنان: السكون، واستعير هنا لليقين وعدم الشك، لأن الشك يستعار له الاضطراب[٦١٨]، وقال أبوالسعود﴿تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾أي تستقرّ وتسكُن، و﴿تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ دون غيره من الأمور التي تميل إليها النفوسُ من الدنيويات، وهذا ظاهر، وأما سائرُ المعجزات فالقصرُ من حيث إنها ليست في إفادة الطُّمأنينة بالنسبة إلى من لم يشاهدْها بمثابة القرآنِ المجيدِ فإنه معجزةٌ باقية إلى يوم القيامة يشاهدها كلُّ أحد وتطمئن به القلوبُ كافة ، وفيه إشعارٌ بأن الكفرةَ ليست لهم قلوبٌ تفقه وأفئدتُهم هواءٌ حيث لم يطمئنوا بذكر الله تعالى ولم يعدّوه آيةً وهو أظهرُ الآياتِ وأبهرها، وقيل: تطمئن قلوبُهم بذكر رحمتِه ومغفرتِه بعد القلق والاضطرابِ من خشية الله أوبذكر دلائلِه الدالةِ على وحدانيته، أوبذكره جل وعلا أنساً به وتبتلاً إليه فالمرادُ بالهداية دوامُها واستمرارُها[٦١٩]، وقيل: وتسكن قلوبهم بالقرآن، يعنى بما فى القرآن من الثواب والعقاب، ﴿تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ ألا بالقرآن تسكن القلوب[٦٢٠]، وقيل:﴿تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ وترتاح بذكرالله أُنساً به، واعتماداً عليه ورجاء منه، أوبذكر رحمته بعد القلق من خشيته، أوبذكر آلائه، ودلائله الدالة على وجوده ووحدانيته، أوبكلامه القرآن، الذي هو أقوى المعجزات تهش وتستأنس به، المراد من الطمأنينة: السكون إلى المذكور، والأنس به، ووجود الرَّوْحِ والفرح والانشراح، والغنى به، ﴿تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ لابغيره، فلا تسكن إلا إليه، ولا تعتمد إلا عليه فإن سكنت إلى غيره ذهب نورها، وعظم قلقها[٦٢١]، وأن هؤلاء الذين يرجعون إلى الله، ويقبلون على الحق، هم الذين آمنوا وهم الذين تسكن قلوبهم عند ذكر الله تعالى بالقرآن وغيره، وإن القلوب لاتسكن وتطمئن إلابتذكر عظمة الله وقدرته وطلب رضاه بطاعته[٦٢٢] ، ويرى آخرون: ويهدي الذين تسكن قلوبهم بتوحيد الله وذكره فتطمئن،

---

(٦١٧) المصدر نفسه : ١٦٥/١٣.

(٦١٨) ابن عاشور، التحرير والتنوير: ١٢ / ١٨٢ .

(٦١٩) أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ٤ / ١.

والآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٩ / ٢٦٤ .

(٦٢٠) مقاتل، تفسيرمقاتل: ٢ / ١٧٣ .

(٦٢١) السمرقندي، بحرالعلوم: ٣ / ١٦٧ .

(٦٢٢) نخبة من العلماء، المنتخب في تفسير القرآن الكريم: ١ / ٤١٠ .

ألابطاعةالله وذكره وثوابه تسكن القلوب وتستأنس[٦٢٣]، وقال الصابوني﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ هذا بَدَلٌ والمعنى يهدي أهلَ الانابةِ وهُم الذينَ آمنوا وتسكنُ وتستأنسُ قلوبُهم بذكرِاللهِ وتوحيدِهِ، وجيءَ بِصيغةِ المضارعِ لافادةِ دوامِ الاطمئنانِ واستمرارِهِ، و﴿تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ أي ألآ فانتبِهوا أيُّها القَومُ فإنَّ بِذكرِ اللهِ تستأنسُ وتسكنُ قلوبُ المُؤمنينَ، فلا يشعرونَ بِقلقٍ وإضطرابٍ من سوءِ العِقابِ، على عكس الذينَ إذا ذُكِرَاللهُ إشمأزَّت قلوبُهُم[٦٢٤]، وقيل أيضاً: الطمأنينةُ: السكونُ إسمٌ مِن إطمأنَّ إذا سَكَنَ[٦٢٥].

وفي الختام نرى أن الله سبحانه وتعالى استخدم هذه الكلمة(تَطْمَئِنُّ) بمعنى تسكن وتستأنس قلوب المؤمنين بذكر الله ولايشعرون بالقلق بتاتاً.

رابعاً: اطمئنان المؤمنين بنصر الله تبارك وتعالى يوم بدر:

وذلك في سورة(آل عمران) عندما يتحدّث عن إنزال الملائكة يوم(بدر)، لنصرة المؤمنين ولِتطمين قلوب المؤمنين المجاهدين فقط، وإنّما النصر الذي تحقّق هو مِن عندالله.

قال تعالى﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾(آل عمران: ١٢٦/٣).

وعدالله المؤمنين الصادقين بنصرتهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وحين مواجهتهم مع أعداء دين الله تبارك وتعالى، ولنصرتهم أنزل الملائكة.

قال الطبري في تفسير(وَلِتَطْمَئِنَّ) وكي تطمئنّ بِوَعدهِ الذي وعَدكم مِن ذلك قلوبكم فتسكن إليهِ، ولاتجزع مِن كثرة عددِ عدوّكم وقلة عددكم[٦٢٦]، وقال السمرقندي: كانت الفائدة في كثرة الملائكة

---

(٦٢٣) نخبة من اساتذة التفسير، التفسيرالميسَّر: ٤ / ٢٣٩. والجزائري، أيسرالتفاسير لكلام العلي الكبير:٤٢٨/٢.

(٦٢٤) الصابوني، صفوة التفاسير: ٥٨/٢.

(٦٢٥) البركتي، محمد عميم الإحسان، قواعد الفقه، مطبعة الصدف ببلشرز، ١٩٨٦م:٣٦٤/١. والزحيلي، التفسيرالمنير: ١٦٢/١٣.

(٦٢٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ٤ / ٥٥. والصابوني، صفوة التفاسير: ١ / ١٥٦ .

لتسكن قلوب المؤمنين[٦٢٧] ، وأشار الرازي الى: حصول الطمأنينة على أنّ إعانة الله ونصرته معهم فلايُجبنوا عن المحاربة، وهذا هوالمقصود الأصلي ففرق بين هاتين العبارتين تنبيهاً على حصول التفاوت بين هذين الأمرين في المطلوبية فكونه بشرى مطلوب ولكن المطلوب الأقوى حصول الطمأنينة[٦٢٨]، وقال النسفي: وهي كما كانت السكينة لِبني إسرائيل بشارة بالنصرِ وطمأنينة لِقلوبهم[٦٢٩]، وقال الأندلسي: الظاهر أن الهاء في(جعله) عائدة على المصدر والمفهوم من يمددكم وهو الامداد، وجوّز أن يعود على التسويم، أوعلى النصر، أوعلى التنزيل، أوعلى العدد، أوعلى الوعد[٦٣٠]، وقال ابن كثير: (وما أنزل الله الملائكة وأعلمكم بِإنزالهم إلاّ بشارة لكم وتطييباً لِقلوبكم وتطميناً)[٦٣١]، وعند البيضاوي: ولِتسكنَ إليهِ من الخوفِ[٦٣٢]، وعند الشوكاني: بِالامدادِ كي يجعل الله ذلك الامدادَ بُشرى بالنصرِ وطمأنينة للقلوب، وفي قصر الامداد عليها إشارة إلى عدم مباشرة الملائكة للقتال يومئذ[٦٣٣]، وعند الآلوسي: ولتسكن قلوبكم بالامداد فلا تخافوا كثرة عدد العدو وقلة عددكم[٦٣٤]، وفسّرها سيدقطب بقوله: وهكذا يحرصُ السياق القرآني على ردِّ الأمرِ كلِّهِ إلى اللهِ، كي لايعلِّق بِتصوُّر المسلم مايشوبُ هذه القاعدة الأصيلة: قاعدة ردّالأمرِ جملة إلى مشيئة اللهِ الطليقة، وإرادتهِ الفاعلة، وقَدَرِهِ المباشِر، وتنحية الأسباب والوسائل عن أن تكون هي الفاعلة، وإنَّما هي أداة تُحرِّكها المشيئة، وتُحَقِّقُ بها ماتُريد[٦٣٥]، وقال ابن عادل: حصول الطمأنينة بالنصر، فلايجنبون، وهذا هوالمقصود الأصلي ، فعطف الفعل على الاسم، ولماكان الأقوى حصول الطمأنينة، أدخل حرف التعليل على فعل الطمأنينة، فقال﴿وَلِتَطْمَئِنَّ ﴾[٦٣٦]، وقال ابن عاشور: السكون وعدم

---

(٦٢٧) السمرقندي، بحرالعلوم: ١ / ٣٠٩ .

(٦٢٨) فخرالدين الرازي، مفاتيح الغيب: ٤ /٣٧٧ .

(٦٢٩) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١ /١٨٠ .

(٦٣٠) السمرقندي، بحرالعلوم: ٣ / ٣٨٠ و ٣٨١ .

(٦٣١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ١ / ٤٠٩ .

(٦٣٢) البيضاوي، أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل: ١/١٨١.

وفيروزآبادي، تنويرالمقباس من تفسير ابن عبّاس. ص: ٤٥. والسيوطي والمحلي، تفسيرالجلالين. ص: ٨٨ .

(٦٣٣) الشوكاني، فتح القدير: ١/٥٧٠ .

(٦٣٤) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٣ / ١٩٩. ومقاتل، تفسيرمقاتل : ١ / ٢٤٧ .

(٦٣٥) سيدقطب، في ظلال القرآن: ٢ / ٩٦ .

(٦٣٦) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: ٤ / ٣١٨ .

الاضطراب، واستعيرت هنا ليقين النَّفس بحصول الأمر تشبيهاً للعلم الثابت بثبات النفس، أي: عدم اضطرابها، أي ماجعل اللهُ لأن تطمئنّ قلوبكم بهِ[٦٣٧]، وقال الزحيلي: وماجعل الله إمدادكم بالملائكة إلاّبشارة لكم بأنّكم تنصرون، ولالقاء الطمأنينة في قلوبكم بِانّ معونة اللهِ ونُصرتهِ معكم، أي أنّ للامداد بالملائكة غايتينِ: الأول: التبشير بالنصر على الأعداء، وإدخال السرور على القلوب، والثاني: تطمين المؤمنين بأنّ الله معهم وأنّهُ مُؤيّدهم فلا يجبنون عن المحاربة[٦٣٨].

وفي النهاية نرى أنّ كلمة وَلِتَطْمَئِنَّ تعني لتسكن وتستقرّ وتستأنس ولاتجبن ولاتخاف في مواجهة أعدائهم.

خامساً: اطمئنان المؤمنين بانزال الملائكة لنصرتهم يوم بدر:

ومرّة أخرى يبشّر وينصرالله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين في أوّل مواجهة لهم مع المشركين يوم بدر، ويطمئن قلوبهم بأنّه لايدعَهم في أيدي أعدائهم، بل يؤيدهم ويبشرهم بنصره،
وذلك في سورة الأنفال عندما يتحدّث سبحانه وتعالى عن انزال الملائكة يوم بدر لمواجهة المشركين.

قال تعالى﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(الأنفال: ١٠/٨). ومرّة أخرى يتحدّث سبحانه وتعالى عن نعمته واحسانه مع عباده الذين جاهدوا من اجل نصرة دينه ووحاربوا الشرك والكفر والطغيان، وأخرجوا من ديارهم، وعند المواجهة وجها لوجه أنزل الله جنوده من الملائكة ليبشرهم ويسكن قلوبهم ويطمئنهم بأن الله معهم ويؤيدهم بنصره، فلا تخافوهم.

قال الطبري في معنى﴿وَلِتَطْمَئِنَّ ﴾ولِتسكن قلوبكم بِمجيئِها(أي الملائكة)إليكم، وتوقن بنصر اللهِ لكم[٦٣٩]، ويرى البعضُ أنّها بشارة لكم بالنصرِ، كالسكينة لِبني إسرائيل، يعني أنّكم استغثتم وتضَرَّعتم لِقِلَّتِكم وذِلَّتِكم، فكان الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر، وتسكيناً منكم وربطاً على

(٦٣٧) ابن عاشور، التحرير والتنوير: ٣ / ٢١١ .
(٦٣٨) الزحيلي، التفسيرالمنير: ٤ / ٧٤ .
(٦٣٩) الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن: ٩ / ١٢٩ .

قلوبكم[٦٤٠]، وقال البيضاوي: فيزول مابِها مِن الوجل لِقلَّتكم وذِلَّتِكم[٦٤١]، وقال أبوالسعود: وتسكنَ إليه نفوسُكم كما كانت السكينةُ لبني إسرائيلَ كذلك[٦٤٢]، وقال الشوكاني: بالامداد قلوبكم، وفي هذا اشعارٌ بأنّ الملائكة لم يقاتلوا، بل أمدَّ الله المسلمين بهم للبُشرى لهم وتطمين قلوبهم وتثبيتِها، أي ولِتطمئنّ قلوبكم فَعَلَ ذلك لاِلشيءٍ آخَر[٦٤٣]، وقال الآلوسي: أي بالامداد قُلُوبكُمْ، وتسكن إليه نفوسكم وتزول عنكم الوسوسة والنصب[٦٤٤]، وقال مقاتل: يعنى لتسكن إليه قلوبكم[٦٤٥]، وقال الشنقيطي: فماجعل الله الامداد بالملائكةِ إلاّلِتطمئِنّ بهِ قلوبهم، وما غشاهم النعاس إلاّ أمَنَةً منهُ، وتمَّ كلُّ ذلك بما ربط على قلوبهم، فقاوموا بقتلهم قِوى الشّرّ على كثرتهم، وتمَّ النصرُ من عندِ اللهِ بِمَدَدٍ مِن اللهِ، وهذهِ آثارالطمأنينة والسكينة والربط على القلوب، فكانت الطمأنينة تثبيتاً لِلمؤمنين، والرعبُ زلزلة لِلكافرين، وذكر اللهُ تعالى أربعة أسبابٍ لِلطمأنينةِ: الأُولى: الثباتُ. والثانية: ذكراللهِ كثيراً. والثالِثة: طاعةاللهِ ورسولهِ. والرابعة: عدمُ التنازُلِ والاعتصام والالفة[٦٤٦]. وقال ابن عاشور: وفائِدة التبشير بإمداد الملائكة أن يوم بدر كان في أول يوم لقي فيه المسلمون عدواً قوياً وجيشاً عديداً، فبشرهم الله بكيفية النصرالذي ضمنه لهم بأنه بجيش من الملائكة، لأن النفوس أمْيل إلى المحسوسات، فالنصر معنى من المعاني يدق إدراكه وسكون النفس لتصوره بخلاف الصور المحسوسة من تصوير مَدد الملائكة ورؤية أشكال بعضهم[٦٤٧]، وقال سيدقطب: لقد استجاب لهم ربُّهم وهم يستَغِثّون، وأنبَئَهم أنّه مُمِدُّهم بِألفٍ من الملائكة مردِفين، ومع عظمةِ هذا الأمرِ ودِلالتهِ على قيمةِ هذهِ العُصبةِ وقيمة هذا الدينِ في ميزانِ اللهِ إلاّ أنّ الله ﷻ لايدَعُ المسلمين يفهمونَ أنّ هناك سبباً يُنشِيءُ نتيجةً، إنّما يَرُدُّ الأمرُ كلُّهُ إليهِ ﷻ تصحيحاً لِعقيدة المسلمِ وتصوُّرهِ، فهذهِ الاستِجابةُ، وهذا المددُ، وهذا الاخبارُبهِ، كلُّ ذلك لم يكن إلاّبُشرى، ولِتطمئِنَّ بهِ القلوب[٦٤٨]، وما جعل الله ذلك الامداد إلا بشارة لكم بالنصر،

---

(٦٤٠) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٢٠٢/٢.
والنسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٩٦/١ .

(٦٤١) البيضاوي أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل: ١ / ٣٨٦ .

(٦٤٢) أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ٣ / ٩٩ .

(٦٤٣) الشوكاني، فتح القدير: ٢ / ٤٢٢ .

(٦٤٤) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٧ / ٢٧ .

(٦٤٥) مقاتل، تفسيرمقاتل: ٢ / ٢٧ .

(٦٤٦) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٨ / ٢٠ و ٢١ .

(٦٤٧) ابن عاشور، التحرير والتنوير: ٩ / ٣٤ .

(٦٤٨) سيدقطب، في ظلال القرآن: ٢/ ٣٧٢.

ولتسكن به قلوبكم، وتوقنوا بنصر الله لكم[٦٤٩]، وقيل: تسكن بعد ذلك الاضطراب والخوفِ الذي عرض لكم اجمالا[٦٥٠]. ويرى المصطفوي أنّ الإطمئنان مادّي ومعنوي، فالمادي كما ورد في سورة (النحل). وهي: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾(النحل: ١١٢/١٦).

والمعنوي ما ورد في هذه الآيات:

١- قال تعالى﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ﴾(الأنفال: ١٠/٨).

٢- قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾(الرعد: ٢٨/١٣).

٣- وفي قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴾(الفجر: ٢٧/٨٩).

٤- وفي قوله تعالى:﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾(النحل: ١٠٦/١٦).

فالإطمئنان في القلب انّما يتحصّل بنور اليقين والشهود بحيث يرتفع الاضطراب والتزلزل والتّردّد.

وهو إمّا مطلق أو في مقابل أمر معيّن وبالنسبة اليه: فالأوّل كما في آيتَي (٢ و ٣). والثاني كما في آيتي (١ و ٤)، فإنّ اطمينان قلوبهم في الأولى مورد غزوة بدر من جهة العدوّ:

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾(الأنفال: ٩/٨).

والرابعة تتعلّق بما أُكره فيه من جهات الأصول والاعتقاد.

وأمّا حصول الإطمينان في آيتي (٢ و ٣): فمطلق، ويراد تحقق الطمأنينة المطلقة في النفس وخروجها عن مطلق الاضطراب والتّردّد والتّزلزل في جميع مراحل الإيمان بالله تعالى وبأسمائه وصفاته وأفعاله ويوم البعث.

وهذه الطمأنينة لاتستقرّ في قلب الّا بعد تحقق المعرفة الشهودية ورسوخ نور اليقين، حتى يشاهد إحاطته وعلمه وقدرته وقيّوميّته ونفوذ ارادته وحكمه وسلطانه. ثمّ عبوديّة نفسه وفقره وذلّه.

وختاماً نرى أنّ هذه الكلمة تأتي بمعنى تسكن وتطمئن قلوب المؤمنين بنصرالله، وذلك بامدادهم بجيش من الملائكة في موجهة أعدائهم يوم بدرحيث أوّل مواجهة لهم مع جيش بهذا الحجم

---

(٦٤٩) نخبة من اساتذة التفسير، التفسير الميسّر: ٣ / ١٧٨. والصابوني، صفوة التفاسير: ١ / ٣٤٠ .

(٦٥٠) السمرقندي، بحرالعلوم: ٢ / ٣٣٧. و الزحيلي، التفسيرالمنير: ٩ / ٢٦٢ .

المبحث الثاني

الطمأنينة بمعنى الميل والرضى

إنّ البهجة بالحياة الدنيا والرضى بها يكون مقدارُالتوغل فيهما بمقدار مايصرف عن الاستعداد إلى الحياة الآخرة، وليس ذلك بمقتضى الاعراض عن الحياة الدنيا فإن الله أنعم على عباده بنعم كثيرة فيها وجب الاعتراف بفضله بها وشكره عليها والتعرف بها إلى مراتب أعلى هي مراتب حياة أخرى والتزود لها، وفي ذلك مقامات ودرجات بمقدار ماتهيأت له النفوس العالية من لذات الكمالات الروحية.

وقد وردت في السياق القرآني في أربعة مواضع يتحدّث سبحانه وتعاى عن الرضى بالحياة الدنيا وملذاتها والإطمئنان اليها وتفضيلها على الآخرة والركون اليها، وهذه المواضع هي: في(سورة يونس، آية رقم٧)، (سورة الحج، آية رقم١١)، (سورة النحل، آية رقم١٠٦)، (سورة الفجر، آية رقم٢٦).

أولاً: الرضى بالحياة الدنيا والميل والإطمئنان اليها:

وقد وردت ذلك في سورة (يونس) عندما يتحدّث سبحانه وتعالى عن الغافلين الذين فرحوا بزخارف الدنيا وملذاتها ولم يروا ان هناك حياة أخرى وهي الحياة الأبدية يجب العمل لها، وسكنت انفسهم وقلوبهم بالحياة الدنيا وركنوا اليها.

قال تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴾ (يونس:٧/١٠). في هذه الآية الكريمة يبين لنا سبحانه وتعالى الفرق بين الإنسان المؤمن والإنسان الكافر، كيف يعمل المؤمن ويجعل الدنيا مزرعة وتجارة يربح بها القيامة والحياة الأخروية، ومن جانب آخر الكافر الذي لايرى أنّ هناك البعث والحياة الأبدي، بل رضي بالدنيا وملذّاتها وسكنت نفسه وقلبه اليها.

قال الطبري في تفسير معنى﴿وَٱطۡمَأَنُّواْ﴾: إنّ الذين لايخافون لِقاءنا يوم القيامة، فَهُم لِذلك مُكذِّبون بالثواب والعِقاب، مُتنافسون في زِينَ الدنيا وزخارِفِها راضون بِها عِوَضاً مِن الآخِرةِ مُطمَئِنّين إليها

ساكنين، أولئِك مأواهم النار[٦٥١]، وعند الزمخشري: وسكنوا فيها سكون مَن لايزعج عنها، فبنوا شديداً، وأمّلوا بعيداً[٦٥٢]، وقال ابن الجوزي: آثروها، أو ركنوا إليها، لأنهم لا يؤمنون بالآخرة[٦٥٣]، وقال الرازي: فحقيقة الطمأنينة أن يزول عن قلوبهم الوجل، فإذا سمعوا الانذار والتخويف لم توجل قلوبهم وصارت كالميتة عند ذكرالله تعالى[٦٥٤]، ويقول القرطبي: فرحوا بها وسكنوا إليها[٦٥٥]، وقيل: يعني وسكنوا إليها مطمئنين فيها وهذه الطمأنينة التي حصلت في قلوب الكفار من الميل إلى الدنيا ولذاتها أزالت عن قلوبهم الوجل والخوف فإذا سمعوا الانذار والتخويف لم يصل ذلك إلى قلوبهم[٦٥٦]، وعند الكلبي: سكنت أنفسهم عن ذكر الانتقال عنها[٦٥٧]، وذهب ابن كثير إلى أنّه تعالى يُخبر عن حال الاشقياءِ الذين كفروا بِلِقاءِ اللهِ يوم القيامةِ، ولايرجون في لِقائهِ شيئاً ورضوا بهذه الحياة الدنيا، واطمئنّت إليها نفوسهم[٦٥٨]، وقال البيضاوي: سكنوا إليها مُقصِّرين هِمَمَهُم على لَذائذِها وزخارِفِها، أوسكنوا فيها سكون مَن لايزعجُ عنها[٦٥٩]، وقال البقاعي: ولماأُشير بالآية إلى انقراض الدنيا بأن الحادث لاثبات له، وقام الدليل القطعي على المعاد، ناسب تعقيبها بعيب من اطمأن إليها في سياق مبين أن سبب الطمأنينة إنكار الطمأنينة اعتقاداً أوحالاً، طمأنينة من لايزعج عنها مع ما يشاهدونه مع سرعة زوالها[٦٦٠]، وقال الآلوسي: فإنّ المراد أنّهم سكنوا فيها سكون من لايراح له آمنين من اعتراء المزعجات غير مخطرين ببالهم ما يسوءهم من العذاب، ورضوا بالحياة الدنيا الفانية الدنية وسكنوا إليها مكبين عليها قاصرين مجامع هممهم على لذائذها وزخارفها

---

(٦٥١) الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن: ١١ / ٦٢ .

(٦٥٢) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٢ / ٣٣٠.
والنسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١٥٤/١ .

(٦٥٣) ابن الجوزي، زاد المسير: ٣ / ٢٥٣ .

(٦٥٤) فخرالدين الرازي، مفاتيح الغيب: ٨ / ٢٢٩ .

(٦٥٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ٨ / ٣١٢ . والشوكاني، فتح القدير: ٢ / ٦١٧. والصابوني، صفوة التفاسير: ١ / ٣٩٤. والسيوطي والمحلي، تفسيرالجلالين. ص: ٢٧٣ . والأندلسي، البحرالمحيط : ٦ / ٢٦٣.

(٦٥٦) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل: ٣ / ٣٧٨. و ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: ٨/ ٤٢٢.

(٦٥٧) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل.ص: ٢٨٤ .

(٦٥٨) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٤٠٦/٢. وفيروزآبادي، تنويرالمقباس من تفسير ابن عبّاس. ص: ١٣١.

(٦٥٩) البيضاوي أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل: ٤٤٠/١ . والزحيلي، التفسيرالمنير: ١١ / ١١٣ .

(٦٦٠) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٤ / ٤٧ .

من غير صارف يلويهم ولاعاطف يثنيهم[٦٦١]، وعندابن عاشور: الاطمئنان: السكون يكون في الجسد وفي النفس،ومعنى﴿ وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا﴾ سكنت أنفسهم وصرفوا هِمَمَهُم في تحصيل منافِعِها ولم يسعوا لتحصيل ما ينفع في الحياة الآخرة، لأنّ السكون عند الشيء يقتضي عدم التحرك لغيره[٦٦٢]، وفسّرها سيد قطب بقوله: إنّ الذين لايتدبَّرون النِظام الكوني الموحي بِانّ لِهذا الكونِ خالِقاً مُدَبِّراً، لايُدرِكون أنّ الآخرة ضرورة من ضرورات هذا النظام، يَتِمُّ فيها تحقيق القسطِ والعدلِ، كما يَتِمُّ فيها ابلاغُ البشريّةِ إلى آفاقِها العُليا، ومِن ثَمَّ فهُم لايتوقَّعون لِقاء اللهِ، ونتيجة لِهذا القُصورِ، يَقِفون عند الحياة الدنيا بمافيها مِن نقصٍ وهبوط، ويَرضونها ويستغرقون فيها فلا ينكرون فيها نقصاً[٦٦٣]، وقيل: سكنوا إليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها، وسكنوا فيها سكون من يظن أنه لا ينزعج عنها[٦٦٤]، وقال بعضهم: إن الذين لايؤمنون بالبعث ولقاء الله فى اليوم الآخر، واعتقدوا واهمين أن الحياة الدنيا هى منتهاهم وليس بعدها حياة، فاطمأنوابها، ولم يعملوا لمابعدها، وغفلوا عن آيات الله الدالة على البعث والحساب[٦٦٥]، وقال آخرون: ورضوا بالحياة الدنيا عوضًا عن الآخرة، وركنوا إليها[٦٦٦]، وقال الجزائري: سكنوا إليها وركنوا فلم يروا غيرها حياة يُعمل لها[٦٦٧].

واخيرا يقول الله سبحانه وتعالى إنّ الكفار والاشقياء نتيجة حبّهم الجمُّ وميلهم للدنيا وزخارفها وملذّاتها نسوا الآخرة، ولايخافون من الإنذار أصلاً.

ثانياً: اطمئنان المرءِ بما يصيبه من المنافع عندما يدخل الى دين جديد:

وذلك في سورة(الحج)عندا يتحدّث سبحانه وتعالى عن الذين يدخلون الى دين الله طمعاً في الدنياوأن يجدون خيراً في زوجاتهم وتجاراتهم وزراعتهم وابلهم وأغنامهم، فإذا رأوا خيراً وبركة في ذلك بقوا على هذا الدين الجدين، وان لم تلد زوجاتهم غلاماً ولم تربحوا مالاً كثيراً في تجارتهم

---

(٦٦١) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٧ / ٤٣٨ .

(٦٦٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير: ١١ / ٣٤ .

(٦٦٣) سيدقطب، في ظلال القرآن: ٤ / ٣٩٣ و ٣٩٤ .

(٦٦٤) السمرقندي، بحرالعلوم: ٢ / ٤٧١ .

(٦٦٥) نخبة من العلماء، المنتخب في تفسير القرآن الكريم: ١ / ٣٣١ .

(٦٦٦) نخبة من اساتذة التفسير، التفسير الميسّر : ٣ / ٣٧٩.

والواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١ / ٣٠٩ .

(٦٦٧) الجزائري، أيسرالتفاسير لكلام العلي الكبير: ٢ / ١١٩ . و الزحيلي، التفسيرالمنير: ١١ / ١١٦ .

وزراعتهم وماشيتهم، ارتدوا، ولم يقبلوا الدين الجديد.

قال تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾(الحج: ١١/٢٢). وهذه الآية الكريمة يتحّث فيها سبحانه وتعالى عمّن يفرح بما يجده بعد دخوله في الدين الجديد(الإسلام)، واذا لم يجدوا خيرا ارتدواولم يقبلوا الدين الجديد.

وورد في سبب نزول هذه الآية الكريمة، كما يرويه لنا (عبدالله بن عباسﷺ قال﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ ﴾ قال: كان الرجل يقدم المدينة، فان ولدت امرأته غلاما ونتجت خيله، قال: هذا دينٌ صالحٌ، وان لم تلد امرأته ولم تنتج خيله، قال: هذا دين سوء(٦٦٨))(٦٦٩).

قال الطبري في معنى﴿ٱطۡمَأَنَّ﴾ استقرَّ بالاسلام وثبت عليهِ(٦٧٠)، وقال السمرقندي: إنْ أصابه سعة وغنية وخصب اطمأنّ به وقال: نِعمَ الدينُ دينُ محمد(ﷺ)(٦٧١)، وقال السعدي: إن استمر رزقه رغدا، ولم يحصل له من المكاره شيء، اطمأن بذلك الخير، لابإيمانه فهذا، قد يُعافيه الله، ولايقيض له من الفتن ما ينصرف به عن دينه(٦٧٢)، وقال الماوردي: يحتمل وجهين: أحدهما: اطمأن بالخيرإلى إيمانه.الثاني: اطمأنّت نفسه إلى مقامه(٦٧٣)، وقال الزمخشري أنّها تعني: على طرفٍ مِن الدينِ لا في وسطهِ وقلبهِ، وهذا مثل لِكونِهم على قلقٍ واضطرابٍ في دينهم، لاعلى سكون وطمأنينة، كالذي يكون على طرفٍ مِن العسكرِ، فإن أحسَّ بِظفرٍ وغنيمةٍ قرَّ واطمأنَّ، وإلاّ فرَّ وطار على وجههِ(٦٧٤).

---

(٦٦٨) البخاري، صحيح البخاري، الرقم:٤٧٤٢ : ٤٤٢/٨.

(٦٦٩) آل نصر، سليم بن عيدالهلالي ومحمد بن موسى آل نصر، الإستيعاب في بيان الأسباب: دار ابن الجوزي، الدمام ط٢، ١٤٣٠هـ : ٥٠١/٢ . والحميدان، أسباب النزول. ص: ٣٠٧. والواحدي، أسباب النزول. ص: ١٥٢.

(٦٧٠) الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن: ١٧ / ٩٣ . والنحّاس، معاني القرآن الكريم: ٤ / ٣٨٣ . والنسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٢ / ٩٥ .

(٦٧١)السمرقندي، بحرالعلوم: ٣ / ١٥١. وابن عادل، اللباب في علوم الكتاب : ١١ / ٣٨٥ .

(٦٧٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : ١ / ٥٣٤ .

(٦٧٣) الماوردي، النكت والعيون: ٣ / ١٠٦ .

(٦٧٤) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٣ / ١٤٦ .

وقيل: رضي به وسكن إليه[٦٧٥]، وذهب البيضاوي إلى أنّها نزلت في اعاريب قدموا المدينة، وكان أحدهم إذا صحَّ بدنه ونتجت فَرَسه مهراً سريّاً وولدت إمرأته غُلاماً سويّاً، وكَثُر ماله وماشيته، قال ماأصبتُ منذ دخلتُ في ديني هذا إلاّ خيراً، واطمأنَّ، وإن كان الأمرُ بِخِلافهِ قال ما أصبتُ إلاّشرّاً، وانقلب[٦٧٦]، وعندالبقاعي: ثبت على ماكان عليه ظاهراً اطمأنّ به اطمئنان المؤمنين الذين لايزَحزِحُهُم عاصِفٌ ولايُثنيهم عاطِف[٦٧٧]، ويرى الشوكاني أنها خيرٌدنيوي مِن رَخاءٍ وعافيةٍ وخصبٍ وكثرة مالٍ﴿ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦ﴾ ثبتَ على دينهِ، واستمرَّ على عبادتهِ، أواطمأنَّ قلبهُ بذلك الخير الذي أصابه[٦٧٨]، وذكر الفيروزآبادي انّ إبن عبّاس قال: رضِيَ بِدينِ محمد(ﷺ) بِلِسانهِ[٦٧٩]، وقال مقاتل: رضى بالاسلام، وإن أجدبت أرضه، ولم تنتج فرسه، وولدت له جارية، وسقم بالمدينة، ولم يجد عليه بالصدقات، قال: هذا دين سوء، ماأصابنى من دينى هذا الذى كنت عليه إلاّ شراً فرجع عن دينه[٦٨٠]، وعند ابن عاشور: معنى اطمأنّ: إستقرّ وسكن في مكانه، ومصدرهُ الاطمئنانُ واسم المصدر الطُمَأنينة[٦٨١]، وأضاف سيد قطب: الصِنف من الناس الذي يتحدَّثُ عنه السياق، فيجعل العقيدة صفقة في سوق التجارة، وإنّ الإيمان خيرٌ، فها هوذا يجلِب النفع، ويدر الضرع، وينمي الزرع، ويربح التجارة، ويكفِل الرواج[٦٨٢]، ومن الناس صنف ثالث لم يتمكن الإيمان من قلبه، بل هو مزعزع العقيدة، تتحكم مصالحه فى إيمانه، إنْ أصابه خير فرح به واطمأنّ، وإن أصابته شدة فى نفسه أوماله أو ولده ارتد إلى الكفر، فخسر فى الدنيا راحة الاطمئنان إلى قضاء الله ونصره، كما خسر فى الآخرة النعيم الذى وعده الله للمؤمنين الثابتين الصابرين، ذلك الخسران المزدوج هو

---

(٦٧٥) الخازن، لباب التاويل في معاني التنزيل: ٤ / ٤٣٣ .

(٦٧٦) البيضاوي أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل: ٢ / ٨٦ و٨٧ .

والسيوطي، أسباب النزول للسيوطي بهامش القرأن الكريم : ٣٣٨.

(٦٧٧) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٣٤٨/٥.

والآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١٧/١٣.

(٦٧٨) الشوكاني، فتح القدير: ٣ / ٦٢٩ .

(٦٧٩) فيروزآبادي، تنويرالمقباس من تفسير ابن عبّاس. ص: ٢٠٦ .

(٦٨٠) مقاتل، تفسيرمقاتل: ٢ / ٣٧٣ .

(٦٨١) ابن عاشور، التحرير والتنوير: ١٧ / ١٥٤ .

(٦٨٢) سيدقطب، في ظلال القرآن: ٥ /٥٨٥ .

الخسران الحقيقى الواضح[٦٨٣]، وقال الجزائري: اي سكنت نفسه إلى الاسلام ورضي به[٦٨٤]، وقيل: الذي يتبع الهوى إن رضي قلبه وفرحت نفسه بعاجل حظها اطمأن به، وإلاّ رجع إلى ما يدعوه الهوى من الكفر[٦٨٥]، وقال الصابوني: فإن ناله خيرٌ في حياتهِ مِن صحَّة ورخاءٍ أقام على دينهِ[٦٨٦].

وأخيراً نرى أنّ الله تبارك وتعالى يقول كان بعض الناس يدخل الإسلام بنية المنفعة، فإن أصابه خيرٌفي ماله وأهله وزراعته وخيله وماشيته،بقي واستقام على دينه، والّا رجع الى الكفر.

ثالثاً: الإطمئنان بالإيمان بالله سبحانه وتعالى:

وذلك في سورة النحل، حيث يتحدّث سبحانه وتعالى عمّن تلفظ بالكفر مكرهاً، وقلبه ثابت مستقرّ على الدين فلاحرج في ذلك.

قال تعالى﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾(النحل: ١٠٦/١٦). وفي هذه الاية الكريمة يتحدّث سبحانه وتعالى عن الصحابي الجليل كما ورد في الأحاديث أن المشركين عذّبوا عمار بن ياسرﷺ، وتلفظ بكلمة الكفر، ولكن مكرهاً، وكان قلبه مطمئن ساكن مستقرٌّ بالإيمان فلا يؤخذ عليه.

وهذا يُبيّنُ رحمةَ اللهِ بالانسانِ أنّها لايُكفرُ من أُجبِرَ على تلَفُّظِ الكُفرِ مالمْ يدخلْ في قلبه شَكٌّ أوزَيْغٌ عن اللهِ أورسولهِ(ﷺ) أودينهِ، وهذه الآية تُبيّنُ ذلك عندما قامَ المُشركونَ في مكّة بِتَعذيبِ المُسلمينَ ومِن بينِهِم آل ياسر(ﷺ) أبى والداهُ من كَلِمةِ الكُفرِ واستُشْهِدوا، ولكن (عمّار) أعطاهُم بِلِسانهِ ماأرادوا ولكنْ مُكرهاً، وشَهِد رسولُ الله (ﷺ) على إيمانه بعدَ ذلك، كما ستُبيَّنُ لآحقاً عندما نأتيِ بآراءِ المُفَسّرينَ، وذلك يدلُّ على جوازِ التّكَلُّمِ بالكُفرِ عند الاكراه.

مما ورد في سبب نزول هذه الآية الكريم هو ما روى لنا ابْنُ عَبَّاسٍﷺ أنه قال: نَزَلَتْ فِي عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ أَخَذُوهُ وَأَبَاهُ يَاسِرًا وَأُمَّهُ سُمَيَّةَ وَصُهَيْبًا وَبِلَالًا وَخَبَّابًا وَسَالِمًا فَعَذَّبُوهُمْ،

---

(٦٨٣) لجنة من علماء الازهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم: ٢ / ٦٠ .

(٦٨٤) الجزائري، أيسرالتفاسير لكلام العلي الكبير: ٢ / ٤٩٦ .

(٦٨٥) التُستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع(ت: ٢٨٣هـ)، تفسير التستري، جمعها: أبوبكر محمد البلدي، المحقق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ : ١/ ٣٤٠.

(٦٨٦) الصابوني، صفوة التفاسير: ٢ / ١٩٤ .

فَأَمَّا سُمَيَّةُ فَإِنَّهَا رُبِطَتْ بَيْنَ بَعِيرَيْنِ وَوُجِئَ قُبُلُهَا بِحَرْبَةٍ، وَقِيلَ لَهَا: إِنَّكِ أَسْلَمْتِ مِنْ أَجْلِ الرِّجَالِ فَقُتِلَتْ وَقُتِلَ زَوْجُهَا يَاسِرٌ وَهُمَا أَوَّلُ قَتِيلَيْنِ قُتِلَا فِي الْإِسْلَامِ. وَأَمَّا عَمَّارٌ فَإِنَّهُ أَعْطَاهُمْ مَا أَرَادُوا بِلِسَانِهِ مُكْرَهًا، فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنَّ عَمَّارًا كَفَرَ، فَقَالَ: "كَلَّا، إِنَّ عَمَّارًا مُلِئَ إِيمَانًا مِنْ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ وَاخْتَلَطَ الْإِيمَانُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ"، فَأَتَى عَمَّارٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَبْكِي، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَمْسَحُ عَيْنَيْهِ، وَقَالَ: "إِنْ عَادُوا لَكَ فَعُدْ لَهُمْ بِمَا قُلْتَ"، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ. وقال مُجَاهِدٌ: نَزَلَتْ فِي نَاسٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ آمَنُوا، فَكَتَبَ إِلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ: أَنْ هَاجِرُوا فَإِنَّا لَا نَرَاكُمْ مِنَّا حَتَّى تُهَاجِرُوا إِلَيْنَا، فَخَرَجُوا يُرِيدُونَ الْمَدِينَةَ فَأَدْرَكَتْهُمْ قُرَيْشٌ بِالطَّرِيقِ فَفَتَنُوهُمْ مُكْرَهِينَ، وَفِيهِمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ[٦٨٧].

قال الشّافعي(رحمه الله): قلوبُهم على الطمأنينة بالايمانِ وخِلاف الكُفرِ[٦٨٨]، وقال الطبري (عن أبي عُبَيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر، قال: أخذ المُشركون عمّار بن ياسر، فعذّبوهُ حتّى باراهم في بعضِ ما أرادوا، فَشَكا ذلك إلى النّبيّ(ﷺ)، فقال النّبيّ(ﷺ): كيف تجدُ قلبكَ؟ قال: مُطمئِناً بالايمانِ، قال النبيّ(ﷺ): فإنْ عادوا فَعُدْ)، فتأويلُ الكلامِ إذاً: مَن كَفَرَ باللهِ من بعدِ إيمانهِ إلاّ مَنْ أُكرِهَ على الكُفرِ فَنَطَقَ بِكلِمةِ الكُفرِ بِلِسانهِ وقلبُهُ مطمئِنٌّ بالايمانِ مُوقِنٌ بِحقيقتهِ صحيحٌ عليهِ عزمهُ غير مَفسوحِ الصّدرِ بالكُفرِ لكن مَن شَرَحَ بالكُفرِ صدراً واختارَهُ وآثَرَهُ على الايمانِ وباحَ بهِ طائِعاً فعَلَيهِم غَضَبٌ مِن اللهِ ولَهُم عذابٌ عظيم، وقيل: فأخبرَ اللهُ سبحانهُ أنّهُ مَن كَفَرَ من بعدِ إيمانهِ فعَلَيهِ غَضَبٌ مِن اللهِ ولَهُ عذابٌ عظيم فأمّا من أُكرِهَ فتكلَّم بهِ لِسانهُ وخالفهُ قلبهُ بالإيمانِ لِيَنْجُوَ مِن عدُوِّهِ، فلاحرجَ عليهِ، لأنّ سبحانهُ إنّما يأخذُ العبادَ بِما عقدتْ عليهِ قلوبُهم[٦٨٩]، وقال البغويّ: أجمعَ العُلَماءُ على أنّ مَن أُكرِهَ على كلمة الكُفرِ، يجوز لهُ أنْ يقولَ بِلِسانهِ، وإذ قال بِلِسانهِ غيرَ مُعتقِدٍ لايكونُ كُفراً، وإنْ أبى أنْ يقولَ حتّى يُقْتَلَ كان أفضل[٦٩٠]، ويرى الزمخشريّ أنّ﴿ مَن كَفَرَ﴾بدلٌ من الذين لايُؤمنون بآياتِ اللهِ،على أن يجعل﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴾(النحل: ١٠٥/١٦). إعتِراضاً بين البدلِ والمُبدلِ منهُ، والمعنى: إنّما يفتري الكذبَ مَن كفَرَ باللهِ مِن بعدِ إيمانهِ، واستثنى منهم

---

(٦٨٧) الحميدان، أبوالحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي(ت٤٦٨هـ)، أسباب نزول القرآن، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دارالإصلاح – الدمام، ط٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م. ص: ٢٨١.

(٦٨٨) الشافعي، الأُم : ٢٩٤/٧.

(٦٨٩) الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن: ١٢٢/١٤.

(٦٩٠) البغوي، معالم التنزيل: ٩٨/٣ .

المُكرهَ فلَم يَدخلْ تحتَ حُكم الافتِراءِ[٦٩١]، وقال ابن الجوزي: أي: ساكن إليه راضٍ به[٦٩٢]، وقال الرازي: يدل على أن محل الايمان هو القلب والذي محله القلب إما الاعتقاد، وإما كلام النفس، فوجب أن يكون الإيمان عبارة إما عن المعرفة وإما عن التصديق بكلام النفس، والله أعلم[٦٩٣]، وعند أبوحيّان: ولما كان الكفر يكون باللفظ وبالاعتقاد، استثنى من الكافرين من كفر باللفظ وقلبه مطمئن بالإيمان، ورخص له في النطق بكلمة الكفر إذكان قلبه مؤمناً، وذلك مع الاكراه، والمعنى: إلا من أكره على الكفر، تلفظ بكلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان[٦٩٤]، وقال البيضاويّ: لم تتغيّرعقيدتهُ، وفيهِ دليلٌ على أنّ الإيمانَ هو التصديقُ بالقلبِ[٦٩٥]، وعندالسيوطي:﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ ﴾ على التّلفُّظِ بالكُفرِ فتلَفَّظَ بهِ، ﴿ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ ومَن مبتدأ أوشرطيّة والخبرُ أوالجوابُ لهُم وعيدٌ شديدٌ دلّ على هذا[٦٩٦]، وقال أبوالسعود: والحالُ أن قلبه مطمئنٌّ بالإيمان لم تتغير عقيدتُه، وإنما لم يصرَّح به إيماءً إلى أنه ليس بكفر حقيقة، وفيه دليلٌ على أن الإيمانَ هوالتصديقُ بالقلب[٦٩٧]، وقيل: ولأنّ بهذا الاظهارِ أنّه لا يُفَوّتُ حقيقةَ الايمانِ لأنّ التّلفُّظَ في هذهِ الحالةِ لاتدُلُّ على تَبَدُّلِ الاعتِقادِ لِقيام التصديقِ بهِ فرخّصَ لهُ إحياءً لِنفسهِ، وفي المحيطِ وغيرهِ هذهِ المسألةُ على ثلاثةِ أوجُهٍ: أحدُها: أن يكونَ قلبُهُ مطمئِنّاً ولم يخطرْ على بالهِ شيءٌ سِوى ماأُكرِهَ عليهِ. والثّاني: أن يخطرَ بِبالهِ الخبرُ بالكفرِ عمّا مضى بالكذبِ بأن لم يكنْ كَفَرَ قطُّ فيما مضى وقال أردتُ الخبرَ عمّا مضى كاذباً ولم أُرِد كُفراً مُستقبلاً فهذا يُكفَّرُ قضاءً ولايُكفَّرُ ديانةً. والثالثُ أن يقولَ لَم يخطِر بِبالي كُفرٌ في الماضي وأردتُ الكُفر مُستقبلاً فهذا يُكفَّرُ قضاءً وديانةً[٦٩٨]، ويرى الشوكاني أنّ﴿وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ في محلّ نصبٍ على الحالِ من المُستثنى: أي إلاّ مَن كَفَرَ بإكراهٍ، والحالُ أنّ قلبهُ مطمئنٌّ بالايمانِ لَم تَتَغيَّر عقيدتهُ، وليس بعد هذا الوعيدِ

---

(٦٩١) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٦٣٦/٢. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٢ / ٥٨٤ .

(٦٩٢) ابن الجوزي، زاد المسير: ٤ / ١٢٩. و النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٣٠٠/٢ .

(٦٩٣) فخرالدين الرازي، مفاتيح الغيب: ٩ / ٤٧٣ .

(٦٩٤) السمرقندي، بحرالعلوم: ٧ / ٢٩٤ .

(٦٩٥) البيضاوي، أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل: ٣٦٧ .

(٦٩٦) السيوطي والمحلي، تفسيرالجلالين. ص: ٣٦٧ .

(٦٩٧) أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ٤ / ١٥٥ .

(٦٩٨) ابن نجيم المصري، البحرُالرّائق شرح كنز الدقائق : ٨٣/٨ .

العظيمِ وهوالجمعُ للمُرتدّينَ بين غضبِ اللهِ وعظيمِ عذابهِ[٦٩٩]، وقال الآلوسي: وأصل معنى الاطمئنان سكون بعد انزعاج، والمراد هنا السكون والثبات على ما كان عليه بعد إزعاج الاكراه، وإنما لم يصرح بذلك العامل إيماءً إلى أنه ليس بكفر حقيقة[٧٠٠]، وقال سيدقطب: ولَقَد لَقِيَ المُسلمون الأوائل في مكّة مِن الأذى ما لايُطيقُهُ إلاّ مَن نوى الشّهادةَ، آثرَ الحياة الأُخرى، ورضى بعذاب الدنيا عن العَودةِ إلى مِلّةِ الكفرِ والضلال، والنصّ هنا يغلظ جريمة مَن كفرَ باللهِ مِن بعدِ إيمانهِ، لأنّهُ عرفَ الإيمانَ وذاقَهُ ثمّ ارتدَّ عنهُ إيثاراً للحياة الدنيا على الآخرة، فَرَماهم بغضبٍ مِن اللهِ، وبالعذابِ العظيمِ، والحِرمان مِن الهدايةِ، ووصفهم بالغفلةِ وانطماس القلوبِ والسّمعِ والأبصارِ وحكمَ عليهم بأنّهم في الآخرةِ هم الخاسرون،...ذلك أنّ العقيدةَ لايجوزُ أن تكونَ مَوضِعَ مُساومَةٍ، وحسابٍ للربحِ والخسارةِ، ومتى أمن القلب باللهِ فلا يجوزُ أن يدخُلَ عليهِ مُؤثِّرٌ من مُؤثِّراتِ هذهِ الأرضِ، فلِلأرضِ حِسابٌ، ولِلعقيدةِ حسابٌ ولا يتداخلانِ، وليست العقيدةُ هزلاً، وليست صفقةً قابلةً لِلأخذِ والردِّ، فهي أعلى من هذا وأعَزُّ، ومن ثمَّ كلُّ هذا التغليظ في العقوبةِ والتفظيعُ لِلجريمة، واستثنى مِن ذلك الحكم الدامغِ مَن أُكرِهَ وقلبهُ مطمئنٌّ بالإيمانِ، أي مَن أظهرَ الكفرَ بِلسانهِ نجاةً لِروحهِ مِن الهلاكِ، وقلبهُ ثابتٌ على الإيمانِ مرتكِنٌ إليهِ مطمئنٌّ بهِ[٧٠١]، ويرى ابن عاشور: أنّها ترخيص ومعذرة لِمَا صدر من عماربن ياسر وأمثالِه إذا اشتدّ عليهم عذاب من فتنوهم[٧٠٢]، وقال الجزائري: لايخامره شك ولايجد اضطراباً ولا قلقاً فقال كلمة لفظاً فقط، فهذا كعمار بن ياسر كانت قريش تكرهه على كلمة الكفر فأذن الرسول(ﷺ) في قولها بلسانه[٧٠٣]، وقال بعضهم: مَن أُرغم على النطق بالكفر، فنطق به خوفًا من الهلاك وقلبه ثابت على الإيمان، فلا لوم عليه، لكن من نطق بالكفر واطمأن قلبه إليه، فعليهم غضب شديد من الله، ولهم عذاب عظيم وذلك بسبب إيثارهم الدنيا وزينتها[٧٠٤]، وقال الزحيلي: إلاّ إذا أُكرِهَ بسببِ الضربِ والأذى، وقلبهُ يأبى ما ينطقُ به في الظاهرِ، وهومطمئنٌّ بالإيمانِ باللهِ ورسولهِ بعد الانزعاجِ الحاصِلِ بسببِ الاكراهِ الحاصِلِ، كما فعلَ عمّار بن ياسر حينما عذّبوهُ مُشركو مكّةَ اطمأنّ، وأصلُ الاطمئنانِ: سكونٌ بعدَ انزعاجٍ، والمُرادُ هُنا السكونُ والثّباتُ

---

(٦٩٩) الشوكاني، فتح القدير: ٢٨٢/٣ .

(٧٠٠) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١٠ / ٣١٠ .

(٧٠١) سيدقطب، في ظلال القرآن: ٢٨٣/٥ .

(٧٠٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير: ٨ / ١٣٨ . والسمرقندي، بحرالعلوم: ٢ / ٤٨٦ .

(٧٠٣) الجزائري، أيسرالتفاسير لكلام العلي الكبير: ٢ / ٣٢٣ .

(٧٠٤) نخبة من اساتذة التفسير، التفسيرالميسر: ٤ / ٤٧٥ .

على الايمانِ[٧٠٥]، وقال الصابوني: إلاّ مَن تَلَفَّظَ بكلمةِ الكفرِ مُكرهاً والحالُ أنّ قلبهُ مَمْلوءً إيماناً ويقيناً، والآيةُ تغلظُ جريمةَ المُرتَدِّ، لأنّه عرفَ الإيمانَ وذاقهُ ثمّ ارتدَّ إيثاراً للحياةِ الدُّنيا على الآخرةِ[٧٠٦].

وفي الختام نقول أنّ الله تبارك وتعالى يقصد انّ مَن أجبر على التلفّظ بكلمة الكفر وأُكرِهَ، وقلبه مطمئن ساكن ثابت مستقرٌّ على الإيمان، لايؤخذ عليه، ولا لوم عليه.

رابعاً: النفس المطمئنة المؤمنة، والراضية القانطة لله تعالى:

وذكرالله تبارك وتعالى﴿ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾، في سورة(الفجر)، عندما يتحدّث عن النفس الراضية المؤمنة، الساكنة المطمئنة المصدّقة بذكرالله تعالى.

قال تعالى﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴾(الفجر: ٢٧/٨٩). هذه الآية الكريمة ضمن الايات الأربعة الأخيرة استكمالٌ لمشاهد القيامة السابقة، والتي تكلّمت عن جزاء الكافرين، وهذه الآيات الأربع تتكلّم عن جزاء المؤمنين، تبتدئ الايات بالنداء الى النّفس السّاكنة المطمئنّة بإيمانها ويقينها، يُناديها الله فيقول: يا أيّتُها النفس المطمئنة، ارجعي الى ربّك، ونالي من ثوابه وجزائه، فأنت كنت راضية عن ربّك، فأنتِ عنده اليوم مرضية، فادخلي في عداد العباد المنسوبين الى الله، عبادالرحمن، وادخلي جنة الله، فالنفس الراضية عن ربّها في الدنيا مرضيّة عندالله في الآخرة.

فسّر الطبري أنّ الله(ﷻ) يقول مُخبِراً عن قيل الملائكةِ لِأَوليائهِ يوم القيامةِ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ يعني بالمطمئنّةِ التي اطمأنّت إلى وعدِاللهِ الذي وعد أهل الإيمانِ بهِ في الدُنيا مِن الكرامةِ في الآخرةِ فصدَّقتْ بِذلك، وقد اختلف أهلُ التّأويلِ في تأويلِ ذلك، قال بعضُهُم: المصدِّقة، وعن قتادة هو المؤمِنُ اطمأنَّت نفسهُ إلى ما وعدهُ، وقال آخرون بل معنى ذلك المصدِّقةُ المُوقِنةُ بأنَّ اللهَ ربَّها المسلِمةُ لأَمرهِ فيما هو فاعلٌ بها، وعن مُجاهِد قال أيقَنَتْ بأنَّ اللهَ ربَّها وضربتْ لأَمرهِ جأشاً[٧٠٧]، وقال القرطبي: لمّاذكرَ مَن كانتْ همُّهُ الدنيا فاتَهُمُ اللهُ في إغناءهِ وإفقارهِ، ذكر حالُ مَن اطمأنَّت نفسُهُ إلى اللهِ تعالى، فسَلَّمَ لِأَمرهِ، واتَّكلَ عليهِ، وقيل هو مِن قولِ الملائكةِ لِأَولياءِ اللهِ عزّ وجلّ﴿ٱلنَّفْسُ

(٧٠٥) الزحيلي، التفسيرالمنير: ٢٤٢/١٤ .

(٧٠٦) الصابوني، صفوة التفاسير: ١٠٠/٢ .

(٧٠٧) الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن: ١٢١/٣٠ .

ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾السّاكِنةُ الموقِنةُ، أيقَنَتْ أنّ اللهَ ربَّها فأخبَتَتْ لِذلك قالُ مُجاهِد وغيرهُ، وقال الحسنُ: المؤمِنةُ الموقِنةُ، وعن مجاهد أيضاً: الرّاضية بقضاء اللهِ، التي عَلِمَتْ أنَّ ماأخطأها لمْ يكنْ لِيُصيبَها، وأنّ ماأصابها لم يكن لِيُخطِئَها، وقال مُقاتِل: ألآمِنةُ مِن عذابِ اللهِ، وقال ابنُ زيد: المطمئِنّةُ لِأنّها بُشِّرتْ بالجنّةِ عندالموتِ، وعندالبعثِ، ويومَ الجمعِ، أو كلِّ نفسٍ مُؤمِنٍ مُخلِصٍ طائعٍ. قال الحسن البصريّ: إنّ اللهَ تعالى إذا أراد أنْ يقبِضَ روحَ عبدِهِ المؤمِن إطمأنّتْ النفسُ إلى اللهِ تعالى، واطمأنَّ الله إليها[٧٠٨]،وقال الحلبي: أي الساكنة لما علمت من رضى ربّها عنها بامتثال أمره واجتناب نهيه[٧٠٩]. وقال ابن القيم: وحقيقة الطمأنينة التي تصير بها النفس مطمئنة، أن تطمئنّ في باب معرفة أسمائه وصفاته، ونعوت كماله إلى خبره الذي أخبر به عن نفسه، وأخبرت به عنه رسله فتتلقّاه بالقبول والتسليم، والاذعان، وانشراح الصدر له، وفرح القلب به،... فالنفس المطمئنة والملك وجنده من الإيمان يقتضيان من النفس المطمئنة التوحيد والاحسان والبر والتقوى والصبر والتوكل والتوبة والانابة والاقبال على الله وقصر الأمل والاستعداد للموت ومابعده[٧١٠]، فالنفس المطمئنة إذا سكنت إلى الله، واطمأنت بذكره، وأنابت إليه، واشتاقت إلى لقائه، وأنست بقربه، فهي مطمئنة وهي التي يقال لها عند الوفاة: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾(الفجر:٨٩/٢٧ و٢٨))[٧١١]، وقال النحّاسُ: المُطمئِنَّةُ بوعداللهِ جلّ وعزَّ ووعيدِهِ[٧١٢]، وقال السمرقندي: التي اطمأنت بلقاء الله عز وجل، ويقال: (ٱلْمُطْمَئِنَّةُ) يعني: الراضية بثواب الله تعالى، القانعة بعطاء الله، الشاكرة لنعمائه تعالى[٧١٣]، وقال الماوردي: فيه سبعة تأويلات: أحدها: يعني المؤمنة، قاله ابن عباس. الثاني: المجيبة، قاله مجاهد. الثالث: المؤمنة بما وعدالله، قاله قتادة. الرابع: وهو في حرف ابيّ بن كعب يا أيّتُها النفسُ الآمنة المطمئنة. الخامس: الراضية، قاله مقاتل. السادس: ما قاله بعض أصحاب الخواطر: المطمئنة إلى الدنيا، ارجعي إلى ربك في تركها. السابع: ما قاله الحسن أن الله

---

(٧٠٨) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ٥٧/٢٠ و ٥٨ .

(٧٠٩) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ في في تفسير اشرف الالفاظ: ٢/ ٤٨١ .

(٧١٠) إبن قيّم الجوزية، الروح. ص: ٣٠٨. و ٢٩٩.

(٧١١) فريد، أحمد، تزكية النفوس، دار العقيدة للتراث، الإسكندرية، ١٩٩٣ م. ص: ٦٧ .

(٧١٢) النحاس، معاني القرآن. ص: ١٣٢١.

(٧١٣) السمرقندي، بحرالعلوم: ٤ / ٤٠٦ .

تعالى إذا أراد أن يقبض روح عبده المؤمن اطمأنت النفس إلى الله عز وجل، واطمأن الله إليها[٧١٤]، وذهب الزّمخشري الى أنّ﴿ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ تعني: الآمِنةُ التي لايسْتَفِزُّها خوفٌ ولا حَزَنٌ، وهي النفسُ المؤمِنةُ أو المطمئِنّةُ إلى الحقّ التي سكَنَها ثلجُ اليقينِ فلا يُخالِجُها شكٌّ، فإن قُلتَ: متى يُقالُ لها ذلك؟ قُلتُ: إمّا عندَ المَوتِ، وإمّا عندَ البعثِ، وإمّا عند دخول الجَنَّةِ، على معنى إرجِعي إلى موعدِ ربّكِ ﴿رَاضِيَةً﴾ بما أُتيتَ ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ عندالله ﴿فَٱدْخُلِي فِي عِبَدِى﴾(الفجر: ٢٩/٨٩)[٧١٥]، وقال ابن الجوزي: فيه ثلاثة أقوال: أحدها: المؤمنة، قاله ابن عباس. وقال الزجاج: المطمئنة بالإيمان. والثاني: الراضية بقضاء الله، قاله مجاهد. والثالث: الموقنة بما وعد الله، قاله قتادة[٧١٦]، ويقول الرازي: الاطمئنان هوالاستقرار والثبات، وفي كيفية هذا الاستقرار وجوه أحدها: أن تكون متيقنة بالحق، فلا يخالجها شك. وثانيها: النفس الآمنة التي لايستفزها خوف ولاحزن[٧١٧]، وتابع الكلبي سابقيه بقوله: الموقِنةُ يقيناً قد اطمأنّتْ بهِ حيثُ لايتطرَّقُ إليها شكٌّ في الإيمانِ، وقيل المطمئنّة التي لاتخاف[٧١٨]، وقال الخازن: أي الثابتة على الايمان، والايقان، المصدقة بما قال الله تعالى، الموقنة التي قد أيقنت بالله تعالى، وبأن الله ربها، وخضعت لأمره، وطاعته، وقيل المطمئنة المؤمنة، الموقنة، وقيل هي الراضية بقضاء الله، وقيل هي الآمنة من عذاب الله، وقيل هي المطمئنة بذكرالله[٧١٩]، ويقول أبوحيان: الآمنة التي لايلحقها خوف ولاحزن، أوالتي كانت مطمئنة إلى الحق لم يخالطها شك[٧٢٠]، وقال ابن القيّم: فَتُسمّى مطمئنّةً باعتِبارِ طمأنينتِها إلى ربِّها بِعبوديّتِهِ، ومحبّتِهِ والانابةِ إليهِ والتّوَكُّلِ عليهِ والرّضا بهِ والسُّكونُ إليهِ[٧٢١]، وقال ابن كثير: (فأمّا النفسُ الزكيّة المطمئنّة، وهي الساكنة الثابتة الدائرة مع الحقّ، فيُقال لها ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ، ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ أي إلى جِوار

---

(٧١٤) الماوردي، النكت والعيون: ٤ / ٤١٨ .

(٧١٥) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٧٥٢/٤ .

(٧١٦) ابن الجوزي، زاد المسير: ٦ / ١٥٩ .

(٧١٧) فخرالدين الرازي، مفاتيح الغيب: ١٧ / ١٩ .

(٧١٨) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل.ص: ٧٨٩.

(٧١٩) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل: ٦ / ٢٦٣ .

(٧٢٠) السمرقندي، بحرالعلوم: ١٠ /٤٨١ . والنسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٣٥٧/٢ .

(٧٢١) إبن قيّم الجوزية، الرّوح : ٢٩٨ .

ربهِ وثوابهِ وما أُعِدَّ لِعبادهِ في جنَّتهِ)[٧٢٢]، ورأى البيضاوي أنّها: على إرادةِ القولِ وهي التي إطمأنّتْ بِذِكرِ اللهِ، فإنّ النّفسَ تترقّى في سلسلةٍ مِن الأسبابِ و المسبّباتِ إلى الواجبِ لِذاتهِ فتستقِرُّ دونَ معرفَتِهِ وتستغنى بهِ عن غيرهِ أو إلى الحقّ بحيثُ لايريها شكٌّ، أو الآمِنةُ التي لايستَفِزُّها خوفٌ ولاحَزَنٌ[٧٢٣]، وقال الفيروزآبادي أنّ ابن عباس فسّر هذهِ الآية بِأنّها: الآمِنة مِن عذابِ اللهِ، الصادقة بِتوحيداللهِ، الشاكِرِ بِنِعَماءِ اللهِ، الصابرةِ بِبلاءِ اللهِ، الراضيةِ بِقضاءِاللهِ، القانعةِ بعطاءِ الله...[٧٢٤]، وقال أبوالسعود: حكايةٌ لأحوالِ مَنِ اطمأنَّ بذكرِالله عزَّ وجلَّ وطاعتِه إثرَ حكايةِ أحوالِ مَنِ اطمأنَّ بالدُّنيَا، وصفتْ بالاطمئنانِ لأنَّها تترقَى في معارجِ الاسبابِ والمسبباتِ إلى المبدأ المؤثرِ بالذاتِ فتستقرُ دونَ معرفتِه وتَستْغني بهِ في وجودِها وسائرِ شؤونِها عن غيره بالكليةِ، وقيل هي النفسُ المؤمنةُ المطمئنةُ إلى الحقّ الواصلةُ إلى ثَلَجِ اليقينِ بحيثُ لايُخالجها شكٌّ مَا. وقيلَ: هي الآمنةُ التي لايستفزُهَا خوفٌ ولاحزنٌ[٧٢٥]، ويرى الزبيدي هي التي اطمأنّتْ بالايمانِ وأخبتَتْ لِربّها[٧٢٦]، وقال الآلوسي: حكاية لأحوال من اطمأن بذكر الله تعالى وطاعته عز وجل أثر حكاية من اطمأن بالدنيا وسكن إليها، وقيل: هي النفس المؤمنة المطمئنة إلى الحق الواصلة إلى ثلج اليقين وبرودته بحيث لايخالطها شك ما ولايمازجها سخونة اضطراب القلب في الحق أصلاً وهو وجه حسن والارتباط عليه إن هذه النفس هي المتعظة الذاكرة، وقيل هي الآمنة التي لايستفزها خوف ولاحزن يوم القيامة أعني النفس المؤمنة اليوم المتوفاة على الإيمان[٧٢٧]، وعند الشنقيطي: هي التي لايزعِجها خوفٌ لأنّ الطمأنينة مع الأمنِ والانزعاج والقلق مع الخوفِ[٧٢٨]، وذهب ابن عاشور: إلى أنّها اسم فاعل مِن اطمأنّ إذاكان هادئاً غيرمُضطرِب ولامُنزعِج، فيجوز أن يكون مِن سكون النفس بالتصديقِ لما جاء بهِ القرآنُ دون تردُّد، ولا اضطراب، بل يكون ثناء على هذهِ النفس، ويجوز أن يكونَ مِن هُدوءِ النفسِ بدونِ خوفٍ ولافتنةٍ في الآخرة[٧٢٩]، وقال سيدقطب: هي المطمئنّةُ إلى ربّها، المطمئنّةُ إلى

---

(٧٢٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٥ / ٥٠٢ .

(٧٢٣) البيضاوي، أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل: ٥٥٩/٢ .

(٧٢٤) فيروزآبادي، تنويرالمقباس من تفسير ابن عبّاس. ص: ٣٨٩.
والسيوطي والمحلي، تفسيرالجلالين. ص: ٧٩٨.

(٧٢٥) أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ١٤/٧ .

(٧٢٦) الزبيدي، تاج العروس من جواهرالقاموس : ١٨/ ٣٥٩ .

(٧٢٧) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٢٢ / ٤٣٥.

(٧٢٨) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٤٥٩/٢ .

(٧٢٩) ابن عاشور، التحرير والتنوير: ٣٠ /٣٠٢ و ٣٠٣ .

طريقِها، المطمئنّةُ إلى قدر اللهِ بِها، المطمئنّةُ في السّرّاءِ والضّرّاءِ، وفي البسطِ والقبضِ، وفي المنعِ والعطاءِ، المطمئنّة فلا ترتابُ، والمطمئنّة فلاتنحَرِفُ، والمطمئنّةُ فلاتتَلَجلَجُ في الطريقِ، والمطمئنّةُ فلاترتاعُ في يوم الهَولِ والرُّعبِ ثُمَّ تمضي الآياتُ تِباعاً تغمرُ الجَوَّ كُلّهُ بالأمنِ والرّضى والطمأنينة، والموسيقى الرخيّة النديّة حول المشهدِ ترفّ بالوُدِّ والقربى والسكينة، ألاإنّها الجنّة بأنفاسِها الرضيّة النديّة، تطلّ مِن خِلالِ هذهِ الآيات، وتتجلّى عليها طلعة الرحمانِ الجليلة البهيّة[٧٣٠]، وعند الجزائري: المؤمنة الآمنة من العذاب لما لاح لها من بشائر النجاة[٧٣١]، وعند ابن عادل: الساكنة الموقنة، أيقنت أن الله تعالى ربها، فأجيبت لذلك[٧٣٢]، وقال الزُحَيلي: ﴿ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ المُستقِرّة الثابتة، المُتَيَقِّنة بالحقِّ، الآمِنة، وهي المُؤمِنة التي اطمأنّت بذكرِالله، ويقول أيضاً: يقول اللهُ لِلمؤمِن بِذاتهِ أوعلى لِسانِ مَلَكٍ: (يا أيَّتُها النّفسُ المُوقِنَةُ بالإيمانِ والحقِّ وتوحيداللهِ، التي لايُخالِجُها شكٌّ في صِدقِ عقيدتِها، وقد رضِيَت بِقضاءِ اللهِ وقدرِهِ، ووقَفَتْ عند حدودِ الشرعِ، فتجيء يومَ القيامةِ مُطمَئِنّة بذكرالله، ثابتة لاتَتَزَعْزَع، آمِنة، مُؤمِنة، غيرخائفة، ارجِعي إلى ثواب ربّك الذي أعطاك، وإلى محلّ كرامتهِ الذي مَنَحَكَ إيّاهُ، راضية بهذا الثوابِ عمّا عَمِلت في الدُنيا، وبِما حكم الله، ومرضية عند الله[٧٣٣]، وقال الهرري: ولما فرغ سبحانه وتعالى من حكاية أحوال الأشقياء .. ذكر بعض أحوال السعداء، فقال: أي: ويقال للمؤمن يومئذٍ تكرمةً له: يا أيتها النفس التي قد استيقنت الحق واطمأنت إليه، فلا يخالجها شك، ووقفت عند حدود الشرع، فلا تزعزعها الشهوات، ولا تضطرب بها الرغبات: ارجعي إلى جوار ربك دار الكرامة، والاطمئنان، والسكون بعد الانزعاج، وسكون النفس: إنما هو بالوصول إلى غاية الغايات في اليقين والمعرفة والشهود. وفي قوله تعالى﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ تنبيه على أنه بمعرفته تعالى، والإكثار من عبادته يكتسب اطمئنان النفس، وإذا وصلت إلى مقام الاطمئنان بذكر الله .. صار صاحبهاآمنًا من الرجوع إلى الشهوات النفسانية. وفي "التعريفات": النفس المطمئنة: هي التي تنورت بنور القلب حتى تخلت من صفاتها الذميمة، وتحلت بالأخلاق الحميدة، وقيل: المطمئنة هي الساكنة الموقنة بالإيمان، وتوحيد الله، الواصلة إلى ثلج اليقين، بحيث لا يخالطها شك، ولا يعتريها ريب. وقال الحسن: هي المؤمنة

(٧٣٠) سيدقطب، في ظلال القرآن: ٨ / ٥٧٦ .

(٧٣١) الجزائري، أيسرالتفاسير لكلام العلي الكبير: ٤ / ٣٩٨ .

(٧٣٢) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: ١٦ / ٣٤٢ .

(٧٣٣) الزحيلي، التفسيرالمنير: ٣٠/ ٢٣٦ و ٢٣٩ .

الموقنة، وقال مجاهد: هي الراضية بقضاء الله التي أيقنت أن ما أخطاها لم يكن ليصيبها، وأن ما أصابها لم يكن ليخطئها[٧٣٤]. وقال الصّابوني: (يا أيّتُها النفس الطّاهِرة الزكيّة المطمئِنة بِوعدِاللهِ التي لايلحقُها اليومَ خوفٌ ولا فَزَع)[٧٣٥]. وقال جبل: اطمأنّت بالايمان وأخبتت لربّها، سكنت على كمال الايمان والتسليم[٧٣٦]. ويقول المصطفوي: وللطمأنينة آثار ونتائج مترتبة عليها:

١- إرجعي الى ربّك: فإن من تحصّل له الاطمينان واليقين ةنور المعرفة في الله وبالله: فهو منقطع قهراً الى الله ومتعلّق به، ولايمكن له التعلّق بالدنيا والتمايل الى مشتهياتها، فإنّ التعلق بها في مقابل الاطمينان بالله: قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ، أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾(يونس: ٧/١٠و٨).

٢- الى ربك: فإن من وصل الى درجة الاطمينان عرف بالعلم الشهوديّ اليقينيّ أن سلوكه وتوفيقه واهتداءه ونورانيّته كان من الله تعالى وبإفاضاته وإعاناته، وهو المربي له في جميع الحالات.

٣- راضيةً: فإنه في هذا المقام يشاهد تجلّي رحمته و شمول فيضه وجوده على العالمين عامّة، وعليه في قاطبة حلاته الظاهرية والباطنية خاصّة، فهو خاضع في مقابل إحسانه وكرمه ولطفه.

٤- مرضيّة: فإنّ الرضا التّاموالخضوع الكامل يستلزم الوفاق والتسليم، وينفي الخلاف والعصيان والتمرّد والانحراف، وهذا المعنى يوجب كونه مرضيّاً عندالله تعالى، ومن عباده الصالحين.

٥- فادخلي في عبادي: فإنّ كونه مرضيّاً يلازم مقام العبودية، وأن لايكون له هوى وتمايل الاّ في الله تعالى، وهو في طاعة خالصة، فيدخل في زمرة عباده الذين لايشاءون الا ما يشاءالله، وهنا يتحقّق حقّ الطُمأنينة، ولايبقى من الاضطراب والتزلزل أثر.

٦- وادخلي جنّتي: فإنّ تحقّق حقّ العبودية يوجب انتفاء الأنانية، والخلاف، وحصول الارتباط والمواجهة واللقاء والنظر الى وجهه الكريم، وارتفاع الموانع والحجب الظلمانية والنورانية، فالمراد جنة اللقاء وهي الجنة المخصوصة، لخواصّ أولياء الله الذين يرجون لقاءهُ.

٧- فظهر أنّ الترتيب والتقدّم الذاتي موجود بين هذه المراتب الملحوظة في موضوع الاطمئنان:

أ- الرجوع الى الله المتعال. ب- شهود مقام الربوبية. ج- مقام الرضا وتحقّقه.

د- تحقّق مقام كونه مرضيّاً. هـ - الورود في لواء مقام العباد الصالحين.

و- الدخول في الجنة المخصوصة باللقاء وأوليائه.

---

(٧٣٤) الهرري، حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن : ٣١ / ٤٢٩ و٤٣٠.

(٧٣٥) الصابوني، صفوة التفاسير: ٣/ ٤٠٢ .

(٧٣٦) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل للفاظ القرآن الكريم: ٣ / ١٣٩٠.

وأمّا ما يتقدّم على الطمأنينة: فهو الذكر لفظاً وباطناً بمراتبه، فقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾(الرعد: ٢٨/١٣).

فالتذكر وادامته يوجب الانصراف والانقطاع عن الدنيا وتمايلاتها وشهواتها اليه تعالى، وهذا مقدّمة تحصّل الاطمئنان.

وأمّا مادة الاطمينان: فالظاهر أنّ طأمن كدحرج رباعيّ مجرّد، والاطمينان كالاقشعرار مزيد رباعيّ، وأمّا القلب فللتخفيف(٧٣٧).

وفي الختام تبين للبحث أنّها تأتي بمعنى الآمنة المطمئنة الساكنة المستقرّة والآمنة الراضية.

(٧٣٧) المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ٧ / ١٤٨-١٥٠ .

المبحث الثالث

الطمأنينة بمعنى الاقامة والإستقرار في الأرض والاوطان

وقد ورد(الاطمئنان) بمعان أُخرى منها(الرجوع والعودة إلى الوطن) و(الاستقرار والاقامة في الأوطان) في ثلاثة مواضع، وهي: في (سورة النساء، آية رقم١٠٣)، (سورة الاسراء، آية رقم٩٥)، (سورة النحل، آية رقم١١٢).

وسنذكر الآيات والتعابير التي وردت فيها بهذه المعاني في سياق القرآن الكريم، وآراء المفسرين والعلماء على ذلك بشيءٍ من التفصيل، ان شاءالله تعالى.

أوّلاً: الإطمئنان بالعودة الى الوطن والإقامة والإستقرار، بعد الابتعاد عنها والسفر:

وذلك في سورة النساء، حيث يحث سبحانه وتعالى المؤمنين أن يتموا صلاتهم اذا رجعوا الى أوطانهم من السفر، أو أمنوا من العدوّ.

ذكر الطبري في تفسير(ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ)التي وردت في قوله تعالى﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾(النساء: ١٠٣/٤). إنّ أهل التأويلِ اختلفوا في تأويلهِ، فقال بعضُهُم فإذا إستقرَرتُم في أوطانِكُم وأقَمتُم في أمصاركم، وقال قتادة: إذا إطمأننتُم في أمصاركم فأتِمّوا الصلاة، وقال آخرون معنى ذلك فإذا استقرَرتُم فأتِمّوا الصلاة، وقال السدي: فإذا اطمأننتم بعد الخوفِ، وأولى التأويلينِ بتأويلِ الآيةِ تأويلُ مَن تأوَّلَهُ فإذا زال خوفكم مِن عدوّكم وأمِنتم أيُّها المُؤمنون، واطمأنّت أنفُسُكم بالامنِ، فأقيموا الصلاةَ، فأتِمّوها بِحدودِها المفروضة عليكم غير قاصريها عن شيءٍ مِن حدودها، وذلك لأنّ الله تعالى عرّف عباده المؤمنين الواجب عليهم مِن فرض صلاتِهم بِهاتين الآيتينِ في حالين: احداهما حال شدّة خوف أُذنَ لهم فيها بِقصر الصلاةِ، والأُخرى حال غير شدّة الخوفِ أمَرَهم فيها بِإقامة حدودها، وإتمامِها على ما وَصَفَه لهم[٧٣٨]، وقال الحلبي: أي سكنتم بعد خوفكم وقلق

(٧٣٨) الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن: ١٦٦/٥. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم:٥٥٦/١. والواحدي، الوجيز في تفسيرالكتاب العزيز:١٣٦/١. والزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل :٥٦١/١.

قلوبكم من القتال الذي تذهب معه الألباب[٧٣٩]. ويقول الماوردي: فيه تأويلان: أحدهما: يعني فإذا أقمتم بعد السفر فأتموا الصلاة من غيرقصر، وهذا قول الحسن وقتادة ومجاهد. والثاني: معناه فإذا أمِنْتم بعد خوفكم فأتموا الركوع والسجود من غير إيماء ولامشي، وهذا قول السدي[٧٤٠]، وقال ابن الجوزي: وفي المراد بالطمأنينة قولان: أحدهما: أنه الرجوع إلى الوطن عن السفر. والثاني: أنه الأمن بعدالخوف[٧٤١]، وقال الرازي: المراد من الاطمئنان أن لايبقى الانسان مسافراً بل يصيرمقيماً، وعلى هذا التقدير يكون المراد: فإذا صرتم مقيمين فأقيموا الصلاة تامة من غيرقصر ألبتة، أو أن يكون المراد من الاطمئنان أن لايبقى الإنسان مضطرب القلب، بل يصير ساكن القلب ساكن النفس بسبب أنه زال الخوف[٧٤٢]، وعند ابن عبد السلام: أقمتم فأتموها من غيرقصر، وإذا أمنتم من الخوف فأتموا الركوع والسجود بغير إيماء[٧٤٣]، و(الطمأنينة) سكون النفسِ مِن الخوفِ، وعلى هذا التقدير يكون المراد: فإذا زال الخوف عنكم فأقيموا الصلاة على الحالة التي كنتم تعرفونها، ولاتغيروا شيئاً من أحوالها وهيآتها[٧٤٤]، وقال أبوحيّان: فإذا اطمأننتم حين تضع الحرب أوزارها وأمنتم، فإذا اطمأننتم أي: أمنتم من الخوف قاله قتادة، والسدي، فأقيموا الصلاة أي: صلوها لاكصلاة الخوف، بل كصلاة الأمن في السفر، وقيل فإذا اطمأننتم أي: فإذا رجعتم من سفركم إلى الحضر فأقيموها تامة أربعاً[٧٤٥]، وقال البقاعي: أي عما كنتم فيه من الخوف[٧٤٦]، وقال الآلوسي: أي أقمتم كما قال قتادةومجاهد، ولما كان الضرب اضطراباً وكنى به عن السفر ناسب أن يكنى بالاطمئنان عن الاقامة، وأصله السكون والاستقرار أي إذا استقررتم وسكنتم من السير والسفر في

---

(٧٣٩) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ في في تفسير اشرف الالفاظ: ٤٨١/٢ .
والنسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٢٤٨/١.
(٧٤٠) الماوردي، النكت والعيون: ١ / ٣٢٥ .
(٧٤١) ابن الجوزي، زاد المسير: ٢ / ٩٥ .
(٧٤٢) فخرالدين الرازي، مفاتيح الغيب: ٥ / ٣٦٦ .
(٧٤٣) ابن عبدالسلام، تفسير ابن عبد السلام: ١ / ٤٢١ .
(٧٤٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن : ٣٧٤/٥ . والسيوطي والمحلي، تفسيرالجلالين. ص: ١٢.
و البيضاوي أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل : ١/ ٢٤١. و ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل.ص: ١٥٦ .
(٧٤٥) الأندلسي، البحرالمحيط : ٤/ ٢٥٦ . وفيروزآبادي، تنويرالمقباس من تفسير ابن عبّاس. ص: ٦٤.
والشوكاني، فتح القدير: ١ / ٧٩٦.
(٧٤٦) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٢ / ٢٦٠ .

أمصاركم[٧٤٧]، ولخّصها سيدقطب بقولهِ: فأمّاحين الاطمِئنانِ ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أقيموها كامِلة تامّة بلاقصر، فهي فريضة ذاتُ وقتٍ مُحَدَّد لأدائها، ومتى زالت أسباب الرخصة في صفة من صفاتِها عادت إلى صفتِها المفروضة الدائمة[٧٤٨]، أمّا ابن عاشور فيرى أنّ الاطمئنانَ مُرادٌبه القفولُ من الغزوِ(أي الرجوع) لأنّ في الرجوعِ إلى الأوطانِ سكوناً من قلاقل السفرِ وإضطراب البدَنِ، فإطلاق الاطمئنانِ عليهِ يُشبِهُ أن يكونَ حقيقة، وليس المرادُ الاطمئنان الذي هو عدم الخوفِ لِعدم مُناسَبَتِهِ هُنا[٧٤٩]، وهذا مانرجحه.

وقال ابن عادل: أي: أمِنْتُم، فالطُّمأنينة: سكُون النَّفس من الخَوْفِ حين تضع الحَرْبُ أوزارها[٧٥٠]، وقيل: وإذا اتممتم صلاة الحرب التى تسمى صلاة الخوف فلا تنسوا ذكرالله دائماً، فاذكروه قائمين محاربين واذكروه وأنتم قاعدون، واذكروه وأنتم نائمون، فإن ذكرالله تعالى يُقَوّى القلوب، وبه اطمئنانها، فإذا ذهب الخوف وكان الاطمئنان، فأدوا الصلاة متكاملة فإن الصلاة قد فرضت على المؤمنين موقوتة بأوقاتها[٧٥١]، وقال الجزائري: أي ذهب الخوف فحصلت الطمأنينة بالأمن[٧٥٢]، وقال الزُحيلي: فإذا اطمأننتم بانتهاء الحربِ والاقامة في بلادكم بعد السفرِ، فأقيموا الصلاة كالمعتاد، تامّة الاركانِ والشروط، لأنّ الصلاة عِماد الدين[٧٥٣]، ولكنّ الصابوني يرى بأنّها إذا أمِنتُم وذهب الخوفُ فأتِمّوا الصلاة وأقيموها كما أُمِرتُم بِخُشوعِها وسُجودِها، وجميعِ شروطِها[٧٥٤].

ونرى أنّ ما قاله ابن عاشور هو الأرجح، حيث هو الإطمئنان بعد السفر، وليس الأمن بعد الخوفِ.

---

(٧٤٧) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٤ / ٢١٣ .
والنيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٣ / ٧٠ . والسمرقندي، بحرالعلوم: ١/ ٤١٩.
(٧٤٨) سيدقطب، في ظلال القرآن: ٢ / ٥٠٨ .
(٧٤٩) ابن عاشور، التحرير والتنوير: ٤ / ٢٤٤ .
(٧٥٠) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: ٥ / ٣٣٦ .
(٧٥١) لجنة من علماء الازهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم: ١ / ١٥٢ .
(٧٥٢) الجزائري، أيسرالتفاسير لكلام العلي الكبير: ١ / ٢٩٤ .
(٧٥٣) الزحيلي، التفسيرالمنير: ٥ / ٢٤٣ .
(٧٥٤) الصابوني، صفوة التفاسير: ١ / ٢٠٦ .

ثانياً: اطمئنان الملائكة لو كانوا يمشون في الأرض:

وذلك في سورة الإسراء حيث يتحدّث سبحانه وتعالى عن أعذار المشركين عندما سألوا رسول اللهﷺ أن ينزّل الله عليهم رسولاً مِن الملائكة، فأجابهم الله سبحانه وتعالى بأنّه لو كان مَن في الارض ملائكة يمشون مطمئنين، فأنزل عليهم رسولاً من الملائكة، ولكنهم بشر، لذلك يجب أن يكون رسولهم من جنسهم، أي من البشر.

قال تعالى﴿ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ﴾(الاسراء: ٩٥/١٧).

يتحدّى ﷻ كفار قُرَيش، عندما سألوا رسول اللهِ(ﷺ) بِأن يُرسِل الله رسولاً مِن الملائكة، ولكنّ اللهَ أعلمُ حيثُ يَجعلُ رِسالتهُ، وأرسلَ رسولاً للانس مِن بني جلدتِهم وجنسهم، لأنّ الله يعلم بأنهُم لَو أرسل إليهم رسولاً مِن الملائكة، لَقالوا لسنا مِن الملائكة بل نحنُ بشرٌ، لِيُرسِل لنا رسولاً مِن جنسِنا أي من البشر، ولكنّهم في كلّ حال في طغيانهم يعمهون.

قال الطبري: قال الله تعالى لِنَبيّهِ، يامحمّد قُل لِهؤلاءِ الذين أبَوا الإيمان بِك وتصديقك فيما جئتَهم بهِ مِن عِندي استِنكاراً لأن يبعثَ اللهُ رسولاً مِن البشرِ، لَوكان أيُّها الناسُ في الأرضِ ملائِكة يمشونَ مُطمئِنّينَ لَنَزَّلنا عليهم مِن السماءِ ملَكاً رسولاً، لأنّ الملائكة إنّما تراهم أمثالهم مِن الملائكة، ومَن خصَّهُ اللهُ مِن بني آدم بِرؤيتها، فأمّا غيرهم فلا يقدِرون على رؤيتِها فكيف يبعثُ إليهم مِن الملائكةِ الرسُلَ وهم لايقدرون على رؤيتهم، وهم بِهيئآتِهم التي خلقهُمُ اللهُ بِها، وإنّما يُرسِلُ إلى البشرِ الرسولَ مِنهم، كما لَوكان في الأرضِ ملائكةٌ يمشونَ مطمئِنّينَ ثُمَّ أرسلنا إليهم رسولاً أرسلناهُ منهم ملكاً مثلهم[٧٥٥]، وقال الماوردي: يعني أن الرسول إلى كل جنس يأنس بجنسه، وينفر من غيرجنسه، فلوجعل الله تعالى الرسول إلى البشر ملكاً لنفروا من مقاربته، ولو نقله عن صورة الملائكة إلى مثل صورتهم ليأنسوا به ويسكنوا إليه لقالوا لست ملكاً وإنما أنت بشر فلا نؤمن بك، وعادوا إلى مثل حالهم[٧٥٦]، وقال ابن الجوزي: مستوطنين في الأرض، ومعنى الطمأنينة: السكون والمراد من الكلام أن رسول كل جنس ينبغي أن يكون منه[٧٥٧]، وعند أبوحيّان: هذه العلة النزرة والاستبعاد الذي لايسند إلى حجة، وبعثة البشر رسلاً غير بدع ولاغريب فيها يقع الافهام والتمكن من النظر

(٧٥٥) الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن : ١٥ / ١١١ و ١١٢ .

(٧٥٦) الماوردي، النكت والعيون : ٢ / ٤٥٥ .

(٧٥٧) ابن الجوزي، زاد المسير : ٤ / ١٩٥ .

كما لوكان في الارض ملائكة يسكنونها مطمئنين لكان الرسول إليهم من الملائكة ليقع الافهام، وأما البشر فلوبعث إليهم ملك لنفرت طبائعهم من رؤيته ولم تحتمله أبصارهم ولا تجلدت له قلوبهم، وإنما الله أجرى أحوالهم على معتادها[٧٥٨]، وقال البقاعي: باتخاذهم لها قراراً كمافعل البشر[٧٥٩]، وقال الشوكاني: لَو وجدَ وثبتَ أنّ في الأرضِ بدل مَن فيها مِن البشرِ ملائكة يمشون على الاقدامِ، كما يمشي الانسُ مطمئِنّينَ مستقِرّينَ فيها ساكنينَ بها، قال الزجّاج: ﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾ مُستوطنين في الأرضِ، ومعنى الطمأنينة: السكون فالمرادُ هُنا المقامُ والاستيطانُ، فإنّه يُقالُ سكنَ البلدَ فلانٌ، إذا أقام فيها وإن كان ماشياً مُتَقَلِّباً في حاجاتِها[٧٦٠]، قال الآلوسي: مُطْمَئِنّينَ ساكنين مقيمين فيها، وقال الجبائي: أي مطمئنين إلى الدنيا ولذاتها غيرخائفين ولامتعبدين بشرع لأن المطمئن من زال الخوف عنه[٧٦١]، وقال ابن عاشور: والمطمئن: الساكن، وأريد به هنا المتمكن غير المضطرب، أي مشي قرار في الأرض، أي لوكان في الأرض ملائكة قاطنون على الأرض غيرنازلين برسالة للرسل لنزلنا عليهم ملكا، ولماكان المشي والاطمئنان في الأرض من صفة الانسان آل المعنى إلى: لوكنتم ملائكة لنزلنا عليكم من السماء ملكاً فلما كنتم بشراً أرسلنا إليكم بشراً مثلكم[٧٦٢]، وفسّر سيدقطب هذه الآية بقولهِ: فَلَو قَدرَاللهُ أن الملائكة تعيش في الأرضِ لَصاغَهم في صورة آدميّةٍ، لأنّها الصورة التي تتَّفِقُ مع نواميس الخلقِ وطبيعة الأرضِ كما قال في آية أُخرى﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾(الأنعام : ٩/٦)، واللهُ قادرٌ على كُلِّ شيء، ولكنّه خلقَ نواميس وبرّأ مخلوقاتهِ على وفقَ هذهِ النواميس في طريقها لاتتَبَدَّل، ولا تتَحوَّل، لِتحَقِّقَ حِكمتَهُ في الخلقِ

---

(٧٥٨) السمرقندي، بحرالعلوم : ٧ / ٣٩٩ .

(٧٥٩) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٥ / ١٠٦ .

(٧٦٠) الشوكاني، فتح القدير: ٣ /٣٧٢ . والزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٢ /٦٩٤.
والنسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل:١/ ٣٢٨. و ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل.ص: ٣٧٣.
والبيضاوي أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل: ٥٩٧/١. والجزائري، أيسرالتفاسير لكلام العلي الكبير: ٣٦٥/٢. والزحيلي، التفسيرالمنير: ٥ / ١٩٦.

(٧٦١) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١٠١٠/١١.
والسمرقندي، بحرالعلوم: ٣ / ٢٧.

(٧٦٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير: ١٤ / ١٦٧ .

والتكوينِ، غيرَ أنّ القومَ لايُدركون[٧٦٣]، وعند ابن عادل: الجواب عن شبهتهم، وهي أنَّ أهل الأرض لو كانوا ملائكة، لوجب أن يكون رسولهم من الملائكة لأنّ الجنس إلى الجنس أميل[٧٦٤]، وقيل: قل يا محمد رداً عليهم: لوكان فى الأرض بدل البشر ملائكة يمشون فيها كالآدميين مستقرين فيها، لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا من جنسهم، ولكن الملائكة لا يكونون كالبشر، ولوكانوا لجاءوا فى صورة البشر[٧٦٥].

وأخيراً نرى أنّ الله سبحانه وتعالى يقول اذا كان مَن في الأرض من الملائكة قارّين ساكنين قاطنين لَنَزَّلنا عليهم ملَكاً رسولاً.

ثالثاً: القرية المطمئنة الآمنة بالله تعالى:

وذلك في سورة النحل، حيث يضرب الله سبحانه وتعالى مثلاً لأهل قرية آمنة مطمئنة، وكيف أنعم الله عليهم مِن كلّ شيء، وأنعم عليهم بنعمة الأمن، ولكن عندما كفروا بالله ونِعَمِهِ بدّلهم وأذاقهم لباس الخوف والجوع بكفرهم بدل الأمن والرزق.

قال تعالى ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾(النحل: ١١٢/١٦). يتحدّث سبحانه وتعالى عن أهل قرية يقال يقصد به أهل مكة، حيث أعطاهم من كل نعمة، ونعمة الأمن.

قال الطبري ﴿مُّطْمَئِنَّةً ﴾ يعني قارّة بِأهلِها، لايحتاج أهلها إلى النجع كما كان سكّان البوادي يحتاجون إليها[٧٦٦]، وقال السمرقندي: من العدو، أي: ساكنة مقيمة أهلها بمكة[٧٦٧]، وفسرها الماوردي: بالخصب والدعة[٧٦٨]، وقال الزمخشري أنّها تعني لايزعِجُها خوفٌ، لأنّ الطمأنينة مع

---

(٧٦٣) سيدقطب، في ظلال القرآن: ٥ / ٣٦٠ .

(٧٦٤) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب : ٣٨٦/١٠. والصابوني، صفوة التفاسير : ١٢٢/٢.
والحمصي، مفردات القرآن تفسيروبيان. ص: ٢٩١.

(٧٦٥) لجنة من علماء الازهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم: ١/ ٤٨٢ .

(٧٦٦) الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن :١٢٥/١٤. والبيضاوي أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل :٥٧٢/١.
والشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : ٢ / ٤٥٩ . والشوكاني، فتح القدير: ٣ / ٢٨٥ .

(٧٦٧) السمرقندي، بحرالعلوم: ٢ / ٤٨٩ .

(٧٦٨) الماوردي، النكت والعيون: ٢ / ٣٩٩ .

الامنِ، والانزعاج والقلق مع الخوف[٧٦٩]، وقال ابن الجوزي: ساكنة بأهلها لايحتاجون إلى الانتقال عنها لخوف أوضيق[٧٧٠]، ويقول الرازي: إن كان المراد من كونها مطمئنة أنهم لايحتاجون إلى الانتقال عنها بسبب الخوف، فهذا هومعنى كونها آمنة، وإن كان المراد أنهم لا يحتاجون إلى الانتقال عنها بسبب الضيق، فهذا هومعنى قوله﴿ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ وعلى كلا التقديرين فإنه يلزم التكرار، وقوله﴿مُّطْمَئِنَّةً ﴾ إشارة إلى الصحة، لأن هواء ذلك البلد لماكان ملائماً لأمزجتهم اطمأنوا إليه واستقروا فيه[٧٧١]، ويقول أبوحيان: كانت آمنة ابتدأ بصفة الأمن، لأنه لايقيم لخائف، والاطمئنان زيادة في الأمن، فلايزعجها خوف[٧٧٢]، وعند ابن كثير: أُريد بهِ أهل(مكة)، فإنّها كانت آمنة مطمئِنّة مستقِرَّة يُتَخَطَّفُ الناس مِن حولها ومن دخلها كان آمِناً لايَخاف[٧٧٣]، وقال البقاعي: أي قارة بأهلها، لايحتاجون فيها إلى نجعة وانتقال بسبب زيادة الأمن بكثرة العدد وقوة المدد، وكف الله الناس عنها، ووجود مايحتاج إليه أهلها[٧٧٤]، وعند الآلوسي: ساكنة قارة لايحدث فيها مايوجب الانزعاج كما يحدث في بعض القرى من الفتان بين أهاليها ووقوع بعضهم في بعض فإنها قلما تأمن من إغارة شرير عليها وهيهات هيهات أن ترى شخصين متصادفين فيها[٧٧٥]، وفسّرها سيدقطب بأنها حالٌ أشبهُ شيءٍ بِحالِ مكة، جعل اللهُ فيها البيتَ، وجعلها بلَداً حراماً، مَن دخلهُ فهو آمِن مُطمئِنٌّ، لاتمتَدُّ إليهِ يدٌ ولَوكان قاتلاً، ولايَجرؤ أحَدٌ على إيذائهِ وهو في جِوارِ بيتِ اللهِ الكريم، وكان الناس يُتَخَطَّفون مِن حولِ البيتِ وأهلُ مكةَ في حراستهِ وحِمايتهِ آمِنون مطمئِنّون، كذلك كان رِزقُهُم يأتيهم هَيِّناً هنيئاً مِن كُلِّ مكانٍ مع الحجيجِ ومع القوافلِ الآمِنة، مع أنّهم في وادٍ قفرٍ جَدبٍ غيرِ ذي زرعٍ، فكانت تُجبى إليهم ثمرات كُلِّ شيءٍ فيَتَذَوَّقون طعمَ

---

(٧٦٩) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:٦٣٨/٢.

والنسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل:٣٠٢/١.

(٧٧٠) ابن الجوزي، زاد المسير: ٤ / ١٣٢ . والسيوطي والمحلي، تفسيرالجلالين. ص: ٣٦٧ .

(٧٧١) فخرالدين الرازي، مفاتيح الغيب: ٩ / ٤٧٧ .

(٧٧٢) السمرقندي، بحرالعلوم: ٧ / ٢٩٩ .

(٧٧٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٢ / ٥٨٦ .

(٧٧٤) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٥ / ٦ .

(٧٧٥) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١٠ / ٣٢٠ .

الأمنِ وطعمَ الرَّغدِ منذُ دعوةِ إبراهيم الخليل[٧٧٦]، وعند ابن عاشور: والاطمئنان: الدّعة وهدوء البال، وقدّم الأمن على الطمأنينة إذ لاتحصل الطمأنينة بدونه، كما أن الخوف يسبّب الانزعاج والقلق[٧٧٧]، ويرى المصطفوى أنّ الأصل في الطمأنينة واحد: هو سكون بعد اضراب، اي رفع الاضطراب واستقرار حالة السكون، مادّياً ومعنوياً: فالاطمئنان المادي، كما ورد في هذه الآية الكريمة، ويقول فالقرية: مجموع محلّ فيها عمارة وزراعة وجمع من الناس مع وسائل تعيّشهم، وجريان برنامع العدالة بينهم بحيث لايرى فيها اضطراب واختلال من جوع او خوف أو ظلم أو فساد أوعصيان[٧٧٨]، وقال ابن عادل: مطمئنة قارة بأهلها لايحتاجون إلى الانتجاع كمايفعله سائر العرب[٧٧٩]، وقال بعضهم: وجعل اللَّه سبحانه وتعالى لأهل مكة مثلاً يعتبرون به هو قصة قرية من القرى كان أهلها فى أمن من العدو، وطمأنينة من ضيق العيش، يأتيهم رزقهم واسعاً من كل مكان، فجحدوا نِعَم اللَّه عليهم، ولم يشكروه بطاعته وامتثال أمره، فعاقبهم اللَّه بالمصائب التى أحاطت بهم من كل جانب، وذاقوا مرارة الجوع والخوف بعد الغنى والأمن، وذلك بسبب تماديهم فى الكفر والمعاصى[٧٨٠] ، وعند الجزائري: لاينتابها فزع ولاخوف، لماجعل الله تعالى في قلوب العرب من تعظيم الحرم وسكانه[٧٨١]، وقيل: اطمئنان مِن ضيق العيش[٧٨٢]، وذكر الزحيلي أنّها لاتحتاجُ إلى الانتقالِ عنها لِضيقٍ أوخوف، وذلك إشارة إلى الصّحّة بسببِ طيبِ الهواءِ والمناخ[٧٨٣].

وفي الختام نرى أنّ الله قدّم الأمن على الطمأنينة، لأن الطمأنينة تحصل عندما تكون هناك أمن، وهي تعني الإطمئنان والسكون وهدوء البال، وعدم الخوف والقلق.

---

(٧٧٦) سيدقطب، في ظلال القرآن: ٥ / ٢٨٨ .

(٧٧٧) ابن عاشور، التحرير والتنوير: ١٣ / ٢٤٦ .

(٧٧٨) المصطقوي، التحقيق في كلمات القرآن: ٧ / ١٤٧.

(٧٧٩) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: ١٠ / ٢٠٨ .

(٧٨٠) لجنة من علماء الازهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم: ٤٦٢/١ .

والصابوني، صفوة التفاسير: ٢ / ١٠٢.

(٧٨١) الجزائري، أيسرالتفاسير لكلام العلي الكبير: ٢ / ٣٢٥ .

(٧٨٢) نخبة من اساتذة التفسير، التفسيرالميسر : ٤ / ٤٨٠ .

(٧٨٣) الزحيلي، التفسيرالمنير: ١٤ / ٢٥٢ .

ملحق بالأحاديث الواردة في الطمأنينة[٧٨٤]

وفي هذا الفصل أيضا مثل الفصل الثاني اقتصرنا بذكر الأحاديث الصحيحة التي وردت فيها لفظة الطُّمأنينة فقط، ولا نتطرق الى معاني الطمأنينة في هذه الأحاديث، خوفاً من الاطالة أولاً، وثانيا موضوعنا هو بحث الطمأنينة في القرآن الكريم وليس في القرآن والسنة.

١- عن ميمونة (رضي الله عنها) زوج النّبيّ ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا سجد خوّى بيديه(يعني جنّح) حتّى يرى وضح إبطيه من ورائه، وإذا قعد اطمأنّ على فخذه اليسرى)[٧٨٥].

٢- عن صفيّة بنت شيبة- رضي الله عنها- قالت: لمّا اطمأنّ رسول الله ﷺ بمكّة عام الفتح طاف على بعير يستلم الرّكن بمحجن في يده. قالت: وأنا أنظر إليه)[٧٨٦].

٣- عَنْ وَابِصَةَ بْنِ مَعْبَدٍ رضي الله عنه، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ لَا أَدَعَ شَيْئًا مِنَ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ إِلَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ، وَإِذَا عِنْدَهُ جَمْعٌ، فَذَهَبْتُ أَتَخَطَّى النَّاسَ، فَقَالُوا: إِلَيْكَ يَا وَابِصَةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِلَيْكَ يَا وَابِصَةُ، فَقُلْتُ: أَنَا وَابِصَةُ، دَعُونِي أَدْنُو مِنْهُ، فَإِنَّهُ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ أَنْ أَدْنُوَ مِنْهُ، فَقَالَ لِي: (ادْنُ يَا وَابِصَةُ، ادْنُ يَا وَابِصَةُ)، فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى مَسَّتْ رُكْبَتِي رُكْبَتَهُ، فَقَالَ: (يَا وَابِصَةُ أُخْبِرُكَ مَا جِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنْهُ، أَوْ تَسْأَلُنِي؟) فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَخْبِرْنِي، قَالَ: (جِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟) قُلْتُ: نَعَمْ، فَجَمَعَ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهَا فِي صَدْرِي، وَيَقُولُ: (يَا وَابِصَةُ اسْتَفْتِ نَفْسَكَ، الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَاطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي الْقَلْبِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ)[٧٨٧].

---

(٧٨٤) عدد من المختصين، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم: ٧/ ٢٧٠٦.

(٧٨٥) مسلم، صحيح مسلم. ص: ٤٩٧.

(٧٨٦) أبي داود، للحافظ ابي داود سليمان بن الاشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥هـ، سنن ابي داود، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، طبعة جديدة منقحة ومفهرسة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،(د. ط . ، د. ت.)، الرقم(١٨٧٨) : ١١٧/٢.

(٧٨٧) أحمد ابن حنبل، أبوعبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني(ت:٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م. الرقم(١٨٠٠١) : ٥٢٧/٢٩ .

٤- عن أبي الحوراء السّعديّ ﷺ قال: قلت للحسن بن عليّ (رضي الله عنهما) ما حفظت من رسول الله ﷺ؟ قال: حفظت من رسول الله ﷺ: (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك. فإنّ الصّدق طمأنينة وإنّ الكذب ريبة)[٧٨٨].

٥- عن أبي سعيد الخدريّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ(يكون عليكم أمراء تطمئنّ إليهم القلوب، وتلين لهم الجلود، ثمّ يكون عليكم أمراء تشمئزّ منهم القلوب. وتقشعرّ منهم الجلود) ، فقال رجل أنقاتلهم يا رسول الله؟ قال: (لا ما أقاموا الصّلاة)[٧٨٩].

٦- عن أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ دخل المسجد، فدخل رجل فصلّى، ثمّ جاء فسلّم على رسول الله ﷺ. فردّ رسول الله ﷺ السّلام. قال: (ارجع فصلّ. فإنّك لم تصلّ) . فرجع الرّجل فصلّى كما كان صلّى. ثمّ جاء إلى النّبيّ ﷺ فسلّم عليه. فقال رسول الله ﷺ: (وعليك السّلام)، ثمّ قال: (ارجع فصلّ. فإنّك لم تصلّ). حتّى فعل ذلك ثلاث مرّات. فقال الرّجل: والّذي بعثك بالحقّ ما أحسن غير هذا. علّمني. قال: (إذا قمت إلى الصّلاة فكبّر. ثمّ اقرأ ما تيسّر معك من القرآن. ثمّ اركع حتّى تطمئنّ راكعا، ثمّ ارفع حتّى تعتدل قائما، ثمّ اسجد حتّى تطمئنّ ساجدا. ثمّ ارفع حتّى تطمئنّ جالسا، ثمّ افعل ذلك في صلاتك كلّها)[٧٩٠].

---

(٧٨٨) الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي (ت:٢٧٩)، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون دار إحياء التراث العربي – بيروت، بيروت، الرقم(٢٥١٨): ٦٦٨/٤.

(٧٨٩) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد. الرقم(١١٢٢٤): ٣٢١/١٧..

(٧٩٠) البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، الرقم(٧٥٦): ١٥٢/١.

الفصل الرابع

الألفاظ الدالة على

السكينة والطمأنينة في القرآن الكريم

عندما ينظر الانسان في القرآن الكريم ويفكر فيه يرى أنّ الله سبحانه وتعالى أراد اطمئنان عباده وتسكين قلوبهم بأكثر من طريقة ووسائل، لذلك نرى في كثير من الآيات تكرّرت ألفاظ وكلمات تدلّ على ذلك، وهناك أيضاً ألفاظ في أصل اللغة العربية تدل على السكينة والطمأنينة، ووردت في السياق القرآني بمعنى قريب من هذه المعاني والدلالات، ومن هذه الالفاظ: (الوقار) و(الاخبات) و(الهون) و(الرحمة) و(الأمن)، والتي تدل على السكينة والاطمئنان والهودء النفسي والاستقرار والثبات، كما تثبت ذلك المعاجم اللغوية(٧٩١).

أوّلاً: الوقار:

وردت في القرآن الكريم مرة واحدة، وهي في سورة (نوح)، عندما يتحدّث سبحانه وتعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام وحديثه مع قومه ودعوتهم الى الله ويذكّرهم بنِعَمِهِ عليهم، ولكنّهم عصَوهُ وتمرّدوا عليه، شكا نوح عليه السلام الى ربه بأنّ قومه لايستجيبون له بالرغم من أنّه تغيّر أساليب دعوته، ووعدهم بوعيدالله سبحانه وتعالى، وامدادهم بأموال وبنين، وفي النهاية يقول تبارك وتعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾(نوح: ١٣/٧١). جمع ابن عادل في تفسيره آراء عديدة كلها تدور حول تعظيم الله سبحانه وتعالى ويقول: ما لكم لا تخافون لله عظمة، وقال سعيد بن جبيرٍ وأبو العالية وعطاء بن أبي رباح: ما لكم لا ترجون لله ثواباً، ولا تخافون له عقاباً. وقال سعيد بن جبيرٍ عن ابن عبَّاسٍ:﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾، لا تخشون لله عقاباً وترجون منه ثواباً. وقال الوالبي والعوفي عنه: ما

---

(٧٩١) ابن منظور، لسان العرب: ٧ / ٤٢٤. وابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: ٣/ ١٤٤.

وابن عباد، المحيط في اللغة: ١/ ٤٩٧. و ابن سيده، المخصص في اللغة: ١/ ٤٤٥.

والازهري، تهذيب اللغة : ٣/ ٢٦٥. ومحمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م. ص: ٢٤٧.

لكم لا تعلمون لله عظمة. وقيل: ما لكم لا تعتقدون لله عظمة. وقال ابن عباس ومجاهد: ما لكم لا ترون لله عظمة. وقال قطرب: .... ما لكم لا تأملون له توقيراً، أي: تعظيماً[٧٩٢]، ويقول السمين الحلبي: وأصل الوقار السكون والحلم، يقال: هو وقورٌ وقارٌ ومتوقّرٌ[٧٩٣].

تبين للبحث أنّ الوقار في اللغة تأتي بمعنى السكينة، كما ورد في المعاجم العربية[٧٩٤]، ولكن في هذه الآية الكريمة لاتأتي بمعنى السكينة ولاالطمأنينة، لذلك لاتشمل موضوع بحثنا، ولانتطرق اليها اكثر من ذلك.

ولكن هناك ألفاظ أخرى في القرآن الكريم تدل على السكينة والطمأنينة، في مجال دلالي واحد، ولكن ذات ايحاءات مختلفة، لأن التعبير القرآني فريد لم يسبق اليه، ولن يلحقه أحد.

وسنأتي الى ذكر هذه الألفاظ التي تأتي بهذين المعنيين أو احدهما.

ثانياً: الإخبات:

وقد وردت مشتقات(الاخبات)في السياق القرآني ثلاث مرات، وفي هذه الآيات تدل على الإطمئنان والسكون، وهي: في(سورة هود، آية رقم: ٢٣)، ومرتين في(سورة الحج في آيتي: ٣٤، و٥٤).

١-قال تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(هود:٢٣/١١).

يتحدّث سبحانه وتعالى في هذه الآيةالكريمة عن المؤمنين الذين يعملون الصالحات، وهم مستسلمون وخاضعون ومطمئنون الى ربّهم وقضائه، أولئك هم الفائزون الخالدون في جنات النعيم. يعني إن الذين آمنوا بالله ورسله، وعملوا الأعمال الصالحة، وخضعت قلوبهم واطمأنت إلى قضاء ربها، هؤلاء هم المستحقون لدخول الجنة والخُلْد فيها.

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا) بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر (وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) ضميمة على إيمانهم (وَأَخْبَتُوا) خشعوا وخضعوا لله وأنابوا واطمأنوا له فرجعوا (إِلى رَبِّهِمْ) وانقطعوا لعبادته وهذا إشارة

---

(٧٩٢) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: ١٩/ ٣٨٧.

(٧٩٣) السمين الحلبي، احمد بن يوسف(ت٧٥٦هـ)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، التحقيق: د. محمود التونجي، عالم الكتب، بيروت – لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م: ٣٨١/٤.

(٧٩٤) الفراهيدي، العين: ٢٨٢/١. وابن منظور، لسان العرب: ٢٩١/٥.
وابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: ١٤٤/٣. وابن عباد، المحيط في اللغة: ٣١/٢.

إلى أعمال القلوب كما أن العمل إشارة إلى أعمال الجوارح، لأن الأولى لا تنفع في الآخرة بدون الثانية ولا تقبل (أُولئِكَ) الذين هذا نعتهم (أَصْحابُ الْجَنَّةِ) في الدار الآخرة جزاء إيمانهم وإخلاصهم[٧٩٥].

وَالْإِخْبَاتُ: الْخُضُوعُ وَالتَّوَاضُعُ، أَيْ أَطَاعُوا رَبَّهُمْ أَحْسَنَ طَاعَةٍ[٧٩٦]. والاخبات: الاطمئنان والتذلُّل، والتَّواضع، والخضوع، وأصله من الخَبْتِ وهو المكانُ المطمئنُّ، أي المنخفضُ من الأرض، وأَخْبَتَ الرَّجلُ: دخل في مكانٍ خبت، كأنْجَدَ وأتهم إذا دخل في أحد هذين المكانين، ثُمَّ تُوُسِّعَ فيه فقيل: خَبَتَ ذكرهُ، أي: خَمَدَ، ويقال للشَّيءِ الدَّنيء الخبيث، ومن مجيء(الخَبْت) بمعنى المكان المطمئن قوله:

أفَاطِمُ لَو شَهِدْتِ ببطْنِ خَبْتٍ ... وقَدْ قَتَلَ الهزَبْرُ أخَاكِ بِشْرَا

ومعنى الآية: قال ابنُ عباسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهما- خافُوا. وقال قتادةُ: تابُوا وقال مجاهدٌ: اطمأنُّوا. وقيل: خشعُوا إلى ربِّهم[٧٩٧]. وقال ابن قتيبة: وَأَخْبَتُوا إِلى رَبِّهِمْ أي تواضعوا لربهم. والإخبات: التواضع والوقار[٧٩٨]. وقال ابن عبدالسلام: (أخبتوا) خافوا، أواطمأنوا، أوأنابوا، أوخشعوا وتواضعوا، أوأخلصوا[٧٩٩]. قال أبو جعفر: وهذه الأقوال متقاربة المعاني، وإن اختلفت ألفاظها، لأن الإنابة إلى الله من خوف الله، ومن الخشوع والتواضع لله بالطاعة، والطمأنينة إليه من الخشوع له، غير أن نفس الإخبات، عند العرب: الخشوع والتواضع[٨٠٠].

٢- قال تعالى:﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴾(الحج:٢٢/٣٤).

في هذه الآية الكريمة وردت كلمة المخبتين بمعنى الإطمئنان، أي يامحمدﷺ بشّر المطمئنين الى الله سبحانه وتعالى بأنهم في أمان وسلام.

قال الطبري: يقول تعالى ذكره: وبشر يا محمد الخاضعين لله بالطاعة، المذعنين له بالعبودية، المنيبين إليه بالتوبة، وقد اختلف أهل التأويل في المراد به في هذا الموضع، فقال بعضهم: أريد به: وبشِّر

---

(٧٩٥) العاني، بيان المعاني: ٣/ ١٠٩.

(٧٩٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير: ١٢/ ٣٩، ٤٠.

(٧٩٧) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب:١٠/ ٤٦٢، ٤٦٣.

(٧٩٨) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت: ٢٧٦هـ)، غريب القرآن لابن قتيبة، المحقق: سعيد اللحام، ص: ١٧٦.

(٧٩٩) ابن عبدالسلام، تفسير ابن عبد السلام: ٢/ ٨٦.

(٨٠٠) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن: ١٥/ ٢٨٩.

المطمئنين إلى الله، قاله مجاهد. وقال قَتادة: المتواضعين[٨٠١]. وقال الماوردي: فيه تسعة تأويلات :أحدها: المطمئنين إلى ذكر إلههم، وهو قول مجاهد. والثاني: معناه المتواضعين، وهو قول قتادة. والثالث: الخاشعين، وهو قول الحسن. والفرق بين التواضع والخشوع أن التواضع في الأخلاق والخشوع في الأبدان. والرابع: الخائفين، وهو معنى قول يحيى بن سلام. والخامس: المخلصين، وهو قول إبراهيم النخعي. والسادس: الرقيقة قلوبهم، وهو قول الكلبي. والسابع: أنهم المجتهدون في العبادة، وهو قول الكلبي ومجاهد. والثامن: أنهم الصالحون المطمئنون، وهو مروي عن مجاهد أيضاً. والتاسع: هم الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا، وهو قول الخليل بن أحمد[٨٠٢].

قال ابن عباس وقتادة: المخبت المتواضع الخاشع وقال مُجاهد: المطمئن إلى الله. والخبت المكان المطمئن من الأرض[٨٠٣]. وقال الماوردي: وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ : فيه تسعة تأويلات :

أحدها : المطمئنين إلى ذكر إلههم ، وهو قول مجاهد.

والثاني : معناه المتواضعين، وهو قول قتادة.

والثالث : الخاشعين، وهو قول الحسن.

والرابع : الخائفين ، وهو معنى قول يحيى بن سلام.

والخامس : المخلصين ، وهو قول إبراهيم النخعي.

والسادس : الرقيقة قلوبهم ، وهو قول الكلبي.

والسابع : أنهم المجتهدون في العبادة ، وهو قول الكلبي ومجاهد.

والثامن : أنهم الصالحون المطمئنون ، وهو مروي عن مجاهد أيضاً.

والتاسع : هم الذين لا يظلمون ، وإذا ظلموا لم ينتصروا ، وهو قول الخليل بن أحمد[٨٠٤].

وختاماًتبين للبحث أنّ كلمة(المخبتين)في هذه الآية تأتي بمعنى(المطمئنين)، وهناك معاني أخرى لهذه الكلمة، تطرّق المفسرون اليها، وهي المتواضعين، الخاشعين، ... .

٣- قال تعالى:﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(الحج: ٥٤/٢٢)..

---

(٨٠١) الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن. ١٨/ ٦٢٨. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ١/ ٥٨. وابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: ١٤ /٨٨. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٥/ ٤٢٤. والزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٣/ ١٥٧. والشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٥/ ٢٥٨.

(٨٠٢) الماوردي، النكت والعيون: ٣ / ١١٦.

(٨٠٣) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: ١٤/ ٨٨.

(٨٠٤) الماوردي، النكت والعيون: ٤/ ٢٥.

وذلك في(سورة الحج)أيضاً، حيث يتحدّث سبحانه وتعالى عن ارساء ايمان المؤمنين في قلوبهم.
قال القرطبي: أي تخشع وتسكن[٨٠٥]، وقال ابن كثير: أي تخضع وتذل له قلوبهم[٨٠٦]، وقال الطبري: فتخبت له قلوبهم يقول: فتخضع للقرآن قلوبهم، وتذعن بالتصديق به والاقراربما فيه[٨٠٧]، قال ابن عاشور: وَالْإِخْبَاتُ:الِاطْمِئْنَانُ وَالْخُشُوعُ[٨٠٨].وقال الشنقيطي:(فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ)أي تخشع وتخضع وتطمئن[٨٠٩]. وقال الجزائري:(فيؤمنوابه فتخبت له قلوبهم)أي تطمئن وتسكن عنده وتخشع فيزدادون هدى[٨١٠]. وقال ابن عجيبة(فتُخْبتَ) تطمئن، أوتخشع[٨١١]. وقال ابن عادل: ومعنى(فَتُخْبِتَ) أي تخضع وتسكن له قلوبهم لعلمهم بأن المقضي كائن وكلٌّ مُيَسَّر لِمَا خُلِقَ لَه[٨١٢].

وفي الختام نرى أنّ لفظة(تخبت) في هذه الآية الكريمة، تأتي بمعنى الإطمئنان والخشوع والخضوع للقرآن ولما فيه.

ثالثاً: الهَون

وقد وردت لفظة (الهون) التي تدلّ على الطُمأنينة والسكون والاستقرار، في القرآن الكريم مرة واحدة، وذلك في سورة (الفرقان)، حيث يتحدّث سبحانه وتعالى عن صفات عباد الرحمن، ومن هذه الصفات، هي المشْيُ على الارض بسكينة ووقار، مِن غيرتكبّر ولاتجبّر، ولايتفاخرون بما أعطاهم الله من النعم، من المأكل والمشرب والملبس والمركب، بل يعدّونه نعمة من الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى:﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾

(الفرقان:٦٣/٢٥).

في هذه الآية الكريمة تأتي كلمة الهون بمعنى السكينة والوقار والتواضع.

---

(٨٠٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن:١٢/ ٨٧.

(٨٠٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٢٣/ ٨٢.

(٨٠٧) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن:١١/ ٢٩٦.

(٨٠٨) ابن عاشور، التحرير والتنوير: ١٧/ ٣٠٣.

(٨٠٩) الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:٢٥/ ٦٢.

(٨١٠) الجزائري، أيسرالتفاسير لكلام العلي الكبير: ٥/ ٣٨٠.

(٨١١) ابن عجيبة، البحرالمديد في تفسير القرآن المجيد: ١٤/ ١٦٣.

(٨١٢) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب: ١٤/ ١٢٧.

قال الطبري: بالحلم والسكينة والوقار غير مستكبرين، ولا متجبرين، ولا ساعين فيها بالفساد ومعاصي الله[٨١٣]. وقد أورد آراء الكثيرين على ذلك كلها تدور حول معنى واحد، وهي الحلم والوقار والسكينة. وقال الشوكاني: وَالْهَوْنُ: مَصْدَرٌ، وَهُوَ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ. وَقَدْ ذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ إِلَى أَنَّ الْهَوْنَ مُتَعَلِّقٌ بِيَمْشُونَ، أَيْ: يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ مَشْيًا هَوْنًا. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَيُشْبِهُ أَنْ يَتَأَوَّلَ هَذَا عَلَى أَنْ تَكُونَ أَخْلَاقُ ذَلِكَ الْمَاشِي هَوْنًا مُنَاسِبَةً لِمَشْيِهِ، وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ صِفَةُ الْمَشْيِ وَحْدُهُ فَبَاطِلٌ، لِأَنَّهُ رُبَّ مَاشٍ هَوْنًا رُوَيْدًا وَهُوَ ذِئْبٌ أَطْلَسُ[٨١٤]. وقال القرطبي: الْهَوْنُ مَصْدَرُ الْهَيِّنِ وَهُوَ مِنَ السَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ. وَفِي التَّفْسِيرِ: يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ حُلَمَاءَ مُتَوَاضِعِينَ، يَمْشُونَ فِي اقْتِصَادٍ. وَالْقَصْدُ وَالتُّؤَدَةُ وَحُسْنُ السَّمْتِ مِنْ أَخْلَاقِ النُّبُوَّةِ[٨١٥]. وقد تحدّث الآلوسي على ذلك كثيراً وأورد آراءً عديدة، ولكن مانرجّحه ويقصده وينسجم مع محتوى البحث هو ماقال: والهون مصدر بمعنى اللين والرفق، ونصبه إماعلى أنه نعت لمصدر محذوف أي مشيا هونا أوعلى أنه حال من ضمير يَمْشُونَ والمراد يمشون هينين في تؤدة وسكينة ووقار وحسن سمت لا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشرا وبطرا، وروي نحو هذا عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والفضيل بن عياض وغيرهم، وعن الإمام أبي عبد الله ﷺ أن الهون مشي الرجل بسجيته التي جبل عليها لايتكلف ولا يتبختر[٨١٦]. وقال ابن عاشور: وَالْهَوْنُ: اللِّينُ وَالرِّفْقُ. وَوَقَعَ هُنَا صِفَةً لِمَصْدَرِ الْمَشْيِ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ (مَشْيًا) فَهُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى النِّيَابَةِ عَنِ الْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ. وَالْمَشْيُ الْهَوْنُ: هُوَ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ ضَرْبٌ بِالْأَقْدَامِ وَخَفْقُ النِّعَالِ فَهُوَ مُخَالِفٌ لِمَشْيِ الْمُتَجَبِّرِينَ الْمُعْجَبِينَ بِنُفُوسِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ. وَهَذَا الْهون ناشىء عَنِ التَّوَاضُعِ لِلَّهِ تَعَالَى وَالتَّخَلُّقِ بِآدَابِ النَّفْسِ الْعَالِيَةِ وَزَوَالِ بَطَرِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ فَكَانَتْ هَذِهِ الْمِشْيَةُ مِنْ خِلَالِ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى الضِّدِّ مِنْ مَشْيِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ[٨١٧]. وقال الزحيلي: الهون: اللين والرفق، والمراد أنهم يمشون بسكينة وتواضع ووقار، دون تكبر ولا تجبر، وقال ايضاً: أي وعباد الله المخلصين الربانيين الذين لهم الجزاء الحسن من ربهم هم الذين يمشون في سكينة ووقار، من غير تجبر ولا استكبار، يطؤون الأرض برفق، ويعاملون الناس بلين، لا يريدون علوّا في الأرض ولا فسادا، وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى تصنعا ورياء، وإنما بعزة وأنفة هي عزة المؤمن المتواضع لله وحده، وقال ايضاً: وقد كره بعض السلف المشي بتضعف

---

(٨١٣) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن: ١٩ / ٢٩٣.

(٨١٤) الشوكاني، فتح القدير: ٤ / ٩٩.

(٨١٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ١٣ / ٦٧.

(٨١٦) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١٠/ ٤٣.

(٨١٧) ابن عاشور، التحرير والتنوير: ١٩/ ٦٨.

وتصنع، حتى روي عن عمر أنه رأى شابا يمشي رويدا، فقال: مالك أأنت مريض؟ قال: لا، يا أمير المؤمنين، فعلاه بالدّرة، وأمره أن يمشي بقوة. وإنما المراد بالهون هنا: السكينة والوقار، كما قال رسول الله ﷺ في الصحيحين عن أبي هريرة: (إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، وأتوها، وعليكم السكينة، فما أدركتم منها فصلوا، وما فاتكم فأتمو)[٨١٨]. وروي أيضا أن عمر رضي الله عنه رأى غلاما يتبختر في مشيته، فقال: إن البخترة مشية تكره إلا في سبيل الله، وقد مدح الله أقواما فقال: وَعِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً، فاقصد في مشيتك[٨١٩].

وقال عبدالقادر بن ملاّ حويش: ﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ (الفرقان:٢٥/ ٦٣)، بالسكينة والوقار متواضعين، لايمرحون ولايختالون ولايتبخترون، وقد أضافهم جل شأنه لنفسه للعلم بأنهم المخصوصون بإفضاله المنعم عليهم بصفة كماله، لأن العبودية فعل المأمورات وترك المنهيات، لا لرجاء الثواب والنجاة من العقاب الذين تقتضيهما معنى العبادة، بل لمجرد إحسان الله تعالى ومطلق أمره ونهيه، استحقاقا لذاته المقدسة[٨٢٠]. وقال سيد قطب: ها هي ذي السمة الأولى من سمات عباد الرحمن: أنهم يمشون على الأرض مشية سهلة هينة، ليس فيها تكلف ولا تصنع، وليس فيها خيلاء ولا تنفج، ولا تصعير خد ولا تخلع أو ترهل. فالمشية ككل حركة تعبير عن الشخصية، وعما يستكن فيها من مشاعر. والنفس السوية المطمئنة الجادة القاصدة، تخلع صفاتها هذه على مشية صاحبها، فيمشي مشية سوية مطمئنة جادة قاصدة. فيها وقار وسكينة، وفيها جد وقوة. وليس معنى﴿يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ أنهم يمشون متماوتين منكسي الرءوس، متداعي الأركان، متهاوي البنيان كما يفهم بعض الناس ممن يريدون إظهار التقوى والصلاح[٨٢١]. وقال ابن القيم: كَانَ إذَا مَشَى تَكَفّأَ تَكَفّؤًا وَكَانَ أَسْرَعَ النّاسِ مِشْيَةً وَأَحْسَنَهَا وَأَسْكَنَهَا قَالَ أَبُوهُرَيْرَةَ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَأَنّ الشّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْرَعَ فِي مِشْيَتِهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَأَنّمَا الْأَرْضُ تُطْوَى لَهُ وَإِنّا لَنُجْهِدَ أَنْفُسَنَا وَإِنّهُ لَغَيْرُ مُكْتَرِثٍ وَقَالَ عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إذَا مَشَى تَكَفّأَ تَكَفّؤًا كَأَنّمَا يَنْحَطّ

---

(٨١٨) البخاري، مختصر صحيح البخاري، رقم ٣٨١: ١٠٠. ومسلم، صحيح مسلم: ٢ / ١٠٠.

(٨١٩) الزحيلي، التفسيرالمنير: ١٩/ ١٠٢و١٠٥. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٦/ ١٢٢.

(٨٢٠) العاني، عبد القادر بن ملّا حويش(ت: ١٣٩٨هـ)، بيان المعاني، مطبعة الترقي – دمشق، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥ م: ٢ / ٩٨ و٩٩.

(٨٢١) سيدقطب، في ظلال القرآن: ٥ / ٢٥٧٧.

مِنْ صَبَب وَقَالَ مَرّةً إذَا مَشَى تَقَلّع قُلْت : وَالتّقَلّعُ الِارْتِفَاعُ مِنْ الْأَرْضِ بِجُمْلَتِهِ كَحَالِ الْمُنْحَطّ مِنْ الصّبَبِ وَهِيَ مِشْيَةُ أُولِي الْعَزْمِ وَالْهِمّةِ وَالشّجَاعَةِ وَهِيَ أَعْدَلُ الْمِشْيَاتِ وَأَرْوَاحُهَا لِلْأَعْضَاءِ وَأَبْعَدُهَا مِنْ مِشْيَةِ الْهَوَجِ وَالْمَهَانَةِ وَالتّمَاوُتِ فَإِنّ الْمَاشِيَ إمّا أَنْ يَتَمَاوَتَ فِي مَشْيِهِ وَيَمْشِيَ قِطْعَةً وَاحِدَةً كَأَنّهُ خَشَبَةٌ مَحْمُولَةٌ وَهِيَ مِشْيَةٌ مَذْمُومَةٌ قَبِيحَةٌ وَإِمّا أَنْ يَمْشِيَ بِانْزِعَاجٍ وَاضْطِرَابٍ مَشْيَ الْجَمَلِ الْأَهْوَجِ وَهِيَ مِشْيَةٌ مَذْمُومَةٌ أَيْضًا وَهِيَ دَالّةٌ عَلَى خِفّةِ عَقْلِ صَاحِبِهَا وَلَا سِيّمَا إنْ كَانَ يُكْثِرُ الِالْتِفَاتَ حَالَ مَشْيِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا وَإِمّا أَنْ يَمْشِيَ هَوْنًا وَهِيَ مِشْيَةُ عِبَادِ الرّحْمَنِ كَمَا وَصَفَهُمْ بِهَا فِي كِتَابِهِ فَقَالَ ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ ... ﴾ قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ السّلَفِ بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ مِنْ غَيْرِ تَكَبّرٍ وَلَا تَمَاوُتٍ وَهِيَ مِشْيَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِنّهُ مَعَ هَذِهِ الْمِشْيَةِ كَانَ كَأَنّمَا يَنْحَطّ مِنْ صَبَبٍ وَكَأَنّمَا الْأَرْضُ تُطْوَى لَهُ حَتّى كَانَ الْمَاشِي مَعَهُ يُجْهِدُ نَفْسَهُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ غَيْرُ مُكْتَرِثٍ وَهَذَا يَدُلّ عَلَى أَمْرَيْنِ أَنّ مِشْيَتَهُ لَمْ تَكُنْ مِشْيَةً بِتَمَاوُتٍ وَلَا بِمَهَانَةٍ بَلْ مِشْيَةً أَعْدَلَ الْمَشَيَاتِ[٨٢٢]، ويقول السمين الحلبي: الهون: الترفّق والتّثبّت، أي يمشون بسكينة ووقار، لا أشَراً ولا تجبّراً[٨٢٣].

وجدير بالذكر أنّ (الهون) صفة للمشي مع اطمئنان القلب وسكينته اليه سبحانه وتعالى، لا صفة للمشي فقط.

رابعاً: الرحمة:

تدور مادّة (ر ح م) حول معنى الرّقّة والعطف والرّأفة، يقول ابن فارس: الرّاء والحاء والميم أصل واحد يدلّ على الرّقّة والعطف والرّأفة. يقال من ذلك رحمه يرحمه إذا رقّ له وتعطّف عليه، والرّحم والمرحمة والرّحمة بمعنى. ويقول الجوهريّ: الرّحمة: الرّقّة والتّعطّف. والمرحمة مثله، وقد رحمته وترحّمت عليه، وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضا ... ورجل مرحوم ومرحّم، شدّد للمبالغة، والرّحم بالضّمّة: الرّحمة[٨٢٤].

والرحمة: صفة ذاتٍ إن أريدَ بها إرادة الخير، وصفة فعل ان أريد بها الإحسانُ والتَّعَطُّفُ على الخلق، والرحمة خلق من أخلاق المسلمين، ومعناها الشفقة واللين والعطف، وصف الله بها نفسه

---

(٨٢٢) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدى خير العباد: ١ / ١٦٧ .

(٨٢٣) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ في في تفسير اشرف الالفاظ: ٣٠٩/٤.

(٨٢٤) عدد من المختصّين، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، دارالوسيلة للنشر والتوزيع، جدّة ـ المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م : ٦ / ٢٠٦١.

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾(الفاتحة:١/١). وأرسل بها نبيه ﷺ ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء:٢١/٢٧). ووصف بها الصحابة﴿ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ ﴾(الفتح: ٤٨/٢٩). والرحمة وإن كانت رقة القلب والنفس ولكنها ليست مجرد عاطفة نفسية لا أثر لها، بل إن لها مظاهر حقيقية منها العفو عن المؤمنين ومساعدة الفقراء.

والرحمة أنواع، منها: رحمة الله سبحانه وتعالى بالمخلوقات عامة، ورحمة الله بالمؤمنين خاصة ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ ﴾(الأنعام:٦/٥٤)، ورحمة رسول الله ﷺ بأمته﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾(التوبة:٩/١٢٨)، ورحمة الوالدين بالأولاد، والرحمة باليتامى، والرحمة بالحيوانات، والرحمة بأهل الذمة، والرحمة بالجيران، والرحمة بالوالدين، والرحمة بالمحتاجين، والرحمة بالعصاة، والرحمة بالرعية.

ولأنّ الله سبحانه وتعالى أرحم الراحمين، وهو الموصوف بالرحمن الرحيم، ذكر سبحانه وتعالى الرحمة في كتابه العزيز(مائة وتسعة وتسعين) مرة بجميع صِيَغِهِ ومشتقاته وأنواعه، حيث ورد في موسوعة(نضرة النعيم في مكارم اخلاق الرسول الكريم)[٨٢٥]. ولكن لكثرة الآيات التي وردت في سياقها الرحمة، ووخوفاً من الإستطراد، لاندرج الآيات كلها، وهي موجودة في المعجمات والموسوعات القرآنية.

الرحمة في قلوب الخلائق عطية من الله الرحيم، ولولاها لفسدت حياة الناس؛ لأن كل إنسان يريد أن يكون وحده ذا ملك ومال وما إلى ذلك، ولكن من لا يرحم الناس، فلا يحرص على هدايتهم، وجلب المنافع لهم، يكون بغيضاً عندهم، ولو كان من أقواهم بدناً، وأكثرهم مالاً، وأفصحهم لساناً. الرحمة خلق حسن، حث عليه الشارع وأمرنا به، وذكر صوراً كثيرة من صور هذا الخلق، وجعله أصلاً، والرحمة كمال في الطبيعة تجعل المرء يرقّ لآلام الخلق ويسعى لإزالتها ويأسى لأخطائهم فيتمنى لهمَ الهدى. الرحمة عاطفة حية نابضة بالحب للناس والرأفة بهم والشفقة عليهم.

قال ابن كثير(هُوَ الَّذِي أَنزلَ السَّكِينَةَ) أَيْ: جَعَلَ الطُّمَأْنِينَةَ. قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعَنْهُ: الرَّحْمَةُ[٨٢٦].

---

(٨٢٥) عدد من المختصين، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم: ٦/٢٠٦٥ - ٢٠٨٩.

(٨٢٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٧ / ٣٢٨.

وقال ابن عبدالسلام (السَّكِينَةَ)الصبر على أمرالله، أوالثقة بوعده، أوالرحمة لعباده[٨٢٧]. وقال الطبري: قال ابن عباس، في قوله(هُوَ الَّذِي أَنزلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ) قال: السكينة: الرحمة[٨٢٨]. وقَالَ السيوطي: السكينَة هِيَ الرَّحْمَة فِي[٨٢٩]. وقال الماوردي: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(الفتح:٤/٤٨)، فيها ثلاثة أوجه: أحدها: أنه الصبر على أمر الله. الثاني: أنها الثقة بوعد الله. الثالث: أنها الرحمة لعباد الله[٨٣٠]. وجاء في لسان العرب: وقال شمر، قال بعضهم السَّكِينة الرحمة وقيل هي الطمأْنينة[٨٣١].

خامساً: الامن:

لقد اهتمّ الاسلام بالامن اهتماماً بالغاً وجعله من مقومات الحياة الكريمة، لأنّ الأمن مطلب فطري لدى كافة الكائنات الحية، فهو يُعتبر ركيزة اساسيةمن ركائز الحياة التي لايمكن الاستغناءعنها في هذا الكون، فشأن الأمن لايقلّ أهمية عن شأن الأمور الأساسية في الحياة كالغذاء، إذ لايمكن الاستغناء عن الغذاء، وكذلك الحال بالنسبة للأمن.

والأمن هو شعور المجتمع وافراده بالطمأنينة والسكينة والإستقرار، والعيش بحياة طيبة من خلال اجراءات وتدابير كافية يمكن أن تزيل عنهم الاخطار، أيّاً كان شكلها وحجمها، حال ظهورها، ومن خلال اتخاذ تدابير واقية.

لغة: تدور مادّة (الأمن) حول معنيين: الأمانة، والتّصديق، يقول ابن فارس الهمزة والميم والنّون أصلان متقاربان: أحدهما: الأمانة الّتي هي ضدّ الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر: التّصديق. فمن الأوّل: الأمنة من الأمن، والأمان إعطاؤه، والأمانة ضدّ الخيانة. يقال: أمنت الرّجل أمنا وأمنة، وأمانا، وأمنني يؤمنني إيمانا، والعرب تقول: رجل أمان، إذا كان أمينا ... .

ومن الثّاني: التّصديق، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾(يوسف: ١٢/ ١٧) أي مصدّق لنا.

---

(٨٢٧) ابن عبد السلام، تفسيرابن عبد السلام : ٣ / ٢٠٣.

(٨٢٨) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن :٢٢ / ٢٠٣.

(٨٢٩) السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور : ٧ / ٥١٤.

(٨٣٠) الماوردي، النكت والعيون: ٤/ ١٣٩

(٨٣١) ابن منظور، لسان العرب: ١٣/ ٢١١.

ويقول الرّاغب: أصل الأمن طمأنينة النّفس، وزوال الخوف. والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر، ويجعل الأمان تارة اسما للحالة الّتي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارة اسما لما يؤمن عليه الإنسان نحو قوله ﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾(الأنفال: ٢٧/٨) أي ما ائتمنتم عليه.وقال ابن منظور:الأمن نقيض الخوف،أمن فلان يأمن أمنا وأمنا. حكى هذا الزّجّاج، وأمنة وأمانا فهو آمن.

والأمنة: الأمن، وفي حديث نزول المسيح، على نبيّنا وعليه الصّلاة والسّلام: «وتقع الأمنة في الأرض» أي الأمن، يريد أنّ الأرض تمتلأ بالأمن فلا يخاف أحد من النّاس والحيوان[٨٣٢].

قال السمين الحلبي: الأمنُ: الطُمأنينة عند الخوف، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ﴾ (الأنعام:٨٢/٦). والأمنُ والأمان والأمانة في الأصل مصادر. وتُجعلُ الأمانةُ اسم الحالة التي يكون عليها الانسان في الأمن تارة، ولما يؤتمن عليه الانسان أخرى، نحو قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾(الأنفال:٢٧/٨). أي: ما اتمنتم عليه. قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ﴾(الأحزاب:٧٢/٣٣). قيل: هي كلمة التوحيد، وقيل العدالة، وقيل: العقل، وقيل حروف التهجي، بل بحصوله يُعلمُ كل ما في طوق البشر، وبه فُضِّل على كثير ممن خلقه تفضيلاً. وقال الحسنُ: هي الطّاعة، وقيل العبادة[٨٣٣]. وقال ابن منظور: وفي حديث قيلة: أن النبي، ﷺ، قال لها: يا مسكينة عليك السكينة، أراد عليك الوقار والوداعةوالأمن[٨٣٤].

ومما يدل على اهتمام الاسلام بالامن كثرة ورودها في السياق القرآني، حيث ورد في أكثر من (ست وعشرين) آية بجميع صيغِها ومشتقاتها، ولكن خوفاً من الاطالة لم ندرج كل الآيات التي تتحدّث فيها عن الأمن والأمان، بل اكتفى بذكر اسم الور ورقم الآيات التي وردت فيها، وهي:

(البقرة: ١٢٥،١٢٦،١٩٦/٢) و(آل عمران: ٧٥،٩٧/٣) و(النساء: ٨٣،٩١/٤) و(الأنعام:٨٢/٦) و(التوبة:٦/٩) و(يوسف:١١،٦٤،٩٩/١٢) و(ابراهيم:١٤٣٥) و(النحل:١٢/١٦) و(الحجر:٤٦،٨٢/١٥) و(سبأ:١٨/٣٤)و(نور:٥٥/٢٤) و(الشعراء:١٤٦/٢٦) و(العنكبوت:٦٧/٢٩) و(فصلت:٤٠/٤١) و(الدخان:٥٥/٤٤) و(الفتح:٢٧/٤٨) و(المعارج:٢/٧٠) و(قريش:٤/١٠٦) .

---

(٨٣٢) عدد من المختصين، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم: ٩/ ٣٩٩٩.

(٨٣٣) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ في في تفسير اشرف الالفاظ: ١٣٧/١و١٣٨.

(٨٣٤) ابن منظور، لسان العرب: ٧/ ٤٢٢.

الاستنتاجات

لقد تمخّض هذا البحث المتواضع عن جملة نتائج نجملها في الآتي:

١- عني اللغويون قديماً وحديثاً بِدراسة الدلالة والعلاقة القائمة بين الدّالّ والمدلول، وقدكان للمناطقة وعلماء الأُصول في التّراث أثرٌ بارزٌ في البحث الدلالي إذ عرّفوا مفهوم الدّلالة وأقسامها، وتركّز البحث الدّلالي عند الغربيين في ماأسموهُ بِعلم الدّلالة الذي طوّرت أبحاثه مِن خلال الإستفادة من نتائج العلوم الأخرى في نحو علم الإجتماع وعلم النفس و...، فظهرت نظريات دلالية، منها: النظرية الإشارية والسلوكية، ونظرية الحقول الدّلالية.

٢- ينهض البحث أساساً من موضوع دلالي وَجد في القرآن الكريم ميداناً لِتطبيق مايصبو إليه من الوصول إلى الهدف الحقيقي الذي يكمن في دراسة دلالات ألفاظ السكينة والطمأنينة.

٣- وجدنا أنّ القرآن الكريم يستخدم لفظ السكينة مقروناً بالطمأنينة، فهما لفظان يَردان معاً لِما فيهما من معانٍ تدخل ضمن إطار إشاعة السكون والإطمئنان في قلوب المؤمنين.

٤- تبيّن للبحث أنّ السكينة والطمأنينة صنوان لايفترقان، عليهما يعتمد سكون النفس واطمئنانها وثباتها ووقارها، ويظهر ذلك من خلال الألفاظ والتراكيب الدالة على المدلولين معاً.

٥- تتضافر المكونات اللغوية المنضوية تحت إطار منطقي يُعرف بالجملة(وهي المكونات الصوتية والصرفية والنحوية) في الكشف عن دلالات السكينة والطمأنينة التي تردُ في سياقات قرآنية، وكل مكوّن من هذه المكوّنات له أثرٌ واضح في الكشف عن القيمة المعنةية التي تحملها هذه المكوّنات.

٦- إنّ في صوت السين جرساً ما يوحي بِمشاهد الهدوء والسكينة والإطمئنان، فالسين صوت مهموس يدخل ضمن الأصوات الموصوفة بالتردّدات المتوسّطة.

٧- خلق الله سبحانه وتعالى للإنسان وسائل الراحة النفسية وهدوء العقل والبدن والبال والإطمئنان، وهي كما أشار إليها سبحانه وتعالى في آيات كثيرة(دين الإسلام، أرسله الله رحمة للعالمين كافة، والزوجة الصالحة التي يسكن ويطمئن عندها الرجل، والليل التي يهدأ فيها الإنسان، والبيت التي يسكن ويستريح فيها).

٨- لم يترك سبحانه وتعالى عباده في حالات الحرب والمشاكل والكلال، بل يعينهم ويساعدهم وينجيهم، وذلك بإنزال السكينة والطمأنينة عليهم.

٩- السكون والإطمئنان يدخلان في شِعاب النفس والفؤاد، ويكون المرء بِمنجى من الخوف والقلق، وبمنأى عن الوساوس التي تقرّبه من الشيطان، وما يبغيه الإسلام هو نشر السكون والإطمئنان في نفوس المؤمنين وإشاعته بين الناس جميعاً.

١٠- كلّ سكينة وردَ في القرآن تأتي بمعنى الوَداعة والوَقار إلاّ التي ورد في سورة(البقرة) عند جمهور العلماء والمفسرين ، وهي تأتي بمعان مختلفة منها ماجاء في التفاسير: ريح خجوج، ورأس هرّة ميتة، وله وَجهٌ كَوَجه الإنسان، وله جناحان وذَنَب، وصحف وعصا موسىعليه السلام والألواح،.. الخ.

١١- لقد أنعم الله سبحانه وتعالى كلّ هذه النعم من سكون القلب وإطمئنانه وراحة الجسم والبدن وهدوء العقل والضمير، وذلك من خلال توفير وسائلها وأسبابها، كلّ ذلك كان لأن يشكرالله عبادهُ ويُوّحّدوه على نِعَمائه وآلائه التي لاتُعدّ ولاتُحصى.

فهرس الاعلام

١. ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة، أبوعبدالله، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي (٧٥١هـ)، أحد كبارالعلماء. مولده ووفاته في دمشق.

٢. الفراهيدي، الخليل بن أحمد بن عمرو الأزدي اليحمدي(ت١٧٠هـ)، واضع علم العروض، وهو أستاذ سيبويه. ولد ومات في البصرة. له كتاب(العين)، وكتب أخرى كثيرة.

٣. أَبُوالأَسْود الدُّؤَلي، ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل(ت٦٩هـ)، واضع علم النحو. من التابعين. أول من نقط المصحف. مات بالبصرة.

٤. سِيبوَيْه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي(ت١٨٠هـ)، إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو، صنف كتابه(كتاب سيبويه) في النحو.

٥. ابن جِني، أبوالفتح عثمان بن جني الموصلي، من أئمة الأدب والنحو، وله شعر. ولد بالموصل وتوفي ببغداد، عن نحو٦٥عاما.

٦. المَرْعَشي، محمد بن أبي بكر، فقيه حنفي وصنف نحو(٣٠ كتابا ورسالة). توفي بمرعش، ودفن في قبليها.

٧. الأَنْبَاري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، من علماء اللغة والأدب وتاريخ الرجال. سكن بغداد وتوفي فيها.

٨. مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن القيسي، عالم بالتفسير والعربية من أهل القيروان ولد فيها، ثم سكن قرطبة وتوفي فيها.

٩. المبرد، محمد بن يزيد بن عبدالأكبرالثمالي الأزدي، إمام العربية ببغداد في زمنه، مولده بالبصرة ووفاته ببغداد. قال الزبيدي: المبرّد بفتح الراء المشددة عند الأكثر وبعضهم يكسر.

١٠. الدَّاني، عثمان بن سعيد بن عثمان، أحد حفاظ الحديث، ومن الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره، من أهل دانية بالأندلس، وتوفي في بلده، له أكثر من مئة تصنيف.

١١. ابن دُرَيْد، محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، من أئمة اللغة والأدب، يقولون: ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء. ولد في البصرة، توفي في بغداد.

١٢. الْجَوْهَري، إسماعيل بن حماد، لغويّ، من الأئمة، أقام ومات في نيسابور.

المصادر والمراجع

١. أنيس، ابراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط٤، ١٩٧١م .

٢. ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، استانبول، ١٩٨٩م .

٣. ابراهيم مصطفى، إحياء النحو، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩م .

٤. ابن ابي شيبة، الحافظ عبد الله بن محمد، مصنف ابن أبي شيبة في الاحاديث والاثار، علق عليه سعيد اللحام، الاشراف الفني والمراجعة والتصحيح : مكتب الدراسات والبحوث في دار الفكر، دارالفكر، د ت، د ط .

٥. ابن الأثير: مجدالدين أبوالسعادات المبارك بن محمد بن عبدالكريم الشيباني، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٦. ابن الجوزي، أبوالفرج عبدالرحمن بن علي، غريب الحديث: تحقيق: عبدالمعطي أمين القلعجي، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٧. ابن الجوزي، أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي، زادالمسيرفي علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ .

٨. ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمد، زادالمسيرفي علم التفسير: المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.

٩. ابن العصفور، علي بن مؤمن بن محمد، الممتع الكبير في التصريف، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٦.

١٠. ابن القطّاع الصقلي، علي بن جعفر بن علي السعدي، أبوالقاسم، كتاب الأفعال، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

١١. ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبوعبد الله، تهذيب مدارج السالكين: تهذيب: عبدالمنعم صالح العلي العزّي، نشر إحسان، طهران - إيران .

١٢. ابن المُلَقِّن، سراج الدين ابي حفص عمر بن ابي الحسن علي بن احمد، تفسير غريب القرآن، تحقيق: سميرطه المجذوب، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،

١٣. ابن جزي الكلبي، أبوالقاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله، التسهيل لعلوم التنزيل، المحقق: عبدالله الخالدي، شركة دارالأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ١٤١٦ هـ.

١٤. ابن جنّي، أبوالفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمدعلي النجار، طبع في دارالشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠م .

١٥. ابن جني، أبوالفتح عثمان، سرّ صناعة الإعراب، تحقيق: مصطفى السقا، محمد الزفزاف، وإبراهيم مصطفى بن عبدالله أمين، ١٩٥٤م .
١٦. ابن حجرالعسقلاني، أبوالفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، فتح الباري شرح صحيح البخاري: دارالمعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ .
١٧. ابن زكريا الانصاري، زكريا بن محمد بن أحمد، الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، المحقق: مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، بيروت، ١٤١١.
١٨. ابن زكريا، أبوالحسين أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، اعتنى به محمد عوض مرعب، والآنسة فاطمة محمد أصلان، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
١٩. ابن سيده، أبوالحسن علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم: المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .
٢٠. ابن سيده، أبوالحسن علي بن إسماعيل، المخصص، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م .
٢١. ابن عادل، أبوحفص عمر بن على الدمشقى، اللباب في علوم الكتاب، دار الكتب العلمية - بيروت، بيروت .
٢٢. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، طبعة جديدة ومنقّحة ومصحّحة، مؤسسة التأريخ، بيروت، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م .
٢٣. ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي، البحرالمديد في تفسير القرآن المجيد، دارالكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢ م - ١٤٢٣ هـ .
٢٤. ابن قتيبة، أبومحمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، غريب القرآن لابن قتيبة، المحقق: سعيد اللحام.
٢٥. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب بن سعد شمس الدين، إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان: تحقيق: محمد عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، ودار الخاني للنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٩٨٩م .
٢٦. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب بن سعد شمس الدين، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، دارالكتب العلمية، بيروت، د.ت، د.ط .
٢٧. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق : محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، بيروت، ط٢ ، ١٩٧٣.
٢٨. ابن كثير، أبوالفداء إسماعيل بن عمر بن كثيرالقرشي البصري البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دارهجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٢٩. ابن كثير، عماد الدين أبوالفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم ويليه كتاب فضائل القرآن، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشروالتوزيع، بيروت، ١٤٢٠هـ٢٠٠٠م .
٣٠. ابن كثير، عمادالدين أبوالفداء إسماعيل بن عمر، تفسيرالقرآن العظيم ويليه كتاب فضائل القرآن، دارإحياءالتراث العربي للطباعة والنشروالتوزيع، بيروت، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م .
٣١. ابن منظور، أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٧م .
٣٢. ابن هشام، أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف، أوضح المسالك إلى ألفية إبن مالك، دار الجيل - بيروت، ط٥، ١٩٧٩.
٣٣. أبوالحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دارالفكر للطباعة والنشر، ١٩٧٩م .
٣٤. أبوالسعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: دار إحياء التراث العربي، بيروت .
٣٥. أبوالقاسم، علي بن جعفر بن علي السعدي، كتاب الأفعال، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م .
٣٦. أبوجيب، سعدي، القاموس الفقهي لغةً واصطلاحاً، دار نورالصباح(دمشق حلبوني)، ودارالصديق للعلوم (دمشق حلبوني)، ٢٠١١م .
٣٧. ابوعبدالرحمن علي بن اسماعيل القاضي، الفروق الشرعية واللغوية عند ابن القيم الجوزية، دار ابن القيم، الرياض، دار ابن عفان، القاهرة، ٢٠٠٣م .
٣٨. ابوعلي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، التعليقة على كتاب سيبويه، المحقق: عوض بن حمد القوزي، ١٩٩٠م .
٣٩. ابوهلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى، معجم الفروق اللغوية، المحقق: بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي،(قم)، ١٤١٢هـ .
٤٠. ابي داود، للحافظ ابي داود سليمان بن الاشعث السجستاني، سنن ابي داود، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، طبعة جديدة منقحة ومفهرسة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،(د. ط . ، د. ت.) .
٤١. احمد ابن حنبل، أبوعبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الامام احمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١ م .
٤٢. الأخفش الاوسط، أبوالحسن سعيد بن مسعمة المجاشعي، معاني القرآن، تحقيق: فائز فارس، دارالبشير، دارالأمل، ط٢، ١٤٠١هـ ١٩٨١م .

٤٣. الأخفش، أبوالحسن المجاشعي، معانى القرآن للأخفش، تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م .
٤٤. الاسترابادي، رضي الدين محمد بن الحسن، شرح الرضي على الكافية: دارالكتب العلمية بيروت، ١٩٨٠م .
٤٥. الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن: تحقيق: صفوان عدنان داوودي، مطبعة: سليمان زاده، قُم، الناشر: طليعة النور، ١٤٢٦هـ .
٤٦. آل نصر، سليم بن عيد الهلالي ومحمد بن موسى، الإستيعاب في بيان الأسباب: دار ابن الجوزي، الدمام ط٢، ١٤٣٠هـ .
٤٧. الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المحقق: علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥هـ .
٤٨. الأنباري، أبوالبركات، أسرارالعربية: تحقيق: فخر صالح قدارة، دارالجيل، بيروت، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م .
٤٩. الاندلسي، أبوحيان أثيرالدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ .
٥٠. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه(مختصر صحيح البخاري)، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دارطوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ .
٥١. برجشتر اسر، التطور النحوي للغة العربية: أخرجه: رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ١٩٨٢ م.
٥٢. البركتي، محمد عميم الإحسان المجددي، التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ -
٥٣. البركتي، محمد عميم الإحسان المجددي، قواعد الفقه، مطبعة الصدف ببلشرز - كراتشي، ١٩٨٦م .
٥٤. البغوي، أبومحمد الحسين بن مسعود الفرّاء، معالم التنزيل، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، مطبعة دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٠م .
٥٥. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية – بيروت، بيروت، ١٩٩٥م .
٥٦. البهوتي، منصور بن يونس بن إدريس، كشّاف القناع: تحقيق هلال مصيلحي مصطفى هلال، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ .
٥٧. البيضاوي، ناصر الدين أبي الخير عبدالله بن عمر بن محمد، أنوارالتنزيل وأسرارالتأويل: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بِمصر، ط٢، ١٣٨٨هـ -١٩٦٨م .

٥٨. الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون دار إحياء التراث العربي – بيروت، بيروت.
٥٩. التُستري، أبومحمدسهل بن عبدالله بن يونس بن رفيع، تفسيرالتستري، جمعها: أبوبكرمحمدالبلدي، المحقق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣ هـ .
٦٠. التهانوي، محمد علي، موسوعة كشّاف إصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٩٦م .
٦١. الثعالبي، أبوزيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المحقق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤١٨هـ .
٦٢. الثمانيني، أبوالقاسم عمر بن ثابت، شرح التصريف، المحقق: إبراهيم بن سليمان النعيمي، مكتبة الرشد، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م .
٦٣. جبل، محمد حسن حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصّل لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢مزيدة ومنقحة، ٢٠١٢م .
٦٤. الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات: تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ .
٦٥. الجصاص، أحمد بن علي أبوبكر الرازي، أحكام القرآن: تحقيق محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ .
٦٦. الجوهري، أبونصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م .
٦٧. الجوهري، إسماعيل بن حماد، معجم الصِّحاح - قاموس عربي - عربي: تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت.
٦٨. حامد عبدالهادي حسين، ونشأت صلاح الدين حسين، معجم ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن الكريم، مركز البحوث والدراسات الاسلامية، ديوان الوقف السني، بغداد، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م .
٦٩. حماسة، عبداللطيف محمد، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، مكتبة أُم القرى، الكويت، ١٩٨٤م .
٧٠. الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، مطبعة الخلود، بغداد، ١٩٨٦م .
٧١. الحمصي، محمد حسن الحمصي، مفردات القرآن تفسيروبيان مع اسباب النزول للسيوطي، مؤسسةالايمان(بيروت)،ودارالرشيد(دمشق- بيروت)،(د.ط.)،(د.ت.).

٧٢. الحميدان، أبوالحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، أسباب نزول القرآن، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دارالإصلاح – الدمام، ط٢، ١٩٩٢ م .
٧٣. الحنبلي، أبوعبدالله محمد بن أبي الفتح البعلي، المطلع على أبواب المقنع: تحقيق محمد بشير الأدلبي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١م .
٧٤. الخازن، علاءالدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر، لباب التأويل في معاني التنزيل: المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
٧٥. خالويه، أبوعبدالله الحسين بن أحمد، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم: تحقيق: محمد إبراهيم سليم، مطابع إبن سينا، القاهرة، مكتبة القرآن، ١٩٨٩م .
٧٦. الخطيب الإسكافي، محمدبن عبدالله، درّةالتنزيل وغرّة التأويل، دارالآفاق الجديدة، بيروت،١٩٧٣م.
٧٧. دي سوسير، فردينان، علم اللغة العام، ترجمة : يوئيل يوسف عزيز، مراجعة: مالك يوسف المطلبي، مطبعة الموصل، ١٩٨٨م .
٧٨. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مختارالصحاح: دارالكتاب العربي، بيروت، ١٩٨١م .
٧٩. الزبيدي، محب الدين أبوفيض السيد محمد بن محمد بن عبد الرزّاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس: تحقيق علي شبري، دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،١٩٩٤م .
٨٠. الزحيلي وآخرون، وهبة الزحيلي ومحمد عدنان سالم ومحمد بسّام رشدي الزين ومحمد وهبي سليمان، الموسوعة القرآنية الميسرة: دارالفكر: دمشق ـ سورية، ودار الفكر المعاصر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤م .
٨١. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي، الأعلام، دارالعلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م .
٨٢. الزمخشري، جارالله محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : بيروت، ١٩٤٧م .
٨٣. السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ ـ٢٠٠٠ م .
٨٤. السمرقندي، أبوالليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، بحرالعلوم، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.
٨٥. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: حققه: محمد التونجي، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٤هـ ـ١٩٩٣م .
٨٦. سيبويه، ابوالبشرعمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دارالجيل، بيروت.

٨٧. سيدقطب، إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٧مزيدة ومنقّحة، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .
٨٨. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الدرالمنثور في التأويل بالمأثور، دار الفكر - بيروت، ١٩٩٣ .
٨٩. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكرالسيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، عبدالعال سالم مكرم، دارالبحوث العلمية، الكويت، ١٩٨٠م .
٩٠. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر، اسباب النزول: دار ابن الهيثم، القاهرة، ٢٠٠٥م .
٩١. السيوطي، والمحلي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، وجلال الدين محمد بن أحمد، تفسير الجلالين. دارالحديث – القاهرة .
٩٢. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني، أضواء البيان، مكتب البحوث والدراسات، دارالفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م .
٩٣. شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، التبيان في تفسير غريب القرآن، تحقيق: فتحي أنور الدابولي، دار الصحابة للتراث بِطنطا، القاهرة، ١٩٩٢م .
٩٤. الشوا، أيمن عبدالرزاق الشوا، إعراب القرآن الكريم من مغني اللبيب، دار إبن كثير، دمشق - بيروت، ط٢، ٢٠٠٣م.
٩٥. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ١٤١٤ هـ .
٩٦. الصابوني، محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير: تحقيق: عمر عبدالسلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م .
٩٧. الصاعدي، عبد الرزاق بن فراج، تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم: عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ٢٠٠٢م .
٩٨. صافي، محمود بن عبدالرحيم، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة، طبعة مزيدة بإشراف اللجنة العلمية بدارالرشيد، (دارالرشيد، دمشق)،(دارالإيمان، بيروت)، ١٩٩٠م .
٩٩. الصلابي، علي محمد، فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، أنواعه، شروطه وأسبابه، مراحله وأهدافه، دارالمعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، ٢٠٠٥م .
١٠٠.ضناوي، سعدي، وجوزيف مالك، معجم المترادفات والأضداد، المؤسسة الحديثة للكتاب ناشرون، طرابلس، ٢٠١٣م .

١٠١.الطبري، أبوجعفر محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان في تفسير القرآن دارالمعرفة، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
١٠٢.عبدالباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بِحاشية القرآن الكريم، مطبعة ظهور، الجمهورية الإسلامية الإيرانية، منشورات ذوي القربى، ط٣ ، ١٣٨٤ش.
١٠٣.عبدالقادرالسعدي، عبدالقادر بن عبدالرحمن، أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية: مطبعة الخلود، بغداد، ١٩٨٦م.
١٠٤.عدد من أساتذة التفسير، تحت إشراف عبدالله بن عبد المحسن التركي، التفسير الميسّر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط٢مزيدة ومنقحة، ٢٠٠٩ م.
١٠٥.عدد من المختصّين، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، دارالوسيلة للنشر والتوزيع، جدّة، ط٣، ٢٠٠٤م.
١٠٦.العزّي، محمد بن محمد بن محمد العزي، إتقان مايحسن من الأخبار الدائرة على الألسن: تحقيق: خليل محمد العربي، مطبعة الفاروق الحديثة، القاهرة، ١٤١٥هـ.
١٠٧.عطية، جرجي شاهين، معجم المعتمد، تحقيق: سعدي مناوي، وجوزيف مالك، واميلين الياس، مراجعة: إميل يعقوب، دارالكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠١١.
١٠٨.العكبري، أبوالبقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجّاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
١٠٩.علاءالدين البخاري، علاءالدين عبدالعزيز بن أحمد، كشف الأسرار: تحقيق: عبدالله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.
١١٠.عيتاني، محمد خليل، المعجم المفصل لِمواضيع القرآن المنزّل، دارالمعرفة، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
١١١.الغلاييني، مصطفى، جامع الدروس العربية مذيّلاً ببحثي البلاغة والعروض، تحقيق: علي سليمان شبارة، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
١١٢.الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين، معجم ديوان الأدب، تحقيق: أحمد مختار عمر، مراجعة: إبراهيم أنيس، مؤسسة دارالشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
١١٣.فخرالدين الرازي، أبوعبدالله محمد بن عمربن الحسن بن الحسين التيمي، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية – بيروت، بيروت، ٢٠٠٠ م.
١١٤.الفرّاء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله، معاني القرآن للفرّاء: المحقق: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دارالمصرية للتأليف والترجمة.

١١٥.الفراهيدي، الخليل بن أحمد، الجُمَل في النحو، تحقيق: فخرالدين قباوة، ط٥، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
١١٦.الفراهيدي، الخليل بن احمد، العين: تحقيق: د.مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دارالرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، مطابع الرسالة، الكويت، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
١١٧.فريد، أحمد فريد، تزكية النفوس، دار العقيدة للتراث، الإسكندرية، ١٩٩٣ م .
١١٨.الفيروز آبادي، مجدالدين أبوطاهر محمد بن يعقوب، تنوير المقباس من تفسير إبن عبّاس: مطبعة الإستقامة، القاهرة، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م .
١١٩.الفيروزآبادي، مجد الدين أبوطاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٨، ٢٠٠٥ م .
١٢٠.الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري،المصباح المنير:المكتبة العلمية .
١٢١.القاضي، محمد محمود، اعراب القرآن الكريم، اشرف عليه وراجعه: كمال محمد بشر، عبدالغفار حامد هلال، دار الصحوة، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م .
١٢٢.القرطبي، أبوعبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ٢٠٠٣ م .
١٢٣.القزويني، جلال الدين محمدبن عبدالرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: لجنة من أساتذة جامعة الأزهر، مطبعة السنة المحمدية .
١٢٤.القشيري، عبدالكريم بن هوازن بن عبد الملك، لطائف الإشارات، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣ .
١٢٥.القيرواني، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة التيمي، التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه، قدمت له وحققته: هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٩م .
١٢٦.الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر، أسرارالتكرار في القرآن. تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، دار الإعتصام، القاهرة، ط٢ ، ١٣٩٦هـ .
١٢٧.الكفوي، أبوالبقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكلّيّات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م .
١٢٨.اللحام وآخرون، محمدهادي، محمد سعيد، زهيرعلوان، القاموس، عربي عربي، دارالكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٨م.
١٢٩.الماوردي، أبوالحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، النكت والعيون: تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دارالكتب العلمية، بيروت.

١٣٠.المبرد، المقتضب، تحقيق: محمد عبدالخالق عظيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ـ القاهرة، القاهرة .
١٣١.مجاهد، مجاهد بن جبرالمخزومي أبوالحجّاج، تفسير مجاهد: تحقيق: عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي، دارالنشر: المنشورات العلمية، بيروت.
١٣٢.مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الجمهورية، ط٢، ١٩٨٥م .
١٣٣. قلعجي، محمد رواس – قنيبي، حامد صادق، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٨٨ م .
١٣٤.محمد سيد طنطاوي، معجم إعراب ألفاظ القرآن الكريم، راجعه محمد فهيم ابوعبيّة، مطبعة شريعت، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران – ايران، ٢٠٠٦م .
١٣٥.محمد محي الدين عبدالحميد، شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، لقاضي القضاة بهاء الدين عبدالله ابن عقيل العقيلي الهمداني المصري، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، مكتبة الكمال، د ت ، د ط .
١٣٦.محي الدين الدرويش، اعراب القرآن وبيانه، دارااليمامة(دمشق- بيروت)، ودارابن كثير (دمشق- بيروت)، دار الإرشاد للشئون الجامعية(حمص - سورية)، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م .
١٣٧.مخلوف، حسنين محمد مخلوف، كلمات القرآن تفسيروبيان، الطبعة الأخيرة، ١٩٧٥م .
١٣٨.مسلم، مسلم بن الحجاج أبوالحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٣٩.المصري، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، التبيان في تفسير غريب القرآن: تحقيق:فتحي أنور الدابولي، دار الصحابة للتراث بِطنطا، القاهرة، ١٩٩٢م .
١٤٠.المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مركز نشر آثارالعلامة المصطفوي، القاهرة– لندن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩م.
١٤١.معلوف، لويس المعلوف، المنجد في اللغة، ١٣٨٢ ش، شركت جاب قدس، قُم ـ إيران.
١٤٢.مقاتل، أبوالحسن مقاتل بن سليمان بن بشير، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: احمد فريد، دارالكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣ م .
١٤٣.المقدسي، المطهر بن طاهر، البدء والتأريخ: مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد.
١٤٤.المقدسي، مرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكرمى، دليل الطالب لنيل المطالب، المحقق: أبوقتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
١٤٥.مكي، أبومحمد مكي بن أبي طالب القيسي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دمشق، ١٩٧٣م .

١٤٦.مكي، أبومحمد مكي بن أبي طالب القيسي، كتاب تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم: تحقيق: محيي الدين رمضان، دار الفرقان، عمان، ١٩٨٥م .
١٤٧.مكّي، أبومحمد مكي بن أبي طالب القيسي، مشكل إعراب القرآن الكريم، تحقيق حاتم صالح الضامن، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٥م .
١٤٨. المناوي، زين الدين محمد بن تاج العارفين، التوقيف على مهمات التعاريف: تحقيق: محمد رضوان الداية، دارالفكرالمعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، ١٤١٠هـ .
١٤٩.المنّاوي، زين الدين محمد بن تاج العارفين، فيض القدير: المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٥٦هـ .
١٥٠.المنصوري، علي جابر، أبوعلي النحوي وجهوده في الدراسات اللغوية والصوتية، مطبعة الجامعة، بغداد، ١٩٨٧م.
١٥١.النّحّاس، أبوجعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، إعراب القرآن للنحّاس: تحقيق خالد العلي، دارالمعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٦م.
١٥٢.النحّاس، أبوجعفر، معاني القرآن للنحّاس: تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ .
١٥٣.النحوي، جمال الدين أبوعمرو عثمان بن عمر، الشافية في علم التصريف: تحقيق: حسن أحمد العثمان، المكتبة المكية، مكة، ١٩٩٥م.
١٥٤.النسفي، أبوالبركات عبدالله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، بيروت، ١٩٩٨ م .
١٥٥.نهر، هادي، الصرف الوافي دراسة وصفية تطبيقية في الصرف وبعض المسائل الصوتية: مطبعة التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٩م .
١٥٦.نورالدين الوسيط، عصام نورالدين، معجم نورالدين الوسيط، دارالكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٩م.
١٥٧.النووي، أبوزكريا محيي الدين يحيى بن شرف، صحيح مسلم بشرح النووي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧ م .
١٥٨.النووي، أبوزكريا يحي بن شرف، تحرير ألفاظ التنبيه: تحقيق: عبدالغني الدقر، دار القلم، دمشق، بيروت، ١٤٠٨هـ .
١٥٩.النووي، أبوزكريا يحي بن شرف، روضة المتقين في شرح رياض الصالحين، شرح وضبط وتوثيق عبدالقادر عرفان بن سليم العشاحشونة الدمشقي، بإشراف مكتب البحوث والدراسات في

دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دارالفكرللطباعة والنشروالتوزيع، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م .
١٦٠.النيسابوري، أبوالحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، دار الجيل بيروت و دار الأفاق الجديدة ـ بيروت، بيروت .
١٦١.هادي نهر، الصرف الوافي دراسة وصفية تطبيقية في الصرف وبعض المسائل الصوتية .
١٦٢.الهرري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، إشراف ومراجعة: هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، ٢٠٠١ م .
١٦٣.الواحدي، أبوالحسن علي بن أحمد، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٥هـ .
١٦٤.وجدي، محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين: دارالفكر، بيروت.
١٦٥.وهبة الزحيلي، التفسيرالمنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دارالفكرالمعاصر، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م .

أطاريح الدكتوراه ورسائل الماجستير

١٦٦. رحمان، رمضان صالح، الألفاظ والتراكيب الدالة على السلام والأمان في القرآن الكريم: رسالة ماجستر تقدّم بها رمضان صالح رحمان إلى مجلس كلية التربية للبنات جامعة بغداد، بإشراف: كريم حسين ناصح الخالدي، و ولاء صادق محسن، شعبان، ١٩٩٩م. ص: ٦٦.
١٦٧.عزالدين محمدأمين سليمان، التقديم والتأخير في القرأن الكريم (دراسة لغوية وصفية تحليلية): أطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية التربية للبنات بجامعة بغداد، بإشراف عبدالوهاب محمد علي العدواني ١٩٩٧م .
١٦٨.كريم حسن ناصح، أثرالمعنى في الدراسات النحوية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية الآداب بِجامعة بغداد، بإشراف حسام سعيد النعيمي، ١٩٩٠م .

المصادر التي أُخِذَت من المكتبة الشاملة

١٦٩.ابن عبدالسلام، أبومحمد عزالدين عبدالعزيزبن عبدالسلام، تفسير ابن عبدالسلام. مصدرالكتاب: موقع التفاسير،http://www.altafsir.com ،(الكتاب مرقم آلياغيرموافق للمطبوع) .
١٧٠.أسعدحومد، أيسر التفاسير لأسعدحومد، مصدر الكتاب: موقع التفاسير، http://www.altafsir.com، (الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع).

١٧١.الجبوري، حسين علي خليف الجبوري، آيات التقوى في القرآن الكريم. موقع مكتبة صيد الفوائد،http://www.saaid.net/book/index.php .
١٧٢.الجزائري، أبوبكر، أيسرالتفاسير للجزائري، موقع التفاسير، http://www.altafsir.com، (الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع) .
١٧٣.لجنة من علماء الازهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، المصدر: موقع شبكة مشكاة الإسلامية، http://www.almeshkat.net/ .

Biografi

İsim: HASSAN MAHMOOD QADIR
Doğum Tarihi: I /I / 1974
Doğum Yeri: Süleymaniye / Irak
Medeni Hali: Evli
Fakülte: Fen Edebiyat Fakültesi/Arap Dili bölümü
Uzmanlık: Arap Dili
e-mail:hassanmahmwd979@yahoo.com

Telefon: 009647501757537 / Irak/Kürdistan